سقطت من هذا الجزء الصحائف ذوات الأرقام: ١٣٦، ١٣٧، ١٦٨، ١٦٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية



عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، و بإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

شاهد سرقة الشعر المذمومة

١٨٤ — إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ
عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يَعقِلُ
وَيرْكبُ حَدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضيمَهُ
إذا لمْ يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

البيتان لمَعْن بن أوس المزنى ، من قصيدة من الطويل[1] ، قالها فى صديق يستعطفه ، وكان معن متزوجاً بأخته فطلقها ، فأقسم أن لا يكلمه ، وأولها :

لَعمرُكَ ما أدْرى وَإنِّى لأوْجَلُ — على أيِّنا تعْدو المنيةُ أوَّلُ
وَإنى أخُوكَ الدائمُ العهدِ لم أحُلْ — إنْ أبزاكَ خصمٌ أونَبابِكَ منزلُ[2]
أحاربُ منْ حاربْتَ منْ ذى عداوةٍ — وأحبسُ مالى إنْ غرِمْتَ فأعقِلُ[3]
وَإنْ سُؤْتَنِى يوماً صفحتُ إلى غدٍ — ليُعقِبَ يوماً منكَ آخَرُ مُقْبِلُ
كأنكَ تَشْفِى منكَ داءَ مساءتى — وَسُخطى ومافى رَيْثَتِى ما تَعَجَّلُ[4]
وَإنِّى على أشياءَ منكَ تَريبُنِى — قديماً لذو صفْحٍ على ذاكَ مُجْمِلُ
سَتقطعُ فى الدُّنيا إذا ماقَطَعْتَنِى — يمينَكَ فانظُرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وَفى الناسِ إنْ رَثَّتْ حبالُكَ وَاصِلٌ
وَفى الأرضِ عنْ دارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

---

(١) اقرأها فى ديوان معن (٥٧) وفى ديوان الحماسة (٢/١٣٢ من شرح التبريزى بتحقيقنا)

(٢) فى الحماسة « لم أخن» فى مكان « لم احل » وذكر هذه الرواية فى الشرح ، وفى المطبوعتين «أباراك خصم» وأثبتنا ما فى الحماسة والديوان.

(٣) أعقل : يريد أنه يغرم الدية معه

(٤) فى الديوان « وما فى ريبتى ما تعجل » وكذلك هو فى الحماسة وذكر فى شرح الحماسة أنه يروى مثل ماهنا ، والربثة : ضد العجلة، ومثله الريث.

وبعده البيتان ، وبعدهما :

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتى وَبدّل سوءاً بالذى كنتُ أفعلُ

قَلَبْتُ له ظَهْرَ الْمِجَنَّ فلم أدُمْ على ذاكَ إلا رَيثما أتحوّلُ

إذا انْصَرَفَتْ نفسى عَن الشىء لم تَكَدْ

إليْـهِ بوجْـهٍ آخرَ الدهـر تُقبلُ

وهذا البيت الأخير ، مثل قول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه [من الطويل] :

إذا انصرَفتْ نفسى عَن الشىء مرّةً

فلستُ عليـهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبـلاَ

وشفرة السيف : حـده ، والمَزْحل - بالزاى المعجمة والحاء المهملة — من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعـد ، والمزحل : مصدر بمعنى الزحول ، ومعناه : أنه لا يبـالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليـه ضيم ، أو يلحقه هضم ، أو احتقار ، متى لم يجـد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا .

والشاهد فيهما : سرقة الشعر المذمومة ، وهى : أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ، ويسمى نسخاً وانتحالاً .

حكى أن عبـد الله بن الزَّبير دخل على معاوية ، فأنشده هذين البيتين ، فقال : لقد شعَرتَ بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبدُ الله المجلس حتى دخل معنُ ابن أوس ، فأنشد القصيدة ، وفيها البيتان المذكوران ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ فقال : اللفظ له ، والمعنى لى ، وبعدُ فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره .

ومن السرقة المذمومة أن يبدّل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها ، كما يقال فى قول الحطيئة [من البسيط] :

دَعِ المكارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها
وَاقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

ذَرِ المآثِرَ لاَ تذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا
وَاجلسْ فانكَ أنتَ الآكل الكاسى

وكقول امرىء القيس [من الطويل] :

وُقوفاً بِها صحبى علَىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لاتهلكْ أسىً وتجمَّلِ

وقد أورده طرفة فى داليته ، إلا أنه أقام « تجلد » مقام « تجمل » .

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [من الطويل] :

وَمَا الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتَهُمْ وَلاَ الدّارُ بالدّارِ التى كنتَ تعلمُ

فأورده الفرزدق فى شعره ، إلا أنه أقام « تعرف » مقام « تعلم » .

وقريب من هذا أن يبدل بالألفاظ ما يضادّها فى المعنى ، مع رعاية النظم والترتيب ، كقول ابن أبى فنن [من الكامل] :

ذَهَبَ الزمانُ برهط حسّانَ الأولى كانَتْ مَناقبهم حديثَ الغابرِ

وَبقيتُ فى خَلْفٍ تحلُّ ضيوفُهُمْ فِيهمْ بِمَنْزِلةِ اللئيمِ الغادرِ

سُودُ الوُجُوهِ لَئيمةٌ أحسابهمْ فُطْسُ الأُنوفِ منَ الطرازِ الآخِرِ

فانه عكس قول حسان بن ثابت الأنصارى [من الكامل] :

بيض الوجُوهِ كريمةٌ أحسابهمْ شُمّ الأنوفِ من الطراز الأوّلِ

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جَفْنَةَ ، وهم ملوك الشام :

أولادُ جفنةَ حولَ قبْرِ أبيهمُ مثلُ النجومِ تُجاهَ بدرٍ أكمل

يُغْشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابهمْ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المقبلِ

يسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ

بَرَدَى يُصفَّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ

وأخذ قوله « وبقيت فى خاف » من قول لبيد [من الكامل] :

ذهَبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ وَبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الوراق [من الكامل] :

زعمُوا لبيداً قالَ فى عصرٍ لهُ وَبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجرَبِ

وأرَاهُ أعدَى خلفهُ من خلفهِ جرَباً وأعيَا الدّاء كلَّ مُجربِ

وتضاعفَ الجربُ الذى عدواهُ لاَ تنفكُّ عن ماضٍ ولا مُتعقِّبِ

وتفاقمَ الداءُ العُضالُ فخلفنا بلغَ الجذامَ وعصرنا عصرٌ وَبِى

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب [من السريع] :

كنا إذَا جئنا لِمنْ قبلكُمْ أنصفَ فى الترحيبِ بعدَ القيامْ

والآنَ صِرْنا حِينَ نأتيكمُ نقنعُ منكم بلطيفِ الكلامْ

لاَ غَيَّرَ اللهُ بكمْ خشيةً مِنْ أنْ يجِى مَنْ لا يرُدُّ السلامْ

وسرقة الشعر مذمومة ، حتى قال فيها الحريرى ، فى إحدى مقاماته :

واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار.

وأول من ذم ذلك طَرَفَةُ بقوله [من البسيط]:

وَلاَ أُغِيرُ عَلىَ الأشعارِ أَسْرِقُها
عنها غَنيتُ ، وشرُّ الناسِ مَنْ سَرَقَا

وأبو تمـام الطأئى ضجّ من سرقة محمد بن يزيد الأموى شعره ، فقال (١) [من الخفيف] :

مَنْ بنو بحدل من ابنُ الحبابِ مَنْ بَنُو تغلب حُدَاةُ الكلابِ
مَنْ طُفيل وَعَامرٌ وَمَنِ الحا رثُ أو مَنْ عُتَيْبة بن شِهابِ (٢)
إنما الضيغم الهصُورُ أبو الأشـبالِ جبّارُ كل رِخيسٍ وغابِ (٣)
مَنْ عَدَتْ خيلهُ على سَرْحِ شعرِى وَهْوَ للحَيْنِ رَاتعٌ فى كتابِى (٤)
غارَةً أسخنَتْ عيونَ المعانى وَاستباحت محارم الآدابِ (٥)
لو ترَى منطق أسيراً لأصبحـتَ أسيراً لعبرةٍ وَانتحاب (٦)
ياعَذَارَى الأشعار صِرتنّ من بعـدى سَبايا تُبعنَ فى الأعرابِ (٧)
طَالَ رَغبِي إليكَ يا رَبِّ يا رَبِّ وَرَهبى لديكَ فاحفظ ثيابى (٨)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٨٧ بيروت) وفيه فى أولها « غداة الكلاب »
(٢) فى الديوان « من طفيل من عامر » وفيه « أم من عتيبة »
(٣) فى الديوان « مناع كل خيس »
(٤) فى المطبوعتين « وهو للجبن راتع » وأثبتنا مافى الديوان ، والحين ـ بفتح الحاء المهملة ـ الهلاك
(٥) فى الديوان « أسخنت عيون القوافى » وفيه « واستحلت محارم الآداب »
(٦) فى الديوان « أسيرا ذا عبرة واكتئاب »
(٧) فى الديوان « يا عذارى الكلام »
(٨) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :
طال رعبى يارب مما ألاقيـه ورهبى إليك فاحفظ ثيابى

وكان البحترىّ قالَ قصيدةً ، فى أبى العباسِ بن بسطام [١] ، أولها [من المنسرح] :

مَن قائل للزمان ما أَرَبُهْ   فى خُلُقٍ منهُ قد بَدَا عَجبهْ

فعارضهُ فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة ، يمدح بها الموفق أولها [٢] [من المنسرح] :

أجدّ هذا المقال أم لعبهْ   أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعارَ مِنْ ألفاظها وَمعانيها ما أوجبَ أن قالَ البحترىّ [٣] فيه ، [من المنسرح] :

ما الدهرُ مستنفد وَلاَ عجبه   تسومنا الخسفَ كلهُ نُوبه [٤]

نالَ الرضى مادحٌ وممتدحٌ   فقل لهذا الأمير ماغضبُهْ

أجلى لصوصَ البلاد يطردهمْ   وظلّ لِصَّ القريض ينتهبه [٥]

أُردُدْ علينا الذى استعرت وَقل   قولكَ يعرفْ لغالب غَلَبُهْ

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة ، فقال [٦] [من البسيط] :

قبحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها   من شعره الغثِّ بعد الكدِّ والتعب

كأنها حينَ يُصغِى السامعونَ لها   ممن يُمَيِّزُ بين النَّبْعِ وَالغَرَبِ [٧]

---

(١) اقرأها فى الديوان (١-٣٢)

(٢) هى فى ديوان البحترى منسوبة لعبيدالله بن عبدالله (١-٣٤ مصر)

(٣) اقرأها فى الديوان (١- ٣٧ مصر)

(٤) فى الديوان « لا الدهر مستنفد »

(٥) فى الديوان « أجلى لصوص البلاد يطلبهم » وفيه « وبات لص القريض »

(٦) اقرأها ضمن قصيدة فى الديوان (١-٤٠٨-٤٢٦)

(٧) النبع - بفتح فسكون - شجر تصنع منه القسى والسهام . والغرب - بفتح الغين والراء - ضرب من الشجر

رُقى العقارب أو هذرُ البُنَاة إذا
أضحوا على شُعَبِ الجدران فى صَخَبِ (١)

سمينُ ما انتحلوهُ من هنا وَهنا والغثّ منه صريحٌ غيرُ مؤتشبِ (٢)

يسىء عفاً فانْ أكدت مسائلهُ أجادَ لصّاً شديدالبأسِ والكلبِ (٣)

حىٌّ يغيرُ على الموتى فيسلبهمْ حرَّ الكلام بجيشٍ غيرذى لَجَبِ (٤)

ما إن تزال تراهُ لابساً حُللاً أسلابَ قومٍ مضوافى سالف الحِقَبِ

شعرٌ يغير عليهِ باسلاً بَطَلاً فينشدُ الناسَ إياه على رَقَبِ

حتى إذا كفّ عن غاراته فلهُ شعرٌ يئنُّ مقَاسيه منَ الوَصَبِ

شعر كنافض حُمّى الخيبرى لهُ بردٌ وكربٌ فمن يرويه فى كَرَبِ

قل للعلاء أبى عيسى الذى نصلت به الدواهى نصول الألّ فى رجبِ (٥)

أيسرقُ البحترىُّ الناسَ شعرهمُ
جهراً وأنتَ نكالُ اللصّ ذى الرِّيبِ

وَتارَةً يترز الأرواحَ مَنطقهُ والخلقُ ما بين مقتولٍ وَمغتصبِ (٦)

---

(١) فى المطبوعتين « أو هذر البنات » وأثبتنا ما فى الديوان ، وفى الديوان « أضحوا على شعف الجدران » والبناة : جمع بان ، وشعف الجدران : أعاليها

(٢) فى الديوان « سمين ما نحلوه » وفيه « صريح غير مجتلب » وهو خير مما هنا

(٣) فى الديوان « أكدت وسائله »

(٤) فى الديوان « عبد يغير على الموتى »

(٥) فى المطبوعتين « قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت » وفيهما « نصول الآل » وكلاهما تحريف ، وأراد أبا عيسى العلاء بن صاعد الوزير ، ونصلت : ذهبت ، والألّ : جمع ألّة ، وهى الحربة ، يشير إلى ما كان العرب عليه من ترك القتال فى شهر رجب

(٦) فى المطبوعتين « وتارة يبرز الارواح » وأثبتنا ما فى الديوان ، ويترز : اراد به يزهق الارواح

نكله إن أناساً قبله ركبوا ... بدون ماقد أتاه باسق الخشب
إذا أجاد فأوجب قطع مقوله ... فقد رمى شعراء الناس بالحرب (١)
وإن أساء فأوجب قتله قوداً ... بمن أمات إذا أبقى على السلب (٢)

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الأبيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه ، وفيه يقول ابن الحاجب أيضاً [من الخفيف] :

والفتى البحترى سارق ما قا ... ل ابن أوس فى المدح والتشبيب (٣)
كل بيت له يجود معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها (٤) أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبى ، وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك فى أيام الوزير المهلبى [من الكامل] :

بكرت عليك مغيرة الأعراب ... فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردَ العراق ربيعة بن مكدم ... وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما ... فى الفتك، لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا ... مقرونة بغرائب الكتاب
شناً على الآداب أقبح غارة ... جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلّ قفرة ... وحذار من وثبات ليثى غاب (٥)

(١) فى الديوان « فقد وهى شعراء الناس »
(٢) فى الديوان « بمن يميت إذا أبقى »
(٣) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس .
(٤) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢-١٤٥ بتحقيقنا)
(٥) فى اليتيمة « وحذار من حركات ليثى غاب »

لا يَسْلبان أخا الثراء ، وإنما يتناهبانِ نتائجَ الألباب
إنْ عزَّ موجودُ الكلامِ عليهما فأنا الذى وقفَ الكلامُ ببابى
أو يهْبِطا من ذِلّةٍ فأنا الذى ضُربتْ على الشرفِ المطلِّ قبابى
كم حاولا أمَدِى فطال عليهما أن يُدْركا إلا مُثارَ ترابى
عَجزَا ولن تقفَ العبيدُ إذا جرتْ يومَ الرهانِ مواقفَ الأربابِ
ولقد حميْتُ الشعرَ وَهْوَ لمعْشَرٍ رمم سِوَى الأسماء والألقاب(١)
وضرَبْتُ عنه المدَّعِينَ وإنما عن حَوْزَةِ الآداب كان ضِرابى
فغدَتْ نبيطُ الخالديةِ تدَّعى شعرى وترْفُلُ فى حَبِيرِ ثيابى
قومٌ إذا قصدوا الملوكَ لمطْلَبٍ نُقضت عمائمُهم على الأبواب
من كل كَهْلٍ تستطيرُ سبالهُ لوْنين بين أنامل البواب
مُغْضٍ على ذلِّ الحجاب يردُّه دامى الجبين تجهُّمُ الحجاب
ومُفَوَّهين تعرَّضا لجرائبى فتعرضت لهما صدورُ حرابى
نظرا إلى شِعْرى يروق فتربَّا منهُ خدود كواعبٍ أتراب(٢)
شرباهُ فاعترَفا له بعذوبةٍ ولرُبَّ عذْب عادَ سوطَ عذاب
فى غارةٍ لم تنْثلم فيها الظُّبا ضرْباً ولم تنْدَ القنا بخضاب
تركَتْ غرائبَ منطِقى فى غرْبة مسْبِيَّةً لا تهتدى لاياب
جَرْحَى وما ضُربتْ بحدِّ مُهنَّدٍ أسْرى وما حُمِلَتْ على الأقتاب
لفظ صقلْتُ متونه فكأنه فى مُشْرِقات النَّظْمِ درُّ سحاب

---

(١) الذى فى اليتيمة «وهو لمعشر ذم سوى الأسماء»
(٢) فى اليتيمة «نظرا إلى شعر يروق»

وكأنما أجريْتُ في صفحاته حرَّ اللُّجيْنِ وخالص الزِّرْياب(١)
أغريتَ في تحْبيرهِ فرُوَاتُهُ في نزْهةٍ منهُ وفي استغراب
وقطعتُ فيه شبيبة لم تشتغل عن حُسْنه بصِباً ولا بتصابي
وإذا ترَقْرَق في الصَّحيفة ماؤه عبقَ النسيمُ فذاك ماء شبابي
يُصغي اللَّبيبُ له فيقسمُ لبَّه بين التعجُّب منه والاعجاب
جدٌّ يطير شَرارُهُ ، وفكاهة تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ
أعززْ على بأن أرى أشْلاءَهُ تدْمَى بظُفْر للعدو وناب
أفِنْ رَماه بغارةٍ مأفونةٍ باعتْ ظِباء الروم في الأعراب
إني أُحذِّر من يقول قصيدةً غرَّاء خِدْنَيْ غارةٍ ونهاب
إني نَبَذْتُ على السَّواء إليكما فتأهَّبا للقادح المنتاب
وإذا نبذْتُ إلى امرئ ميثاقهُ فليستعدَّ لسطوَتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم إليه من الخالديين وقد ادعيا شعره (٢) ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرمَ الناسِ إلا أن يعدَّ أباً فاتَ الكرامَ بآباءٍ وآثارِ
أشكو إليكَ حليفَيْ غارةٍ شهرَا سيفَ الشِّقاق على إنتاج أفكاري(٣)
ذئْبين لو ظفرا بالشِّعر في حرم لمزَّقاه بأنياب وأظفار

---

(١) اللجين : الفضة ، والزرياب : الذهب
(٢) في يتيمة الدهر (٢/ ١٠٢ بتحقيقنا) « وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره »
(٣) في اليتيمة « على ديباج أفكاري » .

سلاًّ عليه سيوفَ البغى مُصْلَتَةً في جَحْفَل من شنيع الظُّلم جرّار(١)
وأرْخصاه فقلْ في العطر مُمتهناً لديهما يُشترَى من غير عطار
لطائمُ المسك والكافور فائحةٌ منهُ ومُنتَخب الهِنْدِىّ والغار(٢)
وكلَّ مُسْفِرة الألفاظ تحسبها صحيفةً بين إشراق وإسفار
أرقتُ ماء شبابى فى محاسنها حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفَسُ الريحانِ تمزجُه صبا الأصائل من أنفاس نَوّارِ
إن قَلّدَاكَ بدُرّ فهو من لُجَجِى أو ختَّماك بياقوتٍ فأحجارى
باعا عرائسَ شِعرى بالعراق فلا تبْعَد سباياه من عُونٍ وأبكار
مجهولةَ القدْرِ مظلوماً عقائلُها مقسومةً بين جُهَّال وأغمار
ما كان ضرّهما والدرُّ ذو خطَرٍ لو حلَّياه ملوكا ذاتَ أخطارِ
ومارأى الناسُ سبياً مثلَ سبيهما بِيعتْ نفيستهُ ظلماً بدينار
والله ما مدَحا حيّا ولا رثيا مَيْتاً ولا افتخرَا إلا بأشعارى
هذا وعندىَ من لفظٍ أُشَعْشِعُهُ سُلافةً ذاتَ أضواءٍ وأنوارِ
كريمةً ليس من كَرْم ولا التثمت عروسُها بخِمارٍ عند خمَّارِ
تنشا خلالَ شِغافِ القلبِ إن نشأت ذاتُ الحباب خِلال الطِّين والقار
لم يبقَ لى من قريض كان لى وزَراً على الشدائد إلا ثقْلُ أوزارى
أراهُ قد هُتكت أستارُ حُرْمتِهِ وسائر الشعر مستُوراً بأستار

---

(١) فى اليتيمة «فى جحفل من صنيع الظلم جرار»

(٢) اللطائم : جمع لطيمة وهى وعاء المسك ، والهندى والغار : من الأعواد ذات الريح الطيبة ، وقال الشاعر :

رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

كأنه جَنَّةٌ راحت حدائقها من الغبيَّيْنِ فى نارٍ وإعْصار[١]
عارٍ من النّسب الوَضَّاح مُنْتَسب فى الخالديين بين العُرّ والعار

وله من قصيدة[٢] فى أبى إسحاق الصابى، وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة [من الخفيف] :

قد أظلَّتْك يا أبا إسحاق غارةُ اللَّفظ والمعانى الرقاق[٣]
فاتخذْ معقلاً لشعرك يَحْميـــه مُروقَ الخوارج المرّاق
قبل رقْرَاقة الحديد تريق الدَّ م فى صفْو مائه الرَّقْراق
كانَ شنُّ الغارات فى البلد القفْـــر فأضحى على سَرير العرَاق
غارة لم تكن بسُمْر العوالى حين شُنَّتْ ولا السيوف الرِّقاق
جالَ فُرْسانُها علىَّ جلوسا لا أقلّتْهُمْ ظهورُ العتاق
فجعتْ أنفُسُ الملوك أبا الهيْ جاء حرْباً بأنفسِ الأعلاق
بقوافٍ مثلِ الرياض تمشَّتْ بين أنوارها جياد السَّوَاقى[٤]
بدَع كالسيوف أرْهفْنَ حُسْناً وسقاهُنَّ رَوْنقَ الطبع سَاقِى
مشرقات تُريك لفظاً ومعنًى حُمرَةَ الحلْى فى بياض التَّراقى
يا لها غارةً تُفَرّقُ فى الحوْ مةِ بين الحَمَامِ والأطواقِ
تَسِمُ الفارس المقدَّم بالعا رِ وبعضُ الاقدام عارٌ باقى[٥]

(١) الاعصار : ريح شديدة تصحبها نار غالبا
(٢) اقرأها فى يتيمة الدهر (٢/٤٦: بتحقيقنا)
(٣) فى اليتيمة « والمعانى الدقاق » وهى خير لئلا تتكرر كلمة « الرقاق » مع قافية الخامس
(٤) فى الأصول «جماد السواقى» وأثبتنا ما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة «تسم الفارس السميدع بالعار»

لو رأيتَ القريض يُرْعَدُ منها بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوب الكلام تخفق رُعْباً عنْ تَثَنِّى لوائها الخفاق(١)
وسيوفَ الضلالِ تفتِكُ فيها بعذارى الطُّرُوس والأوراق
والوجوهَ الرِّقاق داميةَ الأبْـــشارِ فى معرك الوُجوه الصِّفَاق
لتنفَّسْتَ رحمةً للخدود الـــحُمْر منهُنَّ والقدُود الرِّشاق (٢)
والرياض التى ألحَّ عليها كاذِبُ الوَدْق صادقُ الاحراق
والنجوم التى تظلُّ نجومُ الــأرض حُسَّادَها على الاشراق
بعد ما اُحْنَ فى سماء المعالى طُلَّعاً وانتَثَرْن فى الآفاق
وتخيَّرْتُ حلْيَهُنَّ فلم يعــدُ خيار النحور والأعناق(٣)
وقطعتُ الشبابَ فيه إلى أن همَّ بُرْدُ الشباب بالأخلاق(٤)
فهوَ مثلُ المدامِ بين صَفاء وبهاء ونفحةٍ ومذَاق
منطق يُخجِلُ الرَّبيعَ إذا حلَّ عليه السحابُ عقْدَ نِطاقِ
ياهلالَ الآداب يا ابن هلالٍ صرَفَ اللهُ عنكَ صَرْفَ المِحاق!
سوف أُهدِى إليك من خدَمِ المجــد إماءً تعافُ قُبْحَ الاباق
كلَّ مطبوعةٍ على اسمكَ بادٍ وَسْمُها فى الجباه والآماقِ

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الأساوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بهما ، مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالديين وسلبهما من التحلى بالآداب ، إذ مقامهما

(١) فى اليتيمة «تحت تثنى لوائها الخفاق»
(٢) فى اليتيمة « للخدود السمر »
(٣) فى اليتيمة « فلم تعد »
(٤) الاخلاق - بكسر الهمزة - مصدر «أخلق الثوب» أى بلى ورث

فيه مشهور، ومحلهما منه على الألسنة مشكور ومذكور، وناهيك بأبى إسحاق الصابى نقداً للأدب، وقد قال فيهما مادحا [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالديين سيرا ... قصائد يفنى الدهر وهى تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه ... يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ... ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت : سعيد مقدم ... وطائفة قالت لهم : بل محمد
وصاروا إلى حكمى فأصاحت بينهم ... وما قلت إلا بالتى هى أرشد
هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلف ... ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا ... علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أحمد
فزوجهما ما مثله فى اتفاقه ... وفردهما بين الكواكب أوحد
فقاموا على صلح وقالوا جميعهم : ... رضينا، وساوى فرقدا الأرض فرقد

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبى إسحاق، فما منهما إلا محسن ينظم فى سلك الابداع ما فاق وراق، ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الأفراد من الشام والعراق وقد مر فى أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما، ورفيع صنائعهما، ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين [١]، على آماق العين.

ترجمة معن ابن أوس

ومعن هو [٢] ابن أوس بن نصر بن زيادة [٣] بن أسحم، ينتهى نسبه إلى مزينة، وهى امرأة، وأبوها كاب بن وبرة، وأبو بنى مزينة عمرو بن أدبن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، وهو شاعر مجيد فحل، من مخضرمى الجاهلية

---

(١) النضار - بضم النون، بزنة الغراب - الذهب. واللجين - بصورة المصغر - الفضة

(٢) تجد لمعن بن أوس ترجمة فى الأغانى (١٠ - ١٦٤ بلاق)

(٣) فى الأغانى «بن زياد» بغير تاء

والاسلام ، وله مدائح فى جميع [١] أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستعينا به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التى أولها [من الطويل] :

تأوَّبهُ طيفٌ بذات الجرائم فنامَ رفيقاه وليس بنائم [٢]

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم

وحدث محجن الخزاعى قال : كان معاوية يُفَضِّل مزينة فى الشعر ، ويقول: كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس .

وحدث العتبى قال : كان معن بن أوس مئناثاً [٣] ، وكان يحسن صحبه بناته وتربيتهن ، فولد لبعض عشيرته بنت ، فكرهها ، وأظهر جزعا من ذلك ، فقال معن [٤] [من الطويل] :

رَأيتُ رجالاً يَكرَهونَ بناتِهمْ وفيهنَّ لا تُكذَبْ نساءٌ صَوَالحُ
وَفيهنَّ والأيام تعثرُ بالفتىَ نَوَادِبُ لاَ يملَلنهُ وَنَوائِحُ

وحدّث [أبو] [٥] سعيد بن عمرو الزبيدى ، قال : كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور ، وكان لها محبا ، وكانت حضرية نشأت فى الشام ، وكانت فى معن أعرابية ولُوثة ، فكانت تضحك من عَجْرَفته ، فسافر إلى الشام فى بعض أعوامه

---

(١) فى الأغانى «وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم»
(٢) فى الأصول« بذات الحرائم » وأثبتنا ما فى الأغانى والديوان المطبوع بمصر (ص ٣٠) وقد روى فى الديوان هذا البيت مطلع قصيدة فى مدح عاصم ابن عمر بن الخطاب
(٣) مئناث : أى كثير البنات
(٤) اقرأهما فى الأغانى وفى الديوان (ص ٣٩)
(٥) الزيادة عن الأغانى

فضلّتِ الرفقة عن الطريق ، وعدلوا عن الماء ، فطووا منزلهم ، وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرس معن فى وجارِ ضبّ : سقطت يده فيه ، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه ، وجعل معن يقوده ، ويقول (١) [من الرجز] :

أَوْ شهِدَتْني وجَوادِي ثورُ والرأسُ فيهِ ميَلٌ ومورُ

* لضحكَتْ حتّى يميلَ الكورُ *

وحدّث العتبىُّ قال : قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتَيْس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا ، وَهُم نيف وسبعون رجلا ، فغضبَ معن ، وخرَجَ من عنده . فأتى عبد الله ابن عباس ، فقراه وحمله وكساه . ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل ، وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس ، رضى الله عنهم (٢) [من الطويل] :

ظللنا بمستنّ الرياح غُدَيَّةً إلى أن تعالى اليومُ فى شرِّ محضرِ (٣)

لدَى ابن الزبير جالسين بمنزلٍ من الخير والمعروف والرِّفدِ مُقْفِرِ (٤)

رَمانَا أبو بكرٍ وقد طالَ يومُنا بتيْسٍ من الشاء الحجازىّ أعفرِ (٥)

(١) ليس هذا الرجز فى ديوان معن

(٢) اقرأ الأبيات فى الديوان (ص٦٩) وهى مع الخبر فى الأغانى

(٣) فى الديوان «إلى أن تعالى الليل» وهى أوفق بالقصة ، ومحضر : أصله مصدر بمعنى الحضور ، وأراد منه القوم الحاضرين معه .

(٤) مقفر : خال ، وهو وصف المنزل

(٥) الشاء : اسم جمع للضأن من الغنم ، والأعفر : الذى لونه العفرة ، وهى لون أبيض تخالط بياضه حمرة

وقالَ اطعموا منْـهُ ونحنُ ثلاثة وسبعونَ إنساناً فيا لؤمَ مخبرِ
فقاتُ لهُ : لاَ تقرَبَنْ فأمامَنا جفانُ ابن عباس العلاَ وابن جعفرِ
وكُن آمناً وارْفُقْ بتيسك إنهُ لهُ أعنز ينزو عليها وأبشرِ(١)

وحدّث محمد بن معاوية الأسدى ، قال : قدم معن بن أوس المزنىّ البصرة ، فقعد ينشد فى المربد ، فوقف عليه الفرزدق ، فقال : يا معن ، من الذى يقول [من الوافر] :

لعمركَ مامزينة رَهطُ معنٍ بأخفافٍ يَطأنَ ولاَ سنَامِ(٢)

فقال مَعن : أتعرف يافرزدق الذى يقول [من الوافر] :

لَعمرُكَ ما تميمٌ أهلُ فلجٍ بأرْدَافِ الملوكِ وَلاَ كِرَامِ

فقال له الفرزدق : حسبك ، فانما جرّبتك . قال : جرّبت وأنت أعلم ، فانصرف وتركه .

وحدّث الأصمعى ، قال : دخلت خضراء روح (٣) ابن حاتم المهلبى ، فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما(٤)، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يضرب فيه الأعناق ويعطى اللُّهَا ، وأنت تفعل فيه ما أرى ، فالتفت إلىَّ من غير أن يزول عنها ، وقال [من الوافر] :

---

(١) وقع فى الديوان «له أعين ينزو عليها» محرفا شنيع التحريف ، ووقع فى أصل هذا الكتاب فى آخر هذا البيت « وأبسر » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغانى

(٢) وقع فى الأغانى « بأخفاف تطاق » ووقع فى الديوان « بأجفان تطاق ولا سنام »

(٣) فى الأصل « دخلت قصرا روح بن حاتم » وأثبتنا ما فى الآغانى

(٤) فى الأصول « على فاحشة يؤتى » وأثبتنا مافى الأغانى ، وهو الذى يصلح مع قوله « وأنت تفعل » وقوله بعد « من غير أن يزول »

وَرِثنا المجدَ من آباء صدقٍ أسأنا في دِيارهمُ الصنيعا
إذا الحسبُ الرفيعُ توَا كاتهُ بناةُ السوء أوشكَ أن يضيعا(١)

قال : والشعر لمعن بن أوس المزنيّ .

وحدث الحرمازى ، قال : سافر معن بن أوس إلى الشام ، وخلف ابنته ليلى في جوار عمرو بن أبي سلمة(٢) ، وأمه أمّ سلمة ، رضى الله عنهما ، وفى جوار عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقال له بعض عشيرته : مَنْ خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز ، وهى صبية ، ليس لها من يكفلها ؟ فقال معن(٣) له : [من الطويل] :

لعمركَ ما ليلى بدار مضيعةٍ وما شيخها إنْ غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَين لنْ يغدرَا بها رَبيبَ النبيِّ وابنَ خيرِ الخلائفِ

وحدّث عبد الملك بن هشام، قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدّة من أهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرىء القيس ، والأعشى ، وطَرَفَةَ ، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذى يقول(٤) [من الطويل] :

وَذى رَحم قلّمْتُ أظفارَ ضِغْنهِ بِحلميَ عنه ، وهو ليسَ لهُ حلمُ
إذَا سُمتهُ وصل القرابة سامنى قطيعتها ، تلكَ السفاهةُ والظلمُ (٥)

(١) وقع فى الأصول وفى الأغانى « بنات السوء » بالتاء المفتوحة وهو فى شعر معن « بناة » على أنه جمع بان جمع تكسير كغزاة ورماة وقضاة

(٢) فى الأصل «عمر بن أبى سلمة» وأثبتناما فى الأغانى

(٣) البيتان فى الديوان (ص٥٦)

(٤) الأبيات فى الديوان ضمن قصيدة (ص ١) وهذه الأبيات ليست متصلة هناك

(٥) فى الديوان « تلك السفاهة والاثم» وفى الأغانى مثل ما هنا

فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم[1]

يحاول رغمي لا يحاول غيره وكالموت عندي أن ينال له رغم[2]

فما زلت في لين له وتعطف عليه كما تحنو على الولد الأم

لأستل منه الضغن حتى سللته وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا : ومن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزني .

وحدث سليمان بن عياش[3] السعدي عن أبيه ، قال : خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها و يبيع إبلاً له ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها : ليلى ، وكانت ذات جمال و يسار فخطبها فأجابته ، فتزوجها ، وأقام عندها حولا في أنعم عيش ، فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إني قد تركت ضيعة لي ضائعة ، فلو أذنت لي فأتيت أهلي ورأبت مالي[4] فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له ، فأتى أهله ، فأقام عندهم وأزمن عنها -أي طال مقامه — فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة ، فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق ، وهو ماء لمزينة ، فخرجت حتى إذا كانت قريباً من عمق ، نزلت منزلا ، وأقبل معن في طلب ذود له قد أضلها ، وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر - قال : والبت الطيلسان — وعمامة غليظة . فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقي ، ومع ليلى ابن عم لها ، وولى من مواليها جالس أمام خباء له . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، و إن شئت سويقاً ، و إن شئت

---

(١) صدر هذا البيت في الديوان «فيسعى إذا أبني ليهدم صالحي * وهي خير مما هنا وفي الأغاني

(٢) حفظي في عجز هذا البيت * وكالموت عندي أن يحل به الرغم *

(٣) في الأغاني «سليمان بن عباس السعدي»

(٤) رأبت -بالباء الموحدة- أصلحت ولعل أصله « رأيت مالي » مع أن لما هنا معنى جيدا ، ووقع في الأغاني « وزممت من مالي »

لبناً ، فأناخ معن ، وصاح مولى ليلى : يا منهلة : وكانت منهلة وصيفة : تقوم على معن عندهم بالبصرة . فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح فى يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها . فقالت : يا مولاتى هذا والله معن ، إلا أنه فى جُبة صوف و بتّ صوف . فقالت : هو والله عيشهم الحق مولاى ، فقولى له : هـذا معن فاحبسه ، فخرجت الوصيفة مسرعة له ، فأخبرت المولى ، فوضع معن القدح من يده ، وقال : دعنى حتى ألقاها فى غـير هذا الزىّ ، فقالت لهُ : لست بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال : إى والله ياابنة عم ، أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الْخُزَامى والرُّخَامى والسَّخْبَر والكمأة لأصبت عيشاً طيباً ، فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثياباً لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها[1] . ثم غدا متقدما بها إلى عمق ، حتى أعدّ لها طعاما ، ونحر ناقة وغنما ، وقدمت على الحىّ ، فلم يبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها ، فلم تدع منهنّ امرأة إلا وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أمّ حقة ، فقالت لمعن : هذه والله خير لك منى فطلقنى ، وكانت قد حمات ، فدخله من ذلك همٌّ وقام ، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة المشرفة حاجّةً ومعن معها ، فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن : يا ليلى كأن فؤادى يعرّج إلى ماهنا[2] ، فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة ، فقالت : ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى إلى البصرة أو تطلقنى ، فقال : أما إذ ذكرت الطلاق

---

(١) فى الأصول «يهرجها» وأثبتنا ما فى الأغانى ، إذ كانت هذه الترجمة مأخوذة عنه بحروفها .

(٢) فى الأغانى «كأن الفؤادى ينعرجن إلى هنا» وأكبر الظن أنه محرف عما ثبت فى أصول هذا الـكتاب

فأنت طالق ، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق ، فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه ، فقال فى ذلك(١) [من الطويل] :

توهَّمتُ رَبْعًا بالمعبَّرِ واضحا أبَتْ قرَّتاه اليوم إلا تَرَاوحا
أربَّتْ عليه رَأْدة حضرَمية ومرتجز قد كان فيه المضابحا(٢)
إذَا هى حلت كرْبلاء فَلعلعاً فجوزَ العذيب دُونها فالنوائحا(٣)
وبانتْ نواها منْ نواك وطاوعتْ
مع الشانئين الشامتات الكواشحاَ(٤)
فقولا لليلى هل تعوَّضُ نادماً لهُ رجعةً قال الطلاق ممازحاَ
فإنْ هى قالَتْ لا فقولا لها بلى ألاَ تتقين الجاريات الذوابحاَ(٥)

وهى طويلة .

ولمـا انصرف وليست ليلى معه ، قالت له امرأته أم حقة : ما فعلَت ليلى ؟ قال : طلقتها ، قالَت : والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك ، فطلقنى أنا أيضاً فقال لها معن [من الوافر] :

أعاذلَ أقصرِى ودَعى بَتاتى فإِنكِ ذاتُ لو مات حمات(٦)

(١) الأبيات في الديوان « ص٧٧»

(٢) فى الديوان «أربت عليها» وفى الأغانى «أريت عليها» وفى الأصل « كأن فيه المصالحا » وأثبتنا مافى الأغانى والديوان

(٣) فى الأصل « لحوز العذيب » بالحاء مهملة ، وأثبتنا في هذه الكلمة مافى الديوان والأغانى وفيهما « بعدها »فى مكان «دونها»

(٤) فى الأغانى والديوان « مع الشاميين الشامتين الكواشحا » وما هنا أحسن

(٥) فى الأغانى والديوان«ألاتتقين الحادثات الذوابحا» وهي بمعنى ماهنا

(٦) فى الأغانى والديوان«ودعى بياتى»وأحسب أن ماهنا خير . والبتات: الطلاق ، والبيات : الغارة على الأعداء ليلا ، وأراد بلومات حمات شديدة

وإنّ الصبحَ مُنتظرٌ قريب　　وإنكِ بالملامة لنْ تفَاني

نأت ليلى فَليلى لنْ تُواتى　　وضنّتْ بالمودّةِ والثبات[١]

وحلّتْ دارُها سفَوان بعدى　　فذا قارٍ فمنحرفَ الفراتِ[٢]

تُرَاعى الريف دَائبةً عليها　　ظلالُ اللف مختلط النبات[٣]

فَدَعها أوْ تناولهـا بعنْسٍ　　من العيدىّ فى قُلُصٍ شحاتِ[٤]

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق [من الطويل] :

كأن لم يكن يا أمّ حقة قبل ذَا　　بميطان مصطافٌ لنا ومرابعُ

وإذْ نحن فى عصر الشباب وقد عفا　　بنا الآن إلا أن يعوّض جازعُ[٥]

فقدْ أنكرته أمُّ حقةَ حادثاً　　وأنكرها ماشئتَ والودُّ خادعُ

وَلوْ آذَنتنا أمُّ حقـةٍ إذنباً　　شبابٌ وإذلما تَرُعنا الرّوائعُ[٦]

لَقلنا لهـا بينى بليل حميدَةً　　كذَاكَ بلاَ ذمٍّ تؤدّى الودائعُ[٧]

ومر عبد الله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره ، فقال له : يا معن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضعف بصرى ، وكثر عيالى ، وغلبنى الدين ، قال :

---

(١) فى الأغانى «وليلى لا تواتى»

(٢) فى الأغانى «بمنخرق الفرات»

(٣) فى الأغانى روى هذا البيت هكذا :

تراعى الريف دانية عليها　　ظلال أنف مختلط النبات

(٤) روى هذا البيت فى الأغانى :

فدعها أو تناولها بعس　　من العودى فى قلص سحات

(٥) في الأغانى «غصن الشباب» وفيه «نعوض جارع»

(٦) فى الأصل «وإذ لما تروع الروائع» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٧) فى الأغانى «تؤدى الصنائع»

وكم دينك؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها إليه ، ثم مر به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يامعن ؟ فقال [من الطويل] :

أخذتُ بعين المال حتى نهكتُه وبالدَّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القرض عند ذوى الغنى وردّ فلانٌ حاجتى وفُلانُ

فقال له عبدالله : الله المستعان ، إنا بعثنا لك بالأمس لقمة فمالكتها حتى انتزعت من يدك ، قال : فأى شيء للأهل والقرابة والجيران ؟ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى ، فقال معن يمدحه [من الطويل] :

وإنك فرْعٌ من قُريش وإنما تمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادة للناس ، بطحاء مكة لهم ، وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم على حادثِ الدَّهْر العيون الدوامعُ

ومن شعره أيضاً قوله [من مجزوء الخفيف] :

رُبما خُيِّر الفتى وَهْوَ للخير كارهُ

* * *

شاهد حسن الاتباع

١٨٥ ـ مَنْ رَاقَبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهِج

***

١٨٦ ـ مَنْ راقب النـاس ماتَ غما وفاز باللذةِ الجَسُورُ

البيت الأول لبشار بن برد من أبيات[1] من البسيط منها :

لو كنتِ تَلْقَيْنَ مانلقى قسمْتِ لنا يوماً نعيشُ به فيكُمْ ونبتَهِجُ
لا خيرَ فى العيش إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقى وسبيلُ الملتقى نَهَجُ

(١) روى فى المختار من شعر بشار بيتين أولهما بيت الشاهد وثانيهما ثالث هذه الأبيات بتغيير سنذكره

قالوا حرَام تلاقينـا فقلتُ لهم ... مافى التلاقى ولا فى غيره حرجُ[(١)]

وبعده البيت ، وبعده :

أشكو إلى الله همّاً لايفارقنى ... وشُرّعافى فُؤادىالدّهْر تعتلجُ

والفاتك اللهج : الجرىء الشجاع الذى له ولوع بالقتل

والبيت الثانى لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها :

بانَ شبابى فما يحُورُ ... وطالَ من ليلىَ القصيرُ

أهدى لى الشوق وهو خلوٌ ... أغنٌّ فى طرفهِ فتُورُ

وقائل حين شَبَّ وَجْدِى ... واشتعلَ المضمرُ السَّتيرُ

لو شئت أسلاكَ عن هواهُ ... قلبٌ لأشجانه ذكُور

فقلتُ لا تَعجلَنْ بلومى ... فانمـا يُنبىء الخبـيرُ

عذّبنى والهوى صغيرٌ ... فـكيفَ بى والهَوى كبيرُ

وبعده البيت

ووقفت فى الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما :

كأنهُ والقنا دَوَانٍ ... يومٌ على ليلةٍ مغيرُ

يُريكتحت العجاجوجها ... يضلُّ فى نوره البصيرُ

والجسور : الشديد الجرأة

والشاهد فيهما : حسن أخذ الثانى من الأول ، ويسمى حسن الاتباع ، فان بيت سَلْم أجود سبكا ، وأخصر لفظا

حدّث أحمد بن صالح قال : لما بلغ بيت سَلم الخاسر بشاراً غضب وأشط

---

(١) روى هذا البيت فى المختار هكذا :

قالوا حرام تلاقينا ، لقد كذبوا ... مافى التزام ولا في قبلة حرج

وحلف لايدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا ، فاستشفع سلم إليه بكل صديق له وكل من يشتمل عليه رده ، فكلموه فيه ، فقال : أدخلوه ، فاستدناه ثم قال : ياسلم من الذى يقول :

* من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته *

قال : أنت يا أبا معاذ جعلنى الله فداك ، قال : فمن الذى يقول :

* من راقبَ الناسَ مات غما *

قال : تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ ، فاجتذبه إليه وقنّعه بمخصرة كانت فى يده ثلاثا ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ماتنكره ، ولا آتى شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك وصنيعك ، وهو يقول له : يا فاسق ، أتتجرأ على معنى سهرت له عينى وتعب فيه فكرى وسبقتُ الناس إليه فتسرقه ثم تختصر لفظاً تقربه به لتزرى على وتذهب بيتى ؟ وهو يحلف له أن لا يعود ، والجماعة يسألونه ، فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ، ثم رجع له ورضى عنه

وحدّث أبومعاذ النميرى ، قال : لما قال بشار بيته « من راقب الناس إلخ » قيل له : يا أبا معاذ ، قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال : وما هو ؟ فأنشد بيت سلم هذا ، فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله وددت أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنى أغرم ألف دينار ، محبة منى لهتك عرضه وأعراض مواليه ، قال : فقيل له : ما أخرج هذا القول منك إلا غم ، قال : أجل ، فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

من شواهد حسن الاتباع

ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

خلقنَا بأطراف القنا فى ظهُورهم عيوناً لها وقعُ السيوف حواجبُ

فانه أحسن اتباع قول بعضهم [من الطويل] :

خلقنا لهم فى كلِّ عين وحاجب ٠ بسُمر القنا والبيض عَيْناً وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم، حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم

ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب أخت الحجاج وأترابها، وهو [من الطويل]:

وهُنَّ اللواتى إن بَرَزْنَ قتلننى وإن غِبن قَطَّعن الحشى حسراتِ

فأحسن اتباعه ابن الرومى بقوله [من الكامل]:

ويلاه إن نَظَرت وإن هى أعرضت وقعُ السهام ونزعهن أليم

وقول البحترى [من الكامل]:

أخجلتنى بِنَدَى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ

صِلة غدت فى الناس وهىَ قطيعةٌ عجبٌ، وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال [من البسيط]:

لو اختَصَرْتم من الاحسان زرتكمُ والعذبُ يُهجَر للافراط فى الخَصَرِ

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان

وقول عنترة العبسى [من الكامل]:

إنى امرؤ من خير عبْسٍ منصباً شَطْرِى، وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف سبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه، فقال [من المجتث]:

من فاتنى بأبيه ولم يفُتنى بأمهْ

ورامَ شتمىَ جهلا سكتُّ عن نصف شتمهْ

وحسن الأخذ فيهما ظاهر لايخفى

ولمؤلفه فى عكس هذا [من مجزوء الرجز] :

من فاتَنَا بأمه ولم يَفُتنا بأبِهْ
سكتُ عن جليه وقولُنا فى المُشتبهْ

وفى معنى البيتين الأولين قول بعضهم [من الوافر] :

لقد نِلْتَ المفاخرَ من قُريش كما نلتَ الرذلة من نمار
فنصفُكَ كاملٌ لا عيْبَ فيه ونصفُكَ كاملٌ من كل عار

وقول ابن الرومى [من الطويل] :

تخذتكُمْ درعا حصينا لتَدْفعُوا نبالَ العدى عنى فكنتم نِصالَهَا
وقد كنتُ أرجُو منكم خير ناصر على حين خذلانِ اليمين شمالَهَا
فان كنتُمُ لا تحفَظُون مودّتى ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لَهَا
قِفُوا وَقْفة المعذور عنى بمَعْزِل وخلُّوا نِبالى للعِدَى ونبالَهَا

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله [من الكامل] :

أعددتكم لدفاع كلّ مُلمة عوناً فكنتم عون كل ملمةٍ
وتخذتكم لى جُنّةً فكأنما نظر العدوّ مقاتلى من جُنتى
فلأ نفضَنَّ يَدىَّ يأساً منكم نَفْضَ الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى [من البسيط] :

عد السَّداد فمى عما يريبكُمُ لكن فَمُ الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال [من الكامل] :

هَبنى سكت أما لسانُ ضرورتى أهْجى لكلٍّ مقصّرٍ من منطقى

وقول سُليك بن سُلَكة [من الطويل] :

تبسّمُ عن ألْمى اللّثات مُفلّج خَليقِ الثنايا بالعُذُوبة والبردِ

وما ذقته إلا بعينى تفرُّساً ... كما شِيمَ ماء فى السحابة من بُعْدِ

وقال نُصَيب [من الطويل] :

كأن على أنيابها الخمرَ شجَّها ... بماء النَّدى فى آخر الليل غابقُ

وما ذقتُه إلا بعينى تفرُّساً ... كما شِيمَ فى أعلى السحابة بارقُ

وأحسن بشار اتباعهما بإيجازه فقال [من البسيط] :

يا أطيب الناس ريقاً غير مُختَبِرٍ ... إلا شهادةَ أطراف المساويكِ

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فمنه قول ابن الرومى [من الطويل] :

وما سرُّ عيدان الأراك بريقُها ... تناوحها فى أيكها تتهصَّرُ

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقَهَا ... لأعذبُ من هاتيك سقياً وأخصَرُ

وما ذقتُه إلا بشَيْمِ ابتسامها ... وكم مَخْبَرٍ يبديه للعين مَنظرُ

بدالى وميضٌ شاهد أن صَوْبه ... عريضٌ وما عندى سوى ذاك مُخْبِرُ

وقول أحمد بن إبراهيم الكاتب [من الخفيف] :

فمتى ترشفى سواكَ أراكٍ ... يبطل المسك نشرُ ذاك السِّواك

بأبى ثغرُك النقىُّ الذى نمَّتْ على طيبه فروعُ الأراك

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وثغر لها طيبٌ واضحٌ ... لذيذ المقبَّلِ والمبتَسَمْ

وما ذقته غير ظنى به ... وبالظنِّ يقضى على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثى [من الوافر] :

كأن مُدامة صهْباء صِرْفاً ... تُصفَّق بين راووق ودَنٍّ

تُعَلُّ بها ثنايا أم سلمى ... فراسة مُقلتى وصحيحُ ظنى

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

ياظبية تخشى إذا نَظَرت فتكاتِ سود لحاظها الأسد
إن قلتُ ريقك خمرة شهدَتْ قُضُبُ الأراكِ بأنه شهدُ

وقول البهاء زهير [من الطويل] :

وتبْسِمُ عن ثغر يقولون إنه حَبابٌ على صهباء كالمِسك تنفح
وقد شهد المسواكُ عندى بطيبه ولم أر عدْلاً وهو سكران يطفحُ

وقو السموأل بن عادياء اليهوديّ [من الطويل] :

يُقربُ حبُّ الموت آجالَنَا لنا وتكرهه آجالُهم فتطولُ

وقال أبو الطيب [من البسيط]

* أفناهم الصّبر إذْ أبقاهُمُ الجزعُ *

وقال الأسود بن يعفر [من الكامل] :

يسعى بها ذو تَوأمين كأنما قنأت أنامله من الفِرْصَادِ

فأحسن أبو نُوَاس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال [من السريع] :

تبكى فتُذْرِى الدرّ من نرجس وتلطم الورد بعُنّاب

وتقدم ذكره فى شواهد التشبيه

وقال أبو تمام يصف قصائده [من الطويل] :

يراها عِياناً من يراها بسَمْعِهِ ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع
يودّ وداداً أن أعضاء جسمه إذا أُنشِدَتْ شوقا إليها مسامعُ

وقال الأخطل يصف بعض القيان [1] [من المنسرح] :

جاءت بوجْهٍ كأنه قمرٌ على قَوَام كأنه غُصن

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

حتى إذا ما استوت بمجلسها وصار فى حجرها لها وثن
غنت فلم تبق فى جارحة إلا تمنت أنها أذن

والمرقص المطرب فى هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

وقال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبتها فى قلب عاشقها مجرى المعافاة فى أعضاء منتكس

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال [من المديد] :

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن [من الكامل] :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت فى النفس

وقد مر طرف من هذا المعنى فى ترجمة أبى نواس فى أوائل الفن الأول

وحدث أبو بكر ابن هارون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل الشاعر ، فجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معانى فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذاك أعزك الله ؟ فقال : قلت [من الطويل] :

وإن امرأ أسدى إلى بشافع إليه ويرجو الشكر منى لأحمق

فأخذه أبو تمام فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دعبل : كذبت والله ، قبحك الله ! فقال الرجل : إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى ببيتك فى الحالتين ، فغضب دعبل وقام .

وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسدى إليك بشافع   خيراً فذاك الخيرُ خيرُ الشافع

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه ، إلا قول عنترة [من الكامل] :

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ   غَرِداً كفعلِ الشارب المُترنِّمِ

هَزِجاً يحُكُّ ذراعَه بذراعِه   قَدْحَ المكِبُّ على الزناد الأجذَمِ

وقال الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض ، غير قول عنترة فى الأوائل ، وأنشد البيتين ، وغير قول أبى نواس فى المحدثين [من الطويل] :

تُدارُ علينا الرّاح فى عَسْجَدِيَّةٍ   حبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ

قَرارَتُها كِسْرَى وفى جنباتها   مَهاً تدّريها بالقِسِىِّ الفوارسُ

فللرّاحِ ما زرّتْ عليه جُيُوبُها   وللماء ما دارتْ عليه القلانِسُ

فانه أراد بالعسجدية كؤوسا مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة كسرى ، وصور المها والفوارس ، ومعنى البيت الأخير منها أن حدّ الخمر من هذه الصور التى فى الكؤوس إلى التراقى والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى مافوق رؤوسها ، وقد يكون الْحبَابُ هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة ، وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

فلما استَطَابُوا صبَّ فى الصحن نصفَه   ووافَوْا بماء غير طرْقٍ ولا كَدِرْ

جعل الماء والشراب قسمين ، فتسلق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور .

وذكرت بأبيات أبى نواس هذه تضمين أبى الحسين الجزار لها فى يوم نوروز

وكتب به إلى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة إلى وصف الصفاع يوم النوروز ناقلا الراح من اسم الخمر إلى جمع راحة ، وهى اليد ، وهو [من الطويل] :

كتبتُ بها فى يوم لَهْوٍ وهامتى ... تمارسُ من أبطاله ما تمارسُ

وعندى رجالٌ للمُجُون تَرَجَّلَتْ ... عمائمُهُمْ عن هامهم والطيالسُ

فللراح ما زرَّتْ عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ

مساحِبُ من جرِّ الزقاقِ على الصفَا ... وأضغاثُ أنطاعٍ جَنِيٌّ ويابس

وما زال العلماء بالشعر وجهابذة المعانى يرون أن قول عنترة السابق أوحد فَرْدٌ ويتيمٌ فذٌّ ، وأنه من المعانى العقْم التى لا تولد ، على أن ابن الرومى قد تعلق بذيله فى معنى البيت الأول وزاد عليه بقوله [من الطويل] :

إذا ارتفعت شمسُ الأصيل ونَفَّضَتْ ... على الأفُقِ الغربىِّ وَرْساً مذعذعا

وودَّعَتِ الدنيا لتقضى نَحْبَهَا ... وشوَّل باقى عُمْرِها فتَشَعْشَعَا

ولاحظَتِ النوَّار وهى مريضةٌ ... وقد وضعَتْ خَدًا إلى الأرض أضْرَعا

كما لاحظت عوَّادها عيْن مُدْنَفٍ ... توجَّع من أوصابها ما توجعا

وبين إغضاء الفراق عليهما ... كأنهما خلاَّ صفاء تودَّعا

وقد ضَرَبَتْ فى خُضْرَةِ الروض صفْرةٌ ... من الشمس فاخضَرَّ اخضرارًا مُشَعْشَعا

وظلَّتْ عيونُ الروض تخضلُ بالندى ... كما اغرَوْرقَتْ عينُ الشجىِّ لتدمعا

وأذكى نسيمُ الرَّوض رَيْعَان ظلِّهِ ... وغَنَّى مغَنِّى الطيرِ فيه فَرَجَّعَا

وغرَّدَ ربعىُّ الذباب خلاله ... كما حَثْحَثَ النشوان صيحاً مشرَّعا

فكانت أرانينُ الذباب هنالكم ... على شَدَوات الطير ضَرْباً مُوَقَّعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون [من البسيط]:

سَارُوا ومِسْكُ الدياجى غيرُ منهوبِ ... وطُرَّةُ الشرق غُفْلٌ غير تذهيبِ

على رُبًا لم يَزَلْ شادى الذباب بها ... يلهى بآنق ملفوظ ومضروبِ

كالغيد فى قُبَبِ الأزهار أذرعه ... قامَتْ له بالمثانى والمضاريبِ

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى [من الطويل] :

كأن أهازيجَ الذبابِ أساقِفٌ ... لها من أزاهيرِ الرِّياضِ محاريبُ

وقال السلامى فى وصف زُنْبُور [من الطويل] :

إذا حك أعلى رأسِهِ فكأنما ... بسالِفَتيه من يديه جَوَامِعُ

وتعرض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله [من الرجز] :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وَحَكَى ... تكلف الأجْذَم فى قطْعِ السَّنَى

كأنَّمَا النَّورُ الذى يفْرَعهُ ... مُقْتَدِحاً لزنده سَقْطُ وَرَى

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الاكباب والحك ، ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع ، مع التكلف البادى على قوله «تكلف الأجذم فى قطع السنى» ثم رام أن يزيد فيه فقال « كأنما النور — البيت » وقوله « يفرعه » أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الأخرى ، والسقط — مثلث السين — ما يسقط من النار عند القدح .

ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة ، حتى يتبين الفضل للثانى على الأول ، والشفوف[1] للآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحاً لنفسه ، وماسخاً للمعنى الذى تعرض لأخذه

(١) كذا ، ولعله «والتفوق»

ترجمة سلم الخاسر

وسلم الخاسر (١) هو ابن عمرو مولى بنى تَيْم بن مرة (٢) ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، وهو شاعر بصرى مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، ولقب بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : لأنه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك ، وقيل : لأنه ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقى لا شىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه سلماً الخاسر ، وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه ، ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : أكذب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها وقال لهم : هذه المائة ألف التى أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر ، وقيل : إنه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبوراً فكان يقال له : ويلك هل فعل أحد ما فعلت ؟ فيقول : لم أجد شيئاً أسر به إبليس وهو أقر لعينه من هذا .

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال : كان سلم تلميذ بشار إلا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية ويقول : هو أشعر الجن والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما [من الوافر] :

تعالى الله ياسلْمُ بْنَ عمْرٍو ... أذلّ الحرصُ أعناق الرجالِ

---

(١) لسلم الخاسر ترجمة فى الأغانى (٢١ / ٧٣-٨٤ الساسى) وفى مهذب الأغانى (٩ / ٤٥)

(٢) فى الأصول « مولى بنى تميم بن مرة » محرفا ، والذى يوضح تحريفه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أحد بنى تيم

هَب الدُّنْيا تصيرُ إليك عفْواً   أليْسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ؟

قال : وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه ، وقال : لعمرى لقد صدق ، إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا ، ومافتشت عن حريص قط بعيبة إلا انكشف لى عما أذمه به ، وبلغ ذلك سلما ، فغضب على أبى العتاهية وقال : ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنى حريص وقد كنز البِدَرَ ، وهو يطالب ، وأنا فى ثوبىَّ هذين لا أملك غيرها ، وانحرف عن أبى العتاهية .

وحدث القضاعى أن سلما كتب إلى أبى العتاهية [من السريع] :

ما أقْبح التزهيد من واعظٍ   يزهِّدُ النـاسَ ولا يزهَدُ
لو كان فى تزهيدِهِ صادقاً   أضْحَى وأمسى بيتُه المسجدُ
ورَفضَ الدنيا فلم يلْقَها   ولم يكن يَسْعَى ويستَرْفِدُ
يخـاف أن تَنْفَدَ أرْزاقُه   والرزقُ عندَ اللهِ لا يَنْفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَنْ تَرَى   ينـالُه الأبيضُ والأسوَدُ
كلٌّ يوفَّى رزْقَه كامـلاً   من كفَّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَدُ

وحدث العباس بن عبد الله قال : كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشد شعره فى الزهد ، فقال لى قُثَم : يا عباس ، اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به ، ولك شىء ، فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجب الأمير ، فقام حتى أتى قثَمَ فجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية ينشد ، ثم قام إليه الجماز فواجهه ، وأنشده أبيات سَلْم هذه ، فقال أبو العتاهية : مَنْ هذا أعز الله الأمير؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له ، وأنشد البيتين السابقين ، قال : فقال أبو العتاهية للجماز : يابن أخى ، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذهب خالك ، ولا أردت أن أهتف به ، ولا أذهب فى حضورى

وإنشادى حيث ذهب من الحرص على الرزق ، والله يغفر لكما ، ثم قام وانصرف

وحدث أبو محمد اليزيدى أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهجنى على روى قصيدة امرىء القيس [من المديد]:

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَل مُخْرِجٍ كفّيْه من سِتَرِهْ

قال : فقلت له : ماذا دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد ، فقلت : أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر ، فلْتَسَعْكَ العافية ، فقال : إنك لتحتجز غاية الاحتجاز منى ، وأريد أن توهم عيسى أنى مفحم لا أقدر على ذلك . فقال لى عيسى : أسألك يا أبا محمد بحقى عليك إلا فعلت ، فقلت [من المديد] :

رُبَّ مغمورٍ بعافيةٍ غَمط النَّعْماء من أشَرِهْ
وامرئٍ طالتْ سلامتهُ فرماهُ الدهرُ من غِيَرِهْ
بسهامٍ منه مقْوِيةٍ نَقَضَتْ منه قُوَى مِرَرِهْ
وكذاك الدهر مُنْقَلِبٌ بالْفتى حالَيْن من عُصُرِهْ
يخلطُ العُسْرَى بِمَيْسَرَةٍ ويسارَ المرء فى عُسُرِهْ
عقَّ سَلم أمَّه صِغَراً وأبا سَلم على كِبَرِهْ
كلَّ يومٍ خلْفَهُ رجُلٌ رامحٌ يسْعى على أثَرِهْ
يولِج الغُرْمُولَ سُبَّتَهُ كولوج الضبِّ فى جُحُرِهْ

قال : فاغتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغى والتعرض للشر ، فضحك عيسى وقال : قد جَهِدَ الرجل أن تدعه وصيانته ودينه ، فأبيت إلا أن يدخلك فى حر أمك .

وحدث محمد النوفلى ، قال : كان المهدى يعطى مروان[1] وسلما الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتى باب المهدى على البِرْذَوْن الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ، ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ،

(١) يريد مروان بن أبى حفصة ، وسيتمم اسمه فى تمام الحديث

ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه، ويجئ مروان بن أبى حفصة عليه فَرْو كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَم إليه بخلا ، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله ، فقال له قائل : أراك لا تأكل إلا الرأس ، قال : نعم ، أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ، ولا أشترى لحما فيأكله ويطبخ منه ، والرأس آكل منه ألواناً : آكل من عينيه لوناً ، ومن غَلْصَمَته لوناً ، ومن دماغه لوناً .

وحدث الحسن الربيعى، قال : كان سلم الخاسر قد بُلى بالكيمياء ، فكان يذهب بكل شيء له باطلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل له أحد إلا ليلا ، فسأل عنه ، فدلُّوه عليه ، قال : فدخلت إليه إلى موضع مغور ، فدققت الباب ، فخرج إلى ، فقال : مَنْ أنت عافاك الله ؟ فقلت له : رجل مُعْجَب بهذا العلم ، قال : لا تشهرنى فانى رجل مستور ، وإنما أعمل للقوت ، قال: فقلت : إنى لا أشهرك ، وإنما أقتبس منك ، قال: فاكتم ذلك ، قال : وبين يديه كوز شَبَهٍ صغير ، فقال لى : اقلع عُرْوَته ، فقلعتها ، فقال : اسبكها فى البوْتقَةِ ، فسبكتها ، فأخرج شيئا من تحت مُصلَّاه ، فقال : ذُرَّه عليه ، ففعلت ، فقال : أفرغه ، فأفرغته ، فقال: دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد إلى ، فأخرجته إلى باب الشأم فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ، ورجعت إليه وأخبرته ، فقال : اطلب الآن ما شئت ، فقلت : تفيدنى ، قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحد ، فأعطينه ، وكتب لى صفة ، فامتحنتها فاذا هى باطلة ، فعدت إليه ، فقيل لى : قد تحول ، فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شبَه ، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت، وعلمت أن الله تعالى أراد بى خيرا ، وأن هذا كله باطل .

وحدث أبو المستهل الأسدى قال : كان سلم الخاسر يُهَاجى وَالِبَةَ بن الحباب فأرسلنى إليه سلم فقال : قل له [من المنسرح] :

والبَةَ بْن الُحباب يا حَلَقِى لستَ منَ اهل الزِّناء فانطلق

تُدخِلُ فيك الغرمول تولجهُ مثلَ ولوج المِفتاح فى الغَلَقِ

فأتيت إليه فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الزانية سَلْ عنك ريعان التميمى ، يعنى أنه ناكه ، وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات ، وكان غلامه ظريفا ، وكان يقول : نكت الهيثم بن عدى ، فمن ترونه يفلت منى بعده .

وحدث أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم مثل هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت .

وحدث زكرياء بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيئا ، وقد خرجت له جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق [من البسيط] :

يا أم سَلْمٍ هداكِ الله زُورينا كيما ننيكَكِ فرداً أو تنيكينا

ما إنْ ذكرتك إلاهاجَ لى شَبَقٌ ومثلُ ذكراك أم السَّلْمِ يُشْجِينا

قال : فجاء سَلْم ، فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

وحدث محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيع على المهدى ، وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا ، فقال له أبو عبيد الله : مر هذا أن يتنحى ، يعنى الربيع ، فقال له المهدى : تَنَحَّ ، قال : لا أفعل ، فقال : كأنك ترانى بالعين الأولى ، قال : لا ، بل أراك بالعين التى أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ

أمرتك ؟ فقال له : أنت ركن الاسلام ، ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها ، فقام المهدى مذعورا ، وأمر بتفتيشه ، فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزل أبو عبيد الله ، وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه [من مجزوء الكامل] :

يعقوبُ ينظرُ فى الأمو رِ وأنتَ تنظر ناحيه

أدخلته فعلا عليـــك كذاكَ شؤمُ الناصيهْ

قال : وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق ، فقال له المهدى : هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم مَنْ كَذَبَكَ ، فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا ، فأقر ، فاستتابه فلم يتب ، فقال لأبيه : اقتله ، فقال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله .

وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس ، وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها ، فقال : ما وضعت بينى و بين الأرض خشبة أوطأ منها ، حاشا سامعى ، فقال المهدى لأبيه : أتراه يعنينى أو يعنيك ؟ قال : لا ، بل يعنى أمه الزانية ، لا يكنى .

وحدث يحيى بن الحسن قال : حدثنى أبى قال : كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدعت ، وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدَّها ، فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا اعتل قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة ، فأى شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان ، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع [من البسيط] :

وابنُ الذى جَبَرَ الاسلامَ يومَ وَهى واستنقذ الناسَ من عمياء صيخُود

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ أين الربيع؟ وأعطَوْا بالمقاليد
فقام بالأمْرِ مئناساً بوَحْدَتِهِ ماضى الضريبة ضرَّابُ القماحيد(١)
إنْ الأمور إذا ضاقت مَسالِكُها حلّتْ يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضل قد بَنيا رِوَاق مجدٍ على العباس ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

وحدث أبو دعامة قال : قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين [من الكامل] :

قد بايعَ الثقلانِ مهديَّ الهُدَى لمحمدِ ابنِ زُبيْدَة ابنةِ جعفرِ
ولّيته عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم .

وحدث ميمون بن هارون قال : دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نوروز ، والهدايا بين يديه ، فأنشده [من مجزوء الوافر] :

أمِنْ رَبْعٍ تسائلُهُ وقد أقْوَتْ منازلُهُ(٢)
بقلبى مِنْ هَوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايلُهُ(٣)
رويدكمُ عن المشغو فِ ، إنَّ الحب قاتلهُ
بلاَبلُ صدره تَسْرِى وقد نامت عوَاذِلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـــلِ منْ تُرْجى فواضلُهُ

---

(١) في مهذب الأغانى «فقام بالأمر مئناس بوحدته» والقماحيد : جمع قمحودة وهي مؤخر القذال

(٢) أقوت منازله : أقفرت وخلت من الأنيس

(٣) يزايله : يفارقه ويغادره

رأيتُ مكارمَ الأخلا ... قِ ما ضمتْ حمائلهُ

ولستُ أرَى فتًى فى النا ... سِ إلا الفَضْل فاضِلهُ

يقول لسانُه خيراً ... فتفعلهُ أناملهُ

ومهما تَرْجُ من خيرٍ ... فانَّ الفضل فاعلهُ

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين فقال لابراهيم : ما تسمع ؟ قال : أحسن مسموع ، وفضلُ الأمير أكبر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدى إلىَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذاك التمثال ، فانى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير ، ثم قال : لاوالله ، ما هكذا يفعل الأحرار ، يُقَوَّمُ ويدفع لهم ثمنه ، ثم نهديه ، فقوم بألفى دينار ، فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وحدث الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه ، فمنعه ، فقال اسمع إذن ماقلته ، فأنشده [من مجزوء الرمل] :

حدثونى أن سَلْماً ... يشتكى جارة أيره

فهو لا يحْسُدُ شيئاً ... غيرَ أيرٍ فى استِ غيرهْ

وإذا سَرَّكَ يوماً ... ياخليلى نَيْلُ خيره

قُمْ فمُرْ راهبَكَ الأصـلَعَ يقْرَعْ بابَ ديرهْ

فضحك منه سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال: أحب جُعِلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا .

وحدث أبو دعامة قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده [من مجزوء الكامل] :

* حَىِّ الأحبةَ بالسَّلَامْ *

فقال الرشيد : حياهم الله ، فقال :

* أعلى وَداعٍ أم مقام *

فقال الرشيد : حياهم الله على أى ذلك كان ، فأنشده :

لم يبق منك ومنهمُ غيرُ الجلود على العظام

فقال الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتَطَيَّرَ منه ومن قوله ، فلم يسمع باقى شعره ، ولا أثابه بشىء .

وقال القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد : ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانى ، فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه [من مجزوء الرجز] :

لعاصم سماء عارضُها هتّانْ
أمطارُها الابريز واللُّجينْ والعقيان(١)
ونارُهُ تنادِى إذ خبتِ النيرَانُ
الجودُ فى قحطانِ ما بقيتْ غسّانُ
اسلَمْ ولا تُبالى ما فعلَ الاخوَانُ
صَلّتْ له المعالِى والسيفُ والسِّنانُ
ماضٍ مُرتجيهِ ما فعل الزّمانُ
مَنْ غاله مَخُوفٌ فهوَ له أمانُ

وعاصم بن عتبة هذا هو جد أبى الشمر الغسانى ، وكان صديقا لسلم الخاسر

---

(١) فى مهذب الأغانى روى هذا البيت هكذا :

مطارها اللجين والدر والعقيان

كثير البر به والملاطفة له ، فأعطاه على هذه الأبيات سبعين ألف درهم ، وكان جملة ما وصل إلى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال : إنى ميت ، ولا وارث لى ، و إن مالى مأخوذ ، فأنت أحق به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم .

وحدث حماد عن أبيه قال : استوهب أبى من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها خمسين ألف دينار

وحدث أبو دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفى ، وخلف مما أخذه منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديماً ، فقبضه الرشيد ، فتظلم إليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : هذا خادمى ونديمى والذى خلَّفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

ولما مات سلم الخاسر قال أشْجَعُ السُّلمى يرثيه [من السريع]:

يا سَلْمُ إن أصبحْتَ فى حفْرَةٍ   مُوسداً تُرباً وأحجارا
فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ   خَلَّفْتَهُ فى الناس سيارا
قلدته ترباً وسيرته   فكان فخراً ذاك أو عارًا
لو نَطَقَ الشعر بكى عبرةً   عليه إعلاناً وإسرارا

***

١٨٧ — هَيْهَاتَ أن يأتى الزَّمَانُ بمثْلِهِ   إن الزَّمانَ بمثلهِ لَبَخِيلُ

***

١٨٨ — أعْدَى الزمان سَخَاؤه فَسخَا به   ولَقَدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل يرثى بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد فى بعض غزواته ، وأولها [١] :

بأبى وغير أبى ، وذاكَ قليلُ ثاوٍ عليه ثرَى السباخ مَهيلُ
خذلتْهُ أسرَتُهُ كأنَّ سَرَاتَه جهلوا بأن الخاذل المخذولُ
أكالُ أشلاءِ الفوارس بالقنا أضحَى بهنَّ وشِلْوُهُ مأكولُ
كفى فقتْلُ محمدٍ لىَ شاهدٌ إنَّ العزيزَ مع الفناء ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فانه قَدْ يُستضامُ المُصْعَبُ المعقولُ [٢]
مستحسَنٌ وجهُ الردى فى معركٍ قُبْحُ الحياة بحومتيه جميل [٣]
أنسَى أبا نَصْرٍ ؟ نَسِيتُ إذن يدى فى حَيْثُ ينتصر الفتى ويُنيل

وبعده البيت ، وما أحسن ما قال بعده :

ما أنْتَ بالمقتول صبراً ، إنما أملى غَدَاةَ نعيكَ المَقْتولُ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبي ، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام ، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه ، وأولها :

فى الخد إنْ عزَمَ الخليطُ رَحيلا مطَرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولاً
يا نَظْرَةً نفت الرقادَ فغَادَرَت فى حَدِّ قلبى ما حييتُ فُلولا [٤]

---

(١) اقرأها فى الديوان (٢٧٥ بيروت)
(٢) فى الأصل رواية هذا البيت هكذا :
إن يستضم بعد الاباء فانه يقتاد لخل الصرمة المعقول
وأثبتنا ما فى الديوان
(٣) فى الديوان « وجه الحياة بحومتيه جميل »
(٤) فى الديوان « يانظرة نفت الرقاد وغادرت »

كانت من الكحلاء سؤلى إنما أجلى تمثل فى فؤادى سولاَ

يقول فى مديحها:

محك إذا مطل الغريمُ بدَينه جعلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا (١)

نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ أعطى بمنطقه القلوب عقولا

و بعده البيت ، و بعده :

فكأنَّ بَرْقاً فى مُتون غمامةٍ هندِيهُ فى كفِّهِ مساولاَ

ومحل قائمه يسيلُ مواهباً لو كنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ سبيلاَ

رقَّتْ مضارِبه فهنَّ كأنما يُبدينَ من عشقِ الرقابِ نحولاَ

أمعفرَ الليثِ الهزَبْرِ بسوطهِ لمن ادَّخَرْتَ الصارمَ المصقولا

واستمر فى وصف الليث إلى أن قال :

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه فكأنما صادَفْتَهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمته به وبحالهِ فغدَا يهرولُ أمسِ منكَ مهولاَ (٢)

وأمرُّ مما فرَّ منه فِرارُه وكقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

تلَفُ الذى اتخذَ الجراءة خُلةً وَعظَ الذى اتخذ الفرار خليلاَ

لو كان علمكَ فى الالهِ مُقَسَّماً فى الناس ما بعثَ الالهُ رسولاَ

لو كان لفظكَ فيهمُ ما أنزل التـورةَ والفرْقان والانجيلاَ

لو كان ما تعطيهمُ من قبل أن تعطيهمُ لم يعرفوا التأميلاَ

فلقد عُرفتَ وما عُرفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهلتَ خُمولا

نطقتْ بسودَدِك الحمامُ تغنيا وبما تجشمها الجيادُ صهيلاَ

---

(١) محك ـ بفتح الميم وكسر الحاء ـ اللجوج ، وقالت أعرابية :

إذا الخصوم اجتمعت جثيا وجدت ألوى محكا أبيا

(٢) في الديوان « فنجا يهرول منك أمس مهولا »

ما كل مَنْ طَلَبَ المعالى نافذا فيها ولا كل الرجال فُحُولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو ، وأنا أستغفر الله تعالى لى وله .

والشاهد فى البيتين : كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة .

وهذا الأخذ مذموم مردود ، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة ، فإن المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام ، لكن مصراع أبى تمام أجود سبكا ، لأن قول أبى الطيب « ولقد يكون » بلفظ المضارع لم يصب محزَّه ، إذ المعنى على الماضى ، والمراد « لقد كان » .

و ينظر إلى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد [من الكامل] :

يا طالباً مِنْ ذا الزمان شبيهَهُ هيهات كلَّفْتَ الزمانَ مُحَالا

و ينظر إلى صدر بيت المتنبي قول السَّلامى فى الوزير سابور [من الكامل]:

أعْدَى الزمانَ نَدَى أبى نصر فلو سُمْنَاهُ أن يهَبَ الصبى لم يَبْخَلِ

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى [من الكامل] :

مَضَتِ الدهورُ وما أتَيْنَ بمثلِهِ ولقد أتى فَعَجَزْنَ عن نُظَرَائِهِ

ومن الأخذ المذموم قول بعض الأعراب [من السريع]:

وريحها أطيبُ من طِيبها والطيبُ فيه المسك والعَنْبَرُ

وقول بشار بعده [من الرمل] :

و إذا أدنَيْتَ منهُ بَصَلاً غلبَ المسْكُ على ريح البَصَلْ

وقول أشجع السلمى [من الكامل] :

وعلى عدوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ

فاذا تَنَبَّهَ رُعتَه و إذا غَفَا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

وقول أبي الطيب بعده [من الوافر] :

يرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاَهُ ... ويخشى أن يراهُ فى السُّهَادِ

وكذا قول السرى الرفاء وإن كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك ، وهو [من البسيط] :

تَرُوعُ أحشاءهُ بالكتب وَهْوَ لَهَا ... خوْفَ الرَّدَى ورجاءِ السِّلمِ مُستَلِمُ

لا يَشْرَبُ الماء إلا غَصَّ من حَذَرٍ ... ولا يهَوِّمُ إلا راعَهُ الحُلُمُ

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة [من البسيط] :

كأن هاربهُمْ والخوف يَطْلُبُهُ ... يبدو لديه مثالٌ منه أو مَثَلُ

فإن تنبَّهَ يوماً راعَهُ ، وإذا ... غفَا جلَتْهُ عليه فى الكرَى المقَلُ

وقول الخنساء [من الطويل]:

وما بلغ المُهْدُونَ للناس مدحَةً ... وإن أطنَبُوا إلا وما فيكَ أفضَلُ

وقول أشجع [من الطويل] :

وما ترك المداح فيكَ مقالةً ... ولا قال إلا دونَ ما فيكَ قائلُ

وهذا الباب واسع لا طاقة لأحد على حصره ، وهذه النبذة كافية فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

١٨٩ — لَوْ حَارَ مُرْتادُ المَنِيَّةِ لم يجِدْ ... إلا الفِراقَ على النفُوس دَليلاَ (١)

* * *

شواهد مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه

١٩٠ — لولا مُفَارَقَةُ الأحبَابِ ما وَجَدَتْ ... لَهَا المنَايا إلى أرْوَاحِنَا سُبُلاَ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها نوح بن عمرو

(١) فى الديوان (٢٤٢) « لو جاء مرتاد المنية »

السكسكى ، أولها :

يومَ الفراقِ لقد خُلِقتَ طويلا لم تُبْقِ لى صبراً ولا معْقُولا[1]

و بعده البيت ، و بعده[2] :

قالوا الرحيل فما شككتُ بأنها نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحيلاَ

الصبرُ أجملُ غيرَ أن تذلُّلى فى الحب أحْرَى أن يكونَ جميلاَ

أتظنُّنى أجدُ السّبيلَ إلى العزَا وَجدَ الحِمامُ إذن إلىّ سبيلاَ

ردُّ الجموحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً من رد دمعٍ قَدْ أصابَ مَسِيلاَ

وهى طويلة .

والارتياد : الطلب ، و إضافة المرتاد إلى المنية بيانية ، أى المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق .

ومثله قول الحِمّانى [من الكامل] :

ولقَدْ نظَرْتُ إلى الفراق فلم أجد للمَوْتِ لو فقِدَ الفراق سبيلا

والبيتُ الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها شجاع ابن كلاب الطائى وأولها :

أحيا وأيْسَرُ ما لاَقيْتُ ما قتلا والبينُ جارَ على ضعفى وما عَدَلا

والوَجدُ يَقْوَى كما يَقْوَى النوى أبداً والصبرُ ينْحلُ فى جسمى كما نحلاَ

و بعده البيت ، و بعده :

بما بجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صلى دنفاً يهْوَى الحياة ، وأما إن صَدَدت فلاَ

إن لا يَشِبْ فلقد شابتْ له كبدٌ شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سلوة نَصَلاَ

يجُنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً تزورُه فى رياح الشرق ما عقَلاَ

---

(١) فى الديوان « لم تبق لى جلدا »

(٢) بيت الشاهد تال للبيت الذى أوله « قالوا الرحيل »

هافانظُرى أوفظُنى بى ترَى حُرَقاً مَنْ لم يذق طَرَفاً منها فقد وألاَ[(١)]
عَلَّ الأميرَ يرَى ذلى فَيَشْفَع لى إلى التى تركتنى فى الهوى مَثَلاَ

وهذا البيت من الخالص القبيحة التى عِيبَتْ على المتنبى ، وسببُ القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه و بين محبو بته فى الوصال ، وفى ذلك ما فيه ، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله [من الطويل] :

سأشكو إلى الفَضْلِ بن يحيى بن خالد هواكِ لعل الفَضْلَ يجْمَعُ بيننا

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن ذريح [(٢)] حين طاق لُبْنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشَبَّب بها فى كل مغنى ، فرحمه ابنُ أبى عتيق ، فسعى فى طلاقها وأعادها إلى قيس ، فى خبر طويل ، فقال يمدحه [من الوافر] :

جزَى الرحمن أفْضَلَ ما يجازى على الاحسان خيراً من صديق
وقد جرَّبْتُ إخوانى جميعاً فما ألفيت كابْنِ أبى عتيق
سَعَى فى جمع شملى بعد صَدْعٍ ورأى حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوْعَةً كانت بقلبى أغَصَّتْنى حرَارتها بريقى

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المدح فما سمعه أحد إلا وظننى قواداً .

ولنرجع إلى الكلام على البيتين .

والشاهد فيهما : مماثلة المأخوذ المأخوذ منه ، فيكون أبعد من الذم ، والفضل للأول إن لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو

---

(١) الحرق ــ بضم الحاء وفتح الراء ــ جمع حرقة ، وأراد لواعج الغرام وآلامه ، ووأل : نجا . تقول : وأل يئل ، مثل وعد يعد ووصف يصف

(٢) فى الأصول « قيس بن الذريح »

مذموم جدا ، فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان ، وبَدَّلَ النفوس بالأرواح .

ومنه قول أبى تمام [من الوافر] :

مقيمُ الظن عِندكَ والأمانى وإن قَلِقَتْ ركابى فى البلادِ
ولا سافَرْتُ فى الآفاق إلا ومِنْ جَدْواكَ رَاحِلَتِى وزادى (١)

وقول المتنبى [من الوافر]:

محبكَ حيثما اتجهَتْ رِكابى وضَيْفُكَ حيث كنتُ من البلادِ

وقول القاضى الأرجانى [من الكامل] :

لم يُبكنى إلا حديث فِرَاقِكم لما أسَرَّ به إلى مُوَدِّعِى
هو ذلك الدُّرُّ الذى أوْدَعْتمُ فى مَسْمَعِى ألقيته مِنْ مَدْمَعِى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه [من الطويل] :

وقائلة ما هذه الدرر التى تُساقِطُها عيناكَ سمطَيْنِ سمطينِ
فقلت هو الدرُّ الذى قد حشَا به أبو مُضَرٍ أذنى تَسَاقَطُ من عينى

وقول إبراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير (٢) [من المتقارب] :

نَجَا بك لؤْمُك منجى الذبابِ حَمَتْهُ مقاذيرُه أن يُنالا

وقول ابن حجاج بعده [من الوافر] :

على أنى أظنكَ كنتَ تنجو بِعِرْضِك من يدى مَنْجَى الذباب

وقول أبى نواس [من الطويل] :

تَستَّرْتُ من دهرى بظلِّ جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرَانى

---

(١) فى الديوان والموازنة :

* وماسافرت فى الآفاق إلا *

(٢) كذا ذكر جماعة منهم صاحب اليتيمة ، والذى فى أخبار أبى تمام أن المقول فيه محمد بن عبد الملك بن أبان

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

سترْتُ بظله من رَيب دهرى فطال على النوائب أن ترانى

وقول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمَّارَةٍ من بنات اليهود نرى الزق فى بيتها شائلاَ

وزنّا لها ذهباً جامداً فكالَتْ لنا ذهباً سائلاَ

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

وخمَّاراً أعدَّ الكأس ظِئْراً لطارِقَةٍ فلم تُرْضِعْهُ غَيْلاَ

أوفّيهِ خلاص التبر وزناً فيسكبه ويعطينيه كيلاَ

ولابن حمديس فى مثله [من المتقارب] :

وضعتُ بميزانها درْهمى فسيَّلَ بالكأس دينارَها

وقول جَحْظَة البرمكى ، أو على بن جبلة [من الرمل] :

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل شىء جَزِعَا

زائر نَمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بدراً طلعا

راقَبَ الغفلة حتى أمكنَتْ ورعى السامرَ حتى هَجَعَا

رَكِبَ الأهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ثُمَّ ما سَلَّمَ حتىَ وَدَّعَا

وقول المتنبى [من الخفيف] :

بأبى مَنْ وَدِدْتُهُ فافترَقْنَا وَقَضَى اللهُ بعدَ ذَاكَ اجتِمَاعَا

وَافترَقْنَا حَوْلاً فلمَّا التقينا كانَ تسليمهُ علىَّ وَدَاعَا

وقول الحسين بن الضحاك [من الرمل] :

بأبى زَوْرٌ تلفَّتّ له فتنفَّسْتُ عليهِ الصُّعَدَا

بينما أضحكُ مسرُوراً بهِ إذْ تقطَّعْتُ عليهِ كَمَدَا .

وقول الآخر أنشده الصولى [من الخفيف] :

زَائِرٌ زَارَنِى يُشَيِّعُهُ الشوْ قُ قَرِيبُ الهوَى بَعيدُ المرَامِ
كانَ عَنِّى أوْحَى انصرافاً مِنَ اللحْـــظ وَأخفى مِنْ طَارِقٍ فى المنَامِ (١)

وقول العباس بن الأحنف [من الخفيف] :

سَألونا عنْ حَالِنا كيفَ أنتمْ فَقَرَنَّا وَدَاعَنـا بالسؤالِ
ما حَللنا حَتىَّ افترَقنا فَما نَفـــرِقُ بَينَ النزُولِ وَالارْتحالِ

وقول كشاجم ، ويُعزى لأبى الحسين بن طاهر بن محمد النـجرى الكاتب [من الكامل] :

بِأَبى وأُمى زَائِرٌ مُتقنعٌ لَمْ يَخف ضوء البدر تحت قناعِهِ
لَمْ أَسْتتِمَّ عِناَقَهُ لِقـدُومِهِ حتى ابتدأتُ عناَقهُ لوَدَاعِهِ
وَمَضى فأبْقىَ فى فؤادى حسرَةً تركتهُ مَوْقوفاً على أوْجَاعِهِ

ومنه قول الآخر [من الخفيف] :

زار يُهدِى السلاَمَ لم أرَ فصْلاً بَينَ توْدِيعهِ وَبينَ السلاَمِ

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

زَارَنا حَتى إذا ماَ سَرَّنا بِالقرْبِ زَالاَ

ولأبى الشيص فى معناه [من السريع] :

يا حَبذَا الزوْرُ الذى زَارَا كَـأَنهُ مُقتبسٌ نارَا
نَفسى فِدَاءٌ لكَ مِنْ زَائِرٍ ماَحلَّ حَتى قيلَ قدْ سارَا (٢)

---

(١) أوحى : أسرع

(٢) فى الأصل * نفسى فدا لك من زائر ، ولا يتم وزن الشطر حتى تضم إليه الهمزة

وقد عكس ابن أبي البشر الصقلي الكاتب بيت جحظة الأخير ، فقال : يهجو ثقيلا [من الرمل] :

وثقيلٍ قدْ شَنِئْنَا شخصهُ ... مُذْ عرفناهُ مُلِحّاً مُبْرِماَ
ثقّلَ الوطــــأة في زَوْرَتهِ ... ثمّ ماَ وَدَّعَ حتى سَــــلَّمَا

* * *

شواهد السلخ

١٩١ – هُوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ ، وَإنْ يَرِثْ
فللرَّيثُ في بعضِ المواضعِ أنفعُ

* * *

١٩٢ – وَمِنَ الخيرِ بُطءُ سَيبكَ عَنيّ
أسرَعُ السحْب في المَسيرِ الجَهَامُ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

أمَا إنهُ لَوْلاَ الخليطُ المودّعُ ... وَرَبْعٌ عفاَ منهُ مصيفٌ ومرْبعُ
لَرُدَّتْ على أعقَابهَا أريَحِيـــةٌ
مِنَ الشوْقِ وَاديهاَ مِنَ الدَّمْعِ مُترَعُ

وهي طويلة ، وسيأتي طرف منها في التلميح ، إن شاء الله تعالى .

والريث : الابطاء .

والبيت الثاني لأبي الطيب ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها عليّ ابن أحمد الخراساني المريّ أولها :

لا افتخارٌ إلا لِمنْ لا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أوْ مُحَارِبٍ لاَ ينامُ
ليسَ عَزْماً ما مرّضَ المرءُ فيهِ ... ليسَ هما ما عاقَ عنهُ الظلاَمُ

وَاحتمالُ الأذَى وَرُؤيةُ جانيـــهِ غذاء تضوَى بهِ الأجسَامُ
ذَلَّ مَنْ يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منهُ الحِمَامُ
كلّ حِلمٍ أتَى بغيرِ اقتدارٍ حُجةٌ لاجِئٌ إليها اللئامُ
مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوَانُ عليهِ ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

يقول فى مديحها :

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ وَلـكنْ فضلتهَا بقصدِكَ الأقْدَامُ
قَدْ لَعمري أقصرْتُ عنكَ وَللوفْـدِ ازدِحَامٌ وللعطَايا ازدِحَامُ
خفْتُ إنْ صِرْتُ فى يمينكَ أنْ يأ خُذَنى فى هباتِكَ الأقوَامُ
وَمِنَ الرُّشدِ لَمْ أزُرْكَ على القرْ بِ، على البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمَامُ

و بعده البيت ، و بعده :

قُلْ فكمْ منْ جَوَاهرٍ بنظَامٍ وَدُّها أنها بِفِيكَ كلاَمُ
هَابَكَ الليْلُ وَالنهارُ فلوْ تنْـهَاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيامُ

والسَّيْب : العطاء ، والْجَهَام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هراق ماءه .

والشاهد فى البيتين : الالمام ، و يسمى : السلخ ، وهو : أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام : إما أبلغ من المأخوذ منه ، أو دونه ، أو مثله ، فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام ، لاشتماله على زيادة بيان المقصود ، حيث ضرب المثل بالسحاب .

* * *

١٩٣ — وَإذَا تألَّقَ في النديّ كلامُهُ الـــمَصْقُولُ خلْتَ لسانَهُ منْ عَضبِهِ

* * *

شاهد مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه

١٩٤ — كأنَّ ألسُنَهُمْ في النطق قَدْ جعلتْ
عَلَى رِمَاحِهِمُ في الطعْنِ خُرْصَانَا

البيتُ الأول للبحترى ، من الكامل ، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها :

مَنْ سَائِلٌ لمذنبٍ عَنْ خطبهِ أوْ صَافحٌ لمقصرٍ عنْ ذَنبهِ

وهي طويلة يقول في مديحها :

وَإذَا اسْتهلَّ أبُو عَلِيٍّ بالندَى جَاء الغمَامُ المستهلّ بسكبهِ
وَإذَا احتبَى في عقدهِ من حِلمِهِ يوْماً رَأيتَ مَتَالِعاً في هَضْبهِ

و بعده البيت . و بعده :

وإذَا دَجَتْ أقلامُهُ ثُمّ انتحَتْ بَرَقَتْ مَصَابيحُ الدُّجى في كتْبِهِ
فاللفظُ يقرُبُ فَهمُهُ فِي بُعْدِهِ مِنــــا وَيَبعُدُ نَيلُهُ في قُرْبِهِ
وَكأنّهَا وَالحسْنُ مَعْقُودٌ بِهَا شَخْصُ الحبيب بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

ومعنى تألق : لمع ، والنديّ : المجلس الغاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، وَالعضْب : السيف القاطع ، شبه لسانه بسيفه .

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها أبا سَهْل الأنطاكيّ ، أولها :

قَدْ عَلِمَ البينُ منا البينَ أجفَانَا تَدْمَى وألّفَ في ذَا القلب أحزَانَا
أمّلْتُ ساعةَ سَارُوا كشْفَ مِعْصمهَا لِيَلْبَثَ الحَيُّ دُونَ السيرِ حيرَانَا

وَلوْ بَدَتْ لأتاهتْهُمْ فحجَّبها صَوْنٌ عقولَهُمُ منْ لحظها صانَا

إلى أن قال فى مديحها :

ماَ شيدَ اللهُ منْ مجدٍ لسالفهمْ إلا وَنحْنُ نَرَاهُ فيهمُ الآنَا

إنْ كُوتبُوا أوْ لُقُوا أوْ حُورِبُوا وُجدُوا

فِى الخطِّ وَاللفْظِ والهيجاء فُرْسَانَا

و بعده البيت ، و بعده :

كأنهمْ يَرِدُونَ الموْتَ منْ ظمإٍ أوْ ينشقُونَ مِنَ الْخَطِّ رَيْحَانَا

وخرصان الرماح : أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدها : خُرْص بالضم والكسر ، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدُوحين وطلاَقتها .

والشاهد فى البيتين : مجىء المأخوذ دون المأخُوذ منه ، فبيت المتنبي دُون بيت البحترى ، لأنه قدفاته ما أفاده البحترى بلفظى «تألق ، والمصقول» من الاستعارة التخييلية ، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام ، كاثبات الأظفار للمنية ، ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف ، وهو استعارة بالكناية .

* * *

مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

١٩٥ — وَلَمْ يكُ أكثرَ الفتيانِ مالاً

وَلكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِرَاعاً

* * *

١٩٦ — وليسَ بأوْسعهمْ فى الغنى ولكنَّ معرُوفَهُ أوْسعُ

البيت الأول لأبى زياد الأعرابى ، من أبيات من الوافر ، وقبله :

لهُ نارٌ تُشَبُّ عَلىَ يفَاعٍ إذَا النيرَانُ أُلبِسَتِ القناعاَ

وَرَحْب الذراع : كناية عن الوصف بالسخاء ، يقال : فلان رحب الذراع ، وواسع الذراع ، أى سخى .

والبيت الثانى لأشجع السُّلَمى ، من قصيدة من المتقارب ، يمدح بها جعفر ابن يحيي البرمكى .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : لما ولى الرشيدُ جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء ، فأنشدوه ، وقام أشجع فى آخرهم ، فاستأذن فى الانشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أتَصبرُ للبين أمْ تجزَعُ … فإنَّ الدِّيار غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّقُ أهْلُ الهوَى … وَيكثُرُ باكٍ ومُسترجعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِّية بينَ أقطارِها … مَقَاطعُ أرْضِينَ لاَ تُقْطَعُ
تجاوَزْتُهَا فوْقَ عيرَانةٍ … مِنَ الرِّيحِ فى سيرِها أسرَعُ
إلى جعفرٍ نَزَعَتْ رَغبةٌ … وأىُّ فتىً نحوَهُ يُنزَعُ
فمَا دُونهُ لامرىءٍ مَطْمَعٌ … ولا لامرىءٍ غيرهُ مَقنعُ
وَلاَ يرْفعُ الناسُ مَنْ حَطّهُ … وَلاَ يَضَعُونَ الذى يرْفَعُ
تُريدُ الملوكُ مَدَى جعفرٍ … ولاَ يَصنعُونَ كما يَصنعُ

وبعده البيت ، وبعده :

تلوذُ المُلُوكُ بآرائهِ … إذَا نابها الحدثُ الأفظعُ
بَديهتهُ مثلُ تَدْبيرِهِ … متَى رُمْتَهُ فهو مُستجمعُ
وكم قائلٍ إذْ رَأى ثرْوَتى … وَما فى فُضُول الفتى أصنعُ
غدَا فى ظلال نَدَى جعفرٍ … يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ

فقُلْ لخرَاسانَ تَحياَ فقَدْ أتاها ابن يَحيي الفتَى الأروَعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيي ضاحكا ، وَاستحسن شعره ، وَجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد ، وأمر وَنهى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع ، فأنشده [من السريع] :

أمْسَتْ خرَاسَانُ تُعزَّى بما أخطأَها منْ جعفر المُرْتجى

كانَ الرشيدُ المُعْتلِى أمْرُهُ وَلّى على مشْرِقها الأبْلَجَا

ثمَّ أرَاهُ رَأيـهُ أنهُ أمسى إليهِ منهمُ أحوَجَا

فـكم بهِ الرحمنُ منْ كُربةٍ فى مُدَّةٍ تقصُرُ قدْ فرَّجَا

فضحك جعفر ، وقال : لقد هوَّنت علىَّ العزل ، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر ، فسَلنى حاجتك ، فقال : كفانى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار أخرى .

والشاهد فى البيتين مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال [من المتقارب] :

بمصْرَ ملوكٌ لهمْ ما لَهُ ولـكنهمْ مالهمْ هِمَّهْ

ومثله قول بعضهم فى مرثية ابن له [من الكامل] :

والصَّبرُ يُحْمَدُ فى المَوَاطِنِ كُلِّهَا إلَّا عَلَيْكَ فإنّهُ مَذْمُومُ

وقول أبى تمام بعده [من الطويل]

وقد كانَ يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازماً فأصْبَحَ يُدْعَى حَازماً حينَ يَجزَعُ

وقول بكر بن النطاح [من الطويل] :

كأنك عند الـكر فى حوْمَةِ الوغى تفر من الصف الذى من وَرَائكا

وقول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّهُ والطَّعْنُ من قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ من خَلْفِهِ أن يُطعنَا

ترجمة أبو زياد الأعرابي

وأبو زياد الأعرابي اسمه يزيد بن الحر الكلابي ، وقيل: يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي ، قدم بغداد من البادية أيام المهدي ، لأمر أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وكان العباس بن محمد يجري عليه في كل يوم رغيفاً ثم قطعه فقال أبو زياد في ذلك [من الطويل] :

فان يَقْطَعِ العباس عني رغيفَهُ فما فاتني من نعمة الله أكثر

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

أراكَ إلى كُثْبان يَبْرِ بن شيقاً وهذا لعمري لوْ قنعتَ كثيبُ

فأينَ الأراكُ الآنَ وَالأيكُ والغضا وَمستخبرٌ عمَّنْ أحبُّ قَريبُ

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة ، وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن علي بن القفطي : رأيت من بعض نسخة المجلد الثالثَ عشرَ ، وهو آخر الكتاب ، وكان بخط بانوسة معلم بني مقلة ، وَوَرَّاقهم . وله كتاب الفرق ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان .

ترجمة أشجع السلمي

وأشجع [1] هو ابن عمرو السلمي ، ويكنى أبا الوليد ، وهو من ولد الشريد السلمي ، تزوج امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة ، فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال ، فماتت بها . ونشأ أشجع بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفه

(١) تجد للأشجع السلمي ترجمة في الأغاني (١٧ : ٣٠-٥١) وعنها أخذ المؤلف

يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر ، فأجاد وعدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أَخَوَانِ : أحمد وحريث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعراً ، ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم ، فتلقَّوْهُ وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى ، وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده . وحدَّثَ أسد بن جديلة ، قال : حدثنى أشجع السلمى ، قال : شخصتُ من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتنى خَلَّة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان هٰهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا ، فقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطين ، فقال لى : أنشد ، فخفت أن ابتدىء فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت ، فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها [من الطويل] :

تذكر عهدَ البيض وَهْوَ لها تِرْبُ ... وأيامَ تُصْبِي الغانياتِ ولا يصبو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يَستغرقُ المالَ جودُهُ ... مكارمُهُ نَهْبٌ ومعروفه سَكْبُ (١)

وما زال هارون الرضا بن محمد ... لهُ من مياه النصر مَشْرَبُها العذبُ

---

(١) فى الأغانى «مكارمه نثر»

متى تبلغ العيسُ المراسيلُ بابهُ بنافهناك الرحْبُ والمنزل الرحْبُ
لقدْ جمعتْ فيكَ الظنونُ ولم يكنْ بغيركَ ظنٌّ يستريحُ لهُ قلبُ
جمعتَ ذوي الأهواء حتى كأنّهم على منهج بعدَ افتراقهمُ رَكْبُ
بعثتَ على الأبناء أبناء دُرْبة فلم يَقِهِمْ منهمْ حصُونٌ ولا دربُ [١]
وما زلْتَ تَرميهمْ بها مُتفرِّداً أنيساكَ حزمُ الرأي والصارمُ العَضْبُ [٢]
جهدتُ فلم أبلغ علاكَ بمدحة وليس على من كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيد : ثم قال : خفتَ أن يفوت وقتُ الصلاة ، وينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت النسيب ، وأمرني أن أنشده النسيب ، فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لي بضعفها .

وحدّث قدامة بن نوح قال : جلس جعفر بن يحيي بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابي من بني هلال ، فشكا واستماح بلفظ فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيي : أتقول الشعر ياهلالى ؟ قال كنت أقوله وأنا حدَث أتملّح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال : فأنشدني لشاعركم حُمَيد بن ثور ، فأنشده قوله [من الكامل] :

لِمنِ الديَارُ بجانب الحمس كمخط ذى الحاجات بالنقْسِ [٣]

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع ، فأنشده مديحا ، قاله فيه على وزنها وقافيتها [من الكامل] :

---

(١) كذا ، وأحسبه « بعثت على الأعداء أبناء دربة » ووقع فى الأغانى « بنيت على الأعداء » محرفا فى كلمة أخرى ،

(٢) وقع فى الأصل « أينسالك » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى

(٣) فى الأغانى :

لمن الديار بجانب الحمس كمحط ذى الحاجات بالنفس

5

ذَهبَتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالُهُ … في الناس مثلَ مَذاهِبِ الشمسِ
ملكٌ تسُوسُ له المعالىَ نفسُهُ … والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا ترَاءته الملوكُ ترَاجعُوا … جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الأولى … بعدَ الخلائف سادةُ الانسِ
ماضرَّ مَنْ قصدَ ابن يحيي راغباً … بالسعدِ حلّ بهِ أمِ النحسِ (١)

فقال له جعفر : صِفْ موْضعنا هذا ، فقال [من الوافر] :

قُصُورُ الصالحيةِ كالعذَارَى … لبسنَ ثيابهنَّ ليوْمِ عرْسِ
مُطِلاتٍ على قصرٍ كسته … أيادِى الماءِ وشياً نسجَ غَرْسِ (٢)
إذَا ما الطلُّ أثرَ في ثرَاهُ … تنفسَ نوْرُهُ منْ غير نفسِ
فتصبغهُ السماء بصبغ وَرْسٍ … وتَصْبَحُهُ بأكوُسِ عينِ شمسِ (٣)

فقال جعفر للأعرابى : كيف ترى يا هلالى صاحبنا ؟ قال : أرى خاطره طوع لسانه ، و بيانَ الناس دون بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال : بل نفردك (٤) يا أعرابى ونرضيه ، فأمر للأعرابىّ بمائة دينار، وللأشجع بمائتى دينار .

وحدَّث أشجع قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبى شيخ البصرى ، صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىَّ ، وقال: من هذا الرجل؟

(١) فى الأغانى « ماضر من قصد ابن يحى راجيا »
(٢) فى الأغانى « مطلات على بطن كسته »
(٣) فى الأغانى « فتغبقه السماء بصبغ ورس »
(٤) كذا ، وفى الأغانى « بل نفدك يا أعرابى »وأحسبه محرفا عن« نرفدك » وفى مهذب الأغانى « بل نصلك يا أعرابى »وما رأيناه أقرب .

فقيل : أشجع السلمى الشاعر ، فقال : أنشدنى بعض شعرك ، فأنشدته ، فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيي ؟ فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيي ؟ فقال : أنا ، فقل أبياتاً ولا تطل فانه يملّ الاطالة ، فقلت له : لست بصاحب إطالة ، وقلت أبياتاً على نحو ما رسم لى وصرت إليه ، فقال : تقدمنى إلى الباب فلم يلبث أن جاء ، فدخل وخرج أبو رمح الهمدانى ، صاحبُ جعفر بن يحيي ، فقال : أشجع ، فقمت إليه ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاستنشدنى فأنشدته [من الكامل] :

وترى الملوكَ إذا رأيتهمُ   كلٌّ بعيدُ الصوت والْجَرْسِ

الأبيات المارة قريباً ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم .وكان أشجع يحب الثياب، فكان يكترى الخلعة فى كل يوم بدرهمين،فيلبسها أياماً، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال: فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ،فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ، ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيي ، فقال : أنشدنى ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل بن يحيي ؟ [فقلت : ومَنْ لى بالفضل بن يحيي ؟][(١)] قال : أنا لك ، فأدخلنى عليه فأنشدته [من الطويل] :

وما قدَّمَ الفضلُ بنُ يحيي مكانهُ   على غيرهِ بلْ قدَّمتْهُ المكارمُ

لقدْ أرْهبَ الأعداء حتى كأنهُ   على كلِّ ثغرٍ بالمنية قائمُ

فقال : كم أعطاك جعفر ؟ قلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

---

(١) هذه الزيارة ساقطة من اصول هذا الكتاب ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وهي ثابتة فى الأغانى

وحدَّث داود بن مهلهل ، قال : لما خرج جعفر بن يحيي ليُصْلح أمر الشام نزل فى مَضْرِبه ، وأمر باطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده [من الكامل] :

فئتان طاغيـةٌ و باغيـةٌ جلَّتْ أمورهما عن الخطبِ
قدْ جاءكم بالخيل شازبةً ينقلنَ نحوكم رَحَى الحرْبِ (١)
لم يبقَ إلا أنْ تدُورَ بكم قدْ قامَ هاديها على القُطْبِ (٢)

قال : فأمر له بصلة ليستْ بالسنية ، وقال له : دائم القليل خير من منقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوزير خير من جزيل غيره ، فأمر له بمثلها .

قال : وكان يُجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه .

وحدَّث إسحاق الموصلى ، قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر ابن يحيي بشىء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا ، قال لجعفر : أترضى باسحاق ؟ فقال جعفر : والله مافى علمه مطعن إن أنصفَ ، فقال لى : أى شىء تروى للشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى منْ أفضل ما عندك ، وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس ، فعدلت عنه إلى غيره ، لئلا أخالف أحدهما ، فقلت له : لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله [من الكامل] :

ولقد طعنْتُ الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلونَ على النعـيم كأنهمْ قُضُبٌ من الهندىٌ لمْ تتثلَّمِ
وسعى بها الظبيُ الغريرُ يزيدُها طيباً ويغشمها إذَا لمْ تغشم
والليـلُ مشتمل بفضل ردَائهِ قد كادَ يحسرُ عنْ أغرَّ أرثمِ (٣)

(١) شازبة : ضامرة ، ووقع فى الأصول « شاذبة » ووقع فى الأغانى « شاربة » ووقع فى مهذب الاغانى « سارية » وكل ذلك تصحيف

(٢) فى الأصول « قد قام هاربها » وماأثبتناه موافق لمافى الأغانى ومهذبه

(٣) فى رواية من روايات الأغانى « والليل منتقب بفضل ردائه » وفى أخرى كما هنا

فاذا أدارتها الأكفُّ رأيتها تثني الفصيحَ إلى اللسان الأعجمي

وَعلىَ بنانِ مُديرِها عقيانة من مسكها وعلى فضولِ المعصمِ(١)

تَغلى إذا ما الشعريان تَلظتاَ صيفاً وتسكن فى طلوع المرزمِ

ولقدْ فضضناها بخاتَم رَبهاَ بِكراً وليس البكرُ مثلَ الأيِّمِ

ولها سكون فى الاناء وخلفها شغب يطوِّح بالكميِّ المعلمِ

تعطى على الظلمِ الفتى بِقيادِها قسْراً وتظلمه إذا لم تُظلمِ (٢)

فقال لى الرشيد : قد عرفت تعصبك على أبى نواس ، وأنك عدلت عنه ، متعمداً (٣) ، ولقد أحسن أشجع ، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبى نواس [من المديد] :

ياشقيقَ النفْسِ منْ حكم نمتَ عَنْ ليلى ولم أنمِ

فقلت له : ماعلمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين ، و إنما أنشدت ماحضرنى فقال : حسبك ، قد سمعتَ الجواب ، وكان فى إسحاق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما .

وحدَّث إسحاق ، قال : اصطبح الواثق فى يوم مَطيرٍ ، واتصل شربه ، وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صَرْعَى وهو معنا على حالنا ، فما حول أحد منا من مضجعه ، وخدم الخاصَّة يطوفون علينا و يتفقدوننا ، و بذلك أمرهم ، وقال لهم : لا تحركوا أحداً منهم عن مضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام

---

(١) فى الأصول « من كسبها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى مهذب الأغانى ، وفى الأغانى « من لونها »

(٢) فى الأصول « بقتادها » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى .

(٣) فى الأصول « معتمدا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

وأمر بانباهنا ، فانتبهنا ، وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه ، وهو جالس ، وفى يده كأس ، وهو يروم شربها والْخُمَار يمنعه ، فقال لى: يا إسحاق أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً ، فأنشدته قول أشجع السلمى :

* ولقد طعنتُ الليل فى أعجازه *

إلى آخر الأبيات ، فطرب ، وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبامحمد ، أعد بحياتى ، فأعدتها وشرب كأسه عليها ، وأمر لى بألف دينار .

وحدَّث على بن الجهم، قال : دخل أشجع على الرشيد ، وقد مات ابن له ، والناس يعزونه ، فأنشده [من السريع] :

نقصٌ منَ الدين ومنْ أهلهِ　　نقصُ المنايا منْ بنى هاشمِ
قدَّمتَهُ فاصبرْ علَى فقدهِ　　إلى أبيهِ وَأبِى القاسمِ

فقال الرشيد : ما عزانى أحدٌ اليوم أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

وحدَّث عمر بن على أن أشجع السلمىَّ كتب إلى الرشيد ، وقد أبطأ عنه شىء أمر له به [من الطويل] :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً　　لها عنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ(١)
بأنَّ لسانَ الشعر ينطقه الندَى　　ويخرسهُ الإبطاء وهو فصيحُ

فضحك الرشيد ، وقال : لن يخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

وحدَّث أشجع ، قال : دخلت على الأمين ، حين أجلس مجلس الأدب

---

(١) وقع فى الأصول «ألا أبلغ» بزيادة « ألا » عما فى الأغانى ، ولا يستدعيها الوزن ، ويجب معها وصل همزه « أبلغ »

للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ، ثم يقوم ، فأنشدت [من الكامل] :

مَلِكٌ أبوهُ وأُمُّهُ من نَبْعَةٍ فيها سراجُ الأمةِ الوهاجُ

شَرِبَتْ بمكةَ في رُبَى بَطْحائها ماء النبوة ليس فيهِ مِزاجُ

قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

وحدث سعيد بن زهير وأبو دعامة ، قالا : كان انقطاع أشجع إلى العباس ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوماً : يا عم ، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي و بسبب أم جعفر ، ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع ، وأمره أن يقول فيه ، فقال [من المديد] :

بيعةُ المأمونِ آخذةٌ بِعِنانِ الحق فى أُفُقِهْ

أحكمت مرآته عُقَداً تمنعُ المحتال فى نفقهْ

لن يفكَّ المرءُ رِبقتها أو يفكَّ الدين من عنقهْ

وله من وجهِ والده صورةٌ تمّتْ ومن خلقهْ

قالا : فأتى العباس الرشيدَ وأنشده إياها واستحسنها ، وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتنى مرتين باصابتك مافى نفسى و بأنها لك . وما كان لك فهو لى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه .

وحدث على بن الفضل السلمى قال : أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر ابن المنصور ، وهو حدث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمى وابنه عوف ، فقال أشجع فى جعفر بن المنصور [من الخفيف] :

اذكروا حُرْمَةَ العواتكِ منا يا بنى هاشم بن عبدِ مَنافِ

قدْ وَلَدْنا كم ثلاثَ ولادَا تِ خلطن الاشرافَ بالأشرافِ

مهدَتْ هاشماً نجوم قصىٍّ من بنى فالج حجورُ عفَافِ [1]

إن أرماح بهْثَةَ بْنِ سليمٍ لعجافُ الأطراف غير عجافِ [2]

معشرٌ يطعَمُونَ من ذروة الشوْ ل ويُسْقَوْنَ خمرة الأقحاف [3]

يضربون الجبَّارَ فى أخْدعَيْهِ ويُسَقُّونَهُ نقيعَ الذُّعافِ

فشاع شعره و بلغ المنصور ، ولم يزل [أمره[4]] يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعدوفاة أبيها بزوجها الرشيد[5] فأسنى جوائزه ، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء .

وحدث مهدى بن سابق قال : أعطى جعفرُ بن يحيي مروانَ بن أبى حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف، وكان ذلك فى أول اتصاله به ، فكتب إليه أشجع [من مجزوء الكامل] :

أعطيتَ مروان الثَّلاَ ثينَ التى دلَّتْ رِعاثَهْ [6]

---

(١) فى الأغانى وبلغ المنصور ومهذبه « وبنو فالغ حجور عفاف »

(٢) هكذا وقع فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، ووقع فى مهذب الأغانى « بعجاف الأطراف غير عجاف »

(٣) فى الأغانى ومهذبه « ويسقون خمرة الأنحاف »

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) فى الأصول « بعد وفاه أبيها وتزوجها الرشيد » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ومهذبه

(٦) فى الأغانى « الثلاثين التى ذلت رغاثه » وهو تحريف ، وما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب مستقيم

وأبا البصير ، وإنما أعطيتني مَعَهُمْ ثلاثَهْ
ما خانني حَوْكُ القريـــض ولا اتهمت سوى الحداثَهْ(١)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى

وحدث محمد بن الحارث الخراز قال : كان لأشجع جارية يقال لها ريم ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له أنها إن بقيت بعده لم تتعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدته التى يرثى بها الرشيد [من الطويل] :

وليس لأحزان النساء تَطَاوُلٌ ولكنَّ أحزان الرجال تَطُولُ
فلا تَبْخَلِى بالدمع عنى فانَّ مَنْ يَضَنُّ بدمعٍ فى الهوى لبخيلُ (٢)
فلا كنت ممن يُتْبِعُ الريحَ طرفَهُ دَبورا إذا هَبَّتْ صبا وقبولُ (٣)
إذا دارَ فىء أتبعَ الفىء طرفه يميلُ مع الأيام حيث تميـلُ

وقال فيها أيضاً [من الطويل]

إذا غَمَضَتْ فوقى جفونُ حفَيْرَةٍ من الأرض فابكينى بما كنتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عنى بعـد ذلكَ سَلْوَةٌ وأن ليس فيما وَارتِ الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَىْ شخصى ،وتُغْنِيكِ ثروتى ولم تَسْمَعِى منى ، ولا منكِ أسمعُ(٤)

---

(١) فى الأصول « ما خانني خود القريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فان من يضن بدمع عن هوى لبخيل »

(٣) كذا ، وفى الأغانى ومهذبه « دبور إذا هبت له وقبول » وهو أحسن مما هنا .

(٤) كذا فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، وقد جعله فى مهذب الأغاني « وتغنك ثروتى » مجزوما بالعطف على جواب الشرط « تعزك عنى — إلخ » وليس الجزم بضربة لازب .

فحينئذ تَسْلين عنى ، وإن يكن ... بكاءٌ فأقصى ما تُبَكِّينَ أَرْبَعُ

قليلا وربَّ البيت يا ريمُ ما أرَى ... فتاةً بمنْ ولى به الموت تقْنَعُ

بمَنْ تدفعين الحادثات إذا رَمَى ... عليك بها عامٌ من الجدب يَطْلُعُ

فيومئذٍ تَدْرِينَ من قد رُزِئْته ... إذا جعلت أركانُ بيتكِ تُنْزَعُ

قال : فشكته إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفضل أيضاً ، فاختير شعره على شعر أخيه ، وهو [من الطويل] :

ذَكَرْتَ فراقاً والتفرقُ يَصْدَعُ ... وأىُّ حياةٍ بعد موْتكَ تَنْفَعُ (١)

إذا الزمن الغدارُ فَرَّقَ بيننا ... فمالىَ فى طيبٍ من العَيْشِ مَطْمَعُ (٢)

ولا كانَ يومٌ يا ابن عمرو وليلةٌ ... يبددُ فيها شملنا ويُصَدَّعُ

فألطم وجهاً فيك كنت أصونه ... وأخشعُ مما لم أكن منهُ أخشعُ (٣)

ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً ... فتروى بجسمى الحادثات وتَشْبَعُ (٤)

ولو أننى غُيِّبْتُ فى التربِ لم تُبَلْ ... ولم يَرَكَ الراؤون لى تَتَوَجَّعُ

وهل رجلٌ أبصَرْتَه متوجعاً ... على امرأة أوعينهُ الدهرَ تدمَعُ

ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها اذهبى ... فمثلك أخرى سوفَ أهْوَى وأتبَعُ (٥)

---

(١) فى الأغانى « والفراق يصدع »

(٢ فى الأغانى « إذا الزمن الغرار »

(٣) فى الأغانى « فألطم وجها كنت فيه أصونه » وما هنا أحسن

(٤) فى الأصول « ولا كان يوم فيه سوء رهبته » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو أصح

(٥) وقع فى الأصول * ولكنها مهما تولت يقل سوى * وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني .

ولو أبصرت عيناكَ ما بي لأبصَرت … صبابةَ حزن غيمها ليس يُقْشَعُ (١)

إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديح فانه … مَنيعُ الحمى معروفُهُ ليسَ يمنَعُ

وزُرْهُ تزر حلماً وعلماً وسودَداً … وبأساً به أنف الحوادث يجْدَعُ

وأبدعْ إذا ماقلت في الفضل مدحَةً … كما الفضل في بذل المواهب يُبْدِعُ

في أبيات أخر، قال: فأنشدها أشجع الفضلَ وحدثه بالقصة، فوصل أخاه وجاريته، ووصله.

وحدث الحسين الجعفي قال: كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها، فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره، فجزع لذلك وبكى، وأنشأ يقول [من الخفيف]:

وَيْحَهَا هل دَرَتْ على مَنْ تنوحُ … أسقيمٌ فؤادُها أم صحيحُ؟

قمرٌ أطبقوا عليه ببغدا … دَ ضريحاً، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ؟

رحِمَ الله صاحبي ونَديمي … رحمةً تغتدى، وأُخرى تَرُوحُ!

ودخل أشجع على الرشيد في عيد الفطر، فأنشده [من السريع]:

استقْبِلِ العيدَ بعمْرٍ جديدْ … مَدَّت لك الأيامُ حَبْلَ الخلودْ

مُصَعِّدًا في دَرَجات العلا … نجمُكَ مَقْرُونٌ بِسَعْد السُّعودْ

واطوِ رداء الشمْسِ ما أطْلَعَتْ … نوراً جديداً كلَّ يوم جديدْ

تمضي لك الأيام ذا غِبْطَةٍ … إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عيدْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يغنى بهذه الأبيات.

وحدث محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان حرب بن عمرو الثقفي نخاساً،

(١) في الأغاني «صبابة قلب غيمها ليس يقشع»

وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها ويستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه ، فقال فيها أشجع [من السريع] :

جارية تهتزّ أردافها ... مُشْبَعَة الخَلْخَالِ والقُلْبِ

أشكو الذى لاقيتُ من حُبّها ... وبُغْضَ مَوْلاها إلى رَبى

مِنْ بُغْض مولاها ومن حُبّها ... سَقِمْتُ بين البُغْض والحبِّ

فاعتلَجَا فى الصدر حتى استوَى ... أمرُهما فاقْتَسَمَا قلبى(١)

فعجَّل الله شفائى بها ... وعَجَّل السقمَ إلى حَرْبِ

وأخباره كثيرة ، وهذا القدر منها كاف .

وحدث ابن أشجع السلمى قال : مر أبى وعمَّاى أحمد ويزيد ، وقد شربوا حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى ، وكان نصرانياً وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، والقبران مختلفان كل منهما متوجه إلى قبلة أهل ملته ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ، ويتذاكرون أخبارهما ، فأنشأ أبى يقول [من الوافر] :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ ... وقد لاحتْ ببَلْقَعَةٍ صَلودِ

وكان له الوليدُ نديمَ صدقٍ ... فنادم قبرُهُ قبرَ الوليدِ

أنيسَا ألفةٍ ذهَبَا فأمستْ ... عظامُهُما تأنس بالصَّعيدِ

وما أدرى مَن تبْدُو المَنَايا ... بأحمد أم بأشجع أم يَزِيدِ

قال : فماتوا والله كارتبهم بالشعر ، فكان أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد .

* * *

(١) فى الأغانى «فاختلجا فى الصدر» ولكل منهما وجه ، ومعناهما متقارب

شاهد الأخذ الخفي والمعنيان متشابهان

١٩٧ فلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ سَوَاءٌ ذو العِمَامَةِ والخِمَارِ

***

١٩٨ ومَنْ في كَفِّهِ مِنهُمْ قَنَاةٌ كمن في كفِّهِ منهُمْ خِضَابُ

البيت الأول لجرير ، من قصيدة [1] من الوافر .

والأرب : الحاجة ، واللحى — بالضم والكسر — جمع لحية ، وهى شعر الخدين والذقن . والخمار — بالكسر — النَّصِيف ، وهو ما ستر الرأس ، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار .

والمعنى : لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال ، لأن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف .

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الوافر [2] يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له ، وأولها :

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذئابُ وغيرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرابُ
وتملك أنفسَ الثقلين طُرّاً فكيف تحوزُ أنفُسَهَا كلابُ
وما تركُوكَ معْصِيَةً ولكن يُعَافُ الوِرْدُ والموْتُ الشرابُ [3]
طلبتَهمُ على الأمْوَاهِ حتى تخوف أن تُفَتِّشَهُ السحابُ

وهى طويلة يقول فيها :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (ص١٩٠) وفيه «فلا تمنعك من أرب لحاهم» .
(٢) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٧٥)
(٣) وقع هذا البيت فى الأصول

وما تركوك مضيعة ولكن يعاف الورد والماء السراب

وهو تحريف شنيع فى عدة مواضع ، وقد أثبتنا صوابه عن الديوان

ولكن ربُّهمْ أسْرَى إليهم فما نَفَعَ الوقوفُ ولا الذَّهابُ
ولا ليلٌ أجنَّ ولا نهارٌ ولا خيلٌ حَمَلْنَ ولا رِكابُ
رميتَهُمُ ببحرٍ من حديدٍ له فى البر خَلْفَهُمُ عُبابُ
فمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حريرٌ وصَبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمُ ترابُ

وبعده البيت، وبعده:

بَنُو قتلى أبيكَ بأرض نجدٍ ومن أبقى وأبقَتْهُ الحرابُ
عفا عنهمْ وأعتقَهُمْ صغاراً وفى أعناق أكثرهِمْ سِخَابُ (١)
وكلكم أتى مأتى أبيه فكل فما لكم عَجَبٌ عُجَابُ (٢)
كذا فَلْيَسْرِ من طَلَبَ الأعادى ومثل سُرَاكَ فليكن الطِّلَابُ

والشاهد فى البيتين: الأخذ الخفى مع تشابه المعنيين، فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب

ومن الأخذ الخفى قول الطرماح [من الطويل]:

لقد زَادَنِى حبًّا لنفسِىَ أنَّنِى بَغِيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائِلِ
وأنى شَقِىٌّ باللئامِ، ولا تَرَى شقيًّا بهم إلَّا كريمَ الشمائِلِ

وقول أبى الطيب [من الكامل]

وإذا أتَتْكَ مذمتى من ناقِصٍ فهىَ الشهادةُ لى بأنِّىَ كاملُ

---

(١) السخاب ــ بكسر السين ــ قلادة تتخذ من سلك وغيره وليس فيها من الجوهر شىء يلبسها الصبيان

(٢) فى الديوان * فكل فعال كلكم عجاب *

شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر

١٩٩ — سُلِبوا وأشْرَقَتِ الدماءُ عليهمُ محمرَّةً فكأنهُمْ لم يُسْلَبُوا

* * *

٢٠٠ — يبسَ النَّجيعُ عليه وَهْوَ مجرَّدٌ من غمدِهِ فكأنما هُوَ مُغْمَدُ

البيت الأول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم (١) وأولها :

عارضْنَنَا أُصُلاً فقلنا الرَّبْرَبُ حتى أضاءَ الأقحوانُ الأشنَبُ

وأخضرَّ مَوْشِيُّ البُرود وقد بَدَا منهنّ ديباجُ الخدودِ المذهَبُ

أومَضْنَ من خَلَلِ السُّجوف فراعنَا بَرْقانِ خالٍ ما يُشَام وخُلّبُ (٢)

ولو أنني أنصفتُ في حكم الهوَى ما شِمْتُ بارقةً ورأسي أشْيَبُ

إلى أن قال فيها :

ما إن ترى إلا توَقُّدَ كوكبٍ من قومس قد غاب فيه كوكبُ

فمجدّلٌ ومُوَسدٌ ومُرَمَّلٌ ومُضرَّجٌ ومُضمَّخٌ ومُخَضَّبُ

و بعده البيت ، و بعده :

ولو آنهم ركبوا الكواكب لم يكن لمجدّهم من جد بأسكَ مَهْرَبُ (٣)

وهى طويلة .

ومعنى البيت : أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم .

وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٦٢ مصر)

(٢) فى الديوان « من خلل الستور » وفيه « برقان خالٍ ماينال »

(٣) فى الديوان « من أخذ بأسك »

لما تراءى لك الجمعُ الذى نزَحتْ … أقطارُه ونأت بُعْداً جوانبُهُ
تركتَهُمْ بين مصبوغ ترائبُهُ … من الدماء ومخضوب ذوائبُهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُه … وهاربٌ وذُبابُ السيف طالبُهُ
يَهْوِى إليه بمثل النجم طاعِنُهُ … ويَنْتَحيه بمثلِ البَرْقِ ضاربُهُ
يكسوه من دَمِهِ ثوباً ويسلبُهُ … ثيابَهُ فهوَ كاسيهِ وسالبُهُ

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب [من الطويل] :

وفرَّقْتُ بين ابْنَىْ هشيم بطعنةٍ … لها عاند يكسو السليب إزارا(١)

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل (٢) أيضاً ، يمدح بها شجاع بن محمد الطائى ، أولها :

اليومَ عهدكمُ فأينَ الموْعِدُ … هيهاتَ ليسَ ليَوْمِ موْعِدِكم غَدُ
الموتُ أقْرَب مخلَباً من بيْنِكم … والعيشُ أبعَدُ منكم لا تَبْعُدوا
إن التى سفكت دمى بجُفُونِها … لم تَدْرِ أن دمى الذى تَتَقَلَّدُ
قالت وقد رأت اصفرارى مَنْ به … وتنهَّدَتْ فأجبْتُها المتَنَهِّدُ
فمضت وقد صَبَغَ الحياء بياضَهَا … لونى كما صبغ اللجينَ العَسْجَدُ
فرأيْتُ قرنَ الشمس فى قمر الدجى … متأوداً غصنٌ بِهِ يتأوَّدُ
عدويةٌ بدويةٌ منْ دونها … سلبُ النفوس ونارُ حربٍ توقدُ
وهوَاجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ … وذوابل وتوعدٌ وتهدُّدُ
أبلتْ مودَّتَها الليالى بعدَنا … ومشَى عليها الدهرُ وهو مقيدُ

---

(١) فى الأصل « لها عائد » محرفا عما أثبتناه ، والعاند ـ بالنون ـ العرق الذى يسيل دمه فلا يرقأ ، وهو أيضا الطعن يكون يمنة ويسرة

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ٣٢٧)

أبرحْتَ يامرضَ الجفون بممرضٍ مَرِضَ الطبيبُ له وعيدَ العُوَّدُ (١)

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا فالأرضُ واحدةٌ وأنت الأوحدُ

وَصُنِ الحسامَ وَلاَ تذلْهُ فانهُ يشكو يمينكَ والجماجمُ تشهدُ

و بعده البيت وبعده :

رَيان لو قذَفَ الذى أسقَيْتَه لجرى من المهجاتِ بحرٌ مزبدُ

ما شاركتْهُ منيةٌ فى مهجةٍ إلا وشفْرَتهُ على يدها يدُ

والنجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف ، والغمد ـ بالكسر ـ جفن السيف .

والشاهد فى البيتين : نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر ، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف ، فنقل المعْنى من القتلى والجرحى إليه .

* * *

شاهد مجىء معنى المأخوذ أشمل

٢٠١ — إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تَميم حَسبْتَ الناسَ كلهمْ غضابًا

* * *

٢٠٢ — وَليسَ لله بِمُستنكرٍ أنْ يجمعَ العَالَمَ فِى وَاحِد

البيت الأول لجرير ، من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ، ومنها قبل البيت :

---

(١) فى الأصول : « أبرمت يا مرض الجفون » ، وقد أثبتنا ما فى الديوان .

لنا حوضُ الحجيج وساقياهُ ومَنْ وَرِثَ النبوَّةَ والكتابا
ألسنا أكثرَ الثقلين حياً ببطنِ منىً وأكثرَهُمْ قبابا

و بعده البيت ، و بعده :

فلاَ وأبيكَ مالاقيتُ حيّاً كيربوعٍ إذا رفعوا النقابا
فغُضَّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ فلاَ كعباً بلغْتَ ولاَ كِلاَبا

والمعنى : أن بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم .

والبيت الثانى لأبى نُوَاس ، من أبيات من السريع ، كتبها للرشيد مادحاً الفضل بن الربيع ، وهى :

قولاَ لهَارُونَ إمامِ الهدَى عندَ احتفالِ المجلس الحاشدِ
نصيحةُ الفضلِ وإشفاقُهُ أخلى له وجهكَ مِنْ حاسِدِ
بصادِقِ الطاعَةِ ديانُها وَوَاحِدِ الغائبِ والشاهدِ
أنتَ على ما بكَ منْ قدرَةٍ فلسْتَ مثلَ الفضلِ بالوَاجِدِ
أوْحَدَهُ اللهُ فما مِثلُهُ لطالبٍ ذَاكَ ولاَ نَاشِدِ

و بعده البيت .

حدَّث سعيد بن حميد : أن أبا تمام الطائىّ دخل على ابن أبى دُؤادٍ ، فقال له : أحسبك عاتباً يا أبا تمام (١) ، فقال له : إنما نعتب على واحد وأنت

---

(١) فى الأصول «أحسبك غائبا ياأبا تمام» وفيها «إنما نغيب على واحد» وفيها «فكيف نغيب عنك» وكل هذا تحريف ما أثبتناه موافقا لعدة مراجع من أمهات الكتب منها تاريخ ابن خلكان (١ — ٦٨ بتحقيقنا فى أثناء ترجمة أحمد بن أبى دؤاد) قال «ودخل أبو تمام عليه يوما وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولايصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد : =

ناس جميعاً ؟ فكيف نعتب عليكَ ؟ فقال له ابن أبى دُوَادَ : من أين أخذت
ذه اللفظة ؟ فقال : من قول الحاذق أبى نواس ، وأنشد البيت .

والشاهد فى البيتين : مجىء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه ، فان
ت جرير يخص بعض العالم ، وبيت أبى نواس يشمله .

وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبي [من الكامل] :

نُسِقُوا لنا نسَقَ الحسابِ مُقدَّما وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخرا

وقوله أيضاً [من الطويل] :

مَضىَ وَبنُوهُ وانفرَدْتَ بفعلهِ وألفٌ إذا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فرْدُ

وقوله [من المنسرح] :

هدية ما رَأيتُ مُهديهَا إلا رَأيْتُ العباد فى رَجلِ

وقول الوزير المغربى [من البسيط] :

حتى إذا ما أرَادَ الله يُسعدُنى رَأيتهُ فرأيْتُ الناسَ فى رَجلِ

وقول أبى الفرج الببغاء يميل إلى المبالغة [من الخفيف] :

وإذا ما حَللْتَ فى بلْدَةٍ فهْـــو جميع الدنيا وأنت الأنامُ

وقول ابن قلاقس من قصيدة [من المتقارب] :

دَعوْتُكَ فاحضُرْ فلَيسَ الجميع إذَا غِبْتَ ـ لا غبْتَ ـ كالحضَّرِ
وقدْ جمعَ اللهُ فيكَ الأنام وَليسَ عليهِ بِمُستنكرِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

= أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا
كيف نعتب عليك ـ إلخ»

عَلىَ الشهادَةِ بالفضل المبين لهُ كلُّ المذاهبِ وَالآراء وَالمللِ
مدَحتهُ فَمَدَحتُ الناسَ قاطبةً لأنى منهُ ألقى الناسَ فى رجُلِ

وقد ضمن القيراطىُّ بيت أبى نواس فقال يهجو [من السريع] :

تجَمعتْ مِنْ نُطَفٍ ذاتهُ حتى بَدَا فى قالب فاسِدِ
ليسَ علىَ الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحدِ

ومثله ما أجاب به قابوسَ صاحبَ جُرْجان ، الصاحبُ بن عباد حين هجاه بقوله [من المنسرح] :

قدْ قَبَسَ القابساتِ قابُوسُ ونجمهُ فى السماء منحوسُ
وكيفَ يُرْجى الفلاح من رَجُلٍ يكونُ فى آخرِ اسمهِ بُوسُ

وجواب قابوس [من السريع] :

مَنْ رَامَ أنْ يهجُو أبَا القاسمِ فقدْ هجَا كلَّ بنى آدمِ
لأنهُ صُوِّرَ مِنْ مُضغةٍ تجَمَّعَتْ منْ نُطفِ العالمِ

ومثله لأبى أحمد العروضى [من الكامل] :

لو كانَ يُورَثُ بالتشابهِ ميتٌ للملكتَ بالأعضاء مالاً يملكُ
بفل مخائلهُ تخبِّرُ أنهُ فى الناس من نطفِ الجميع مُشبَكُ

ومنه قول ابن المسجف [من السريع] :

ابن العلائىِّ لهُ فقحةٌ شيعيةٌ تصبُو إلى القائم
أبخلُ من كلبٍ ولكنهُ بسُرْمهِ أجودُ من حاتمِ
كفاهُ هجْواً أنهُ واحدٌ صُوِّرَ منْ كل بنى آدَمِ

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله [من الطويل] :

لقد كمل الرحمن شخصك في الورى فلا شان شيئاً من كمالك بالنقص
ومن جمع الآفاق في العين قادر على جمع أشتات الفضائل في شخص

فانه زاد على أبي نواس بالمبالغة والتمثيل ، لأن الانسان إذا فتح عينه رأى نصف العالم .

وكان الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ـ أذاقه الله العلقم ، من زقوم جهنم ! ـ قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل ، يعرف بابن شرف شاه ، وقال في آخر كلامه « وهو المدبر » فوقع المستعصم له [من السريع] :

ولا تساعد أبداً مدبراً وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب ، منها [من السريع] :

يا مالكا أرجو بجيء له نيل المنى والفوز في المحشر
أرشدتني لازلت لي مرشداً وهادياً من نورك الأنور
أبنت في بيت هدى قلته عن شرف في بيتك الأطهر
فضلك فضل ماله منكر ليس لضوء الشمس من منكر
أن يجمع العالم في واحد فليس لله بمستنكر

فقلب بيت أبي نواس ، فجعل عجزه صدراً .

والعلقمي هذا كان وزير المستعصم ، وكان هو الركن الأكبر في مجيء التتار إلى بغداد ، وخراب ذلك الإقليم ، وهدم ذلك الجناب العظيم ، فعليه من الله ما يستحقه ! .

* * *

شاهد مجىء المأخوذ نقيض المأخوذ منه

٢٠٣ — أَجِدُ الملامةَ فى هَوَاكَ لذيذةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فليلمنى اللُّوَّمُ

* * *

٢٠٤ — أأحِبُّهُ وأحبُّ فيهِ ملامة إنَّ الملامة فيهِ مِنْ أعدائه

البيت الأول لأبى الشِّيص ، من أبيات من الكامل ، وقبل البيت :

وَقفَ الهوَى بى حيثُ أنتَ فليسَ لى
مُتأخَّرٌ عَنـهُ وَلاَ مُتقدَّمُ

و بعده البيت ، و بعده :

أشبهتَ أعدائى فصرتُ أُحبهمْ إذ كانَ حظى مِنكَ حظى منهُمُ

وَأهنتنى وأهنتُ نفسى عامداً ما مَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمَ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدةٍ من الكامل يمدح بها سيف الدولة ، أولها :

القلبُ أعلم يا عذُولُ بدائهِ وأحق مِنكَ بجفنهِ وبمائهِ

فوَمَنْ أحبُّ لأعصِينَّكَ فى الهوَى قسماً بهِ وبحُسنهِ وبهائهِ

و بعده البيت ، و بعده :

عجبَ الوُشاةُ من اللحاةِ وقولهمْ دَعْ ما نراكَ ضعُفْتَ عَنْ إخفائهِ

ما الخلُّ إلا مَنْ يودُّ بقلبهِ ويرَى بطرفٍ لا يرَى بسوَائهِ

إنَّ المعينَ علىَ الصبابةِ بالأسى أوْلىَ برحمةِ ربها وإخائهِ

مَهلاً فإنَّ العذلَ منْ أسقامهِ وترفقاً فالسمعُ مِنْ أعضائهِ

وَهَبِ الملامةَ فى اللذاذة كالكرَى مطرُودَة بسُهادهِ وبُكائهِ

لاَ تعذلِ المشتاقَ فى أشوَاقهِ حتى يكونَ حشاكَ فى أحشائهِ

إنَّ القتيلَ مُضرَّجاً بدمُوعهِ مِثلُ القتيلِ مُضرَّجاً بدمائهِ

والعشق كالمَعْشُوق يَعذبُ قُربه للمبتلى وينال من حَوْبائِهِ
لو قلتَ للدنف الحزين فَدَيْتُهُ مما به لأغرته بفــدائِهِ

وقد أخذ المتنبيّ قوله * لا تعذل المشتاق فى أشواقه * البيت من قول البحترى [من الطويل] :

إذا شئتَ أن لا تعذلَ الدهر عاشقاً على كمدٍ من لوعة البين فاعشَقِ

والشاهد فى البيتين : كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه ، فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص ، والأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام [من الوافر] :

ونغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاه أحلى على أذْنَيْهِ من نَغَم السَّماع

وقول المتنبى [من الخفيف] :

والجراحاتُ عنده نَغَماتٌ سُبقت قَبْلَ سَيْبِه بسؤال

أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء ، وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال ، فإن سبقت نغمة من سائلٍ عطائه أثر ذلك فيه تأثير الجرح فى المجروح

وفى معنى بيت أبى تمام قول البحترى [من الكامل] :

نَشْوان يَطرب للسؤال كأنما غناه مالك طيء أو مَعْبَدُ

وكذلك قول المتنبى [من البسيط] :

كأن كلَّ سؤالٍ فى مَسَامِعِهِ قميص يوسفَ فى أجفَان يَعقُوبِ

وفى معناه قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

فما ناح قُمْرِيٌّ ولا هَبَّ عاصفٌ من الريح إلاَّ خاله صَوْتَ سائِلِ

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبى الشيص فقال [من الكامل] :

هُدِّدت بالسلطان فيكَ وإنما أخشى صُدُودَكَ لا من السُّلطانِ

أجدُ اللذاذة فى الملام، فلو درَى أخذَ الرُشا منّى الذى يَلْحَانِي

وأصل هذا المعنى لأبى نُوَاس فانه قال [من الوافر]:

إذا غادَيْتَنِي بِصَبُوح عَذْلٍ فَمَمْزُوجاً بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإنى لا أعُدّ اللومَ فيهِ عليكَ إذا فعلْتَ من الذنوبِ

وفى معناه قول الآخر [من مجزوء الكامل]:

من ذَمَّ عاذلهُ فانى شاكرٌ للعُذَّل

تَسمعى لهم كالقلْبِ مِنْ ذِكْرِ الأحبّة ممتلى

ما ضرَّنى إغراؤهم بالعذْلِ إذ لم أقبلِ

تَعَبُ الملامِ عليهمُ وحلاوة التذكار لى

ومنه قول ابن الرومى أيضاً [من الوافر]:

تلذُّ لىَ الملامة فى هوَاه كَمَرْآه وأستَحْلِى أذَاها

ترجمة أبى الشيص

وأبو الشِّيص[١] اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم، وهو عم دعبل الخُزَاعىّ، وأبو الشيص: لقب غلب عليه، وكنيته أبو جعفر، وكان من شعراءِ عصره، متوسط المحل فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبى نواس، فخمل، وانقطع إلى أمير الرقة عُقْبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى فمدحه بأكثر شعره، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره، فقلّ ما يُرْوَى له فى غيره شعر.

وحكى عبدالله بن المعتز أن أبا خالد العامرى قال له: مَنْ أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء

(١) تجد ترجمة أبى الشيص فى الأغانى (١٥ – ١٠٨ بولاق) وعنها صدر المؤلف

على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك ، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه .

ومن شعره فى مدح أمير الرقة قوله [من الكامل] :

لا تُنكِرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى ... ليس المقِلُّ عن الزمان برَاضِ

شيئان لا تَصْبُو النساء إليهما ... حَلْيُ المَشيب وحُلّة الانفاض

حَسَرَ المشيب قناعَهُ عن رأسِهِ ... فرمَيْنَهُ بالصَّدِّ والاعراض

ولرُبما جعلَتْ محاسِنَ وجهه ... لجفونِهَا غَرَضاً من الأغراض

يروى عن أبى الشيص أنه قال : لما أنشدت هذه القصيدة لعُقْبة بن جعفر أمر بأن تُعَدّ ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم

وحدث أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبلٌ فى مجلس ، فقالوا : لينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل منهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت [من الطويل] :

إذا ما علَتْ منَّا ذُؤابةَ واحدٍ ... وإن كان ذاحلم دَعتْهُ إلى الجَهْلِ

هَلِ العيشُ إلا أن تَرُوحَ مع الصبي ... وتَغْدُو صريع الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغوانى ، فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس وقال له : وكأنى بك يا أبا على قد أنشدت [مَن البسيط] :

لا تبْكِ ليلى ولا تَطْرب إلى هندِ ... واشرَب على الوَرْدِ من حَمْراء كالوَرْدِ

تَسقيك من عَيْنها خَمْرا ومن يَدِها ... خَمْراً فما لك عن سُكْرَين من بُدِّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دِعبل فقال له : يا أبا على ، وكأنى بك تنشد قولك [من الكامل] :

* أين الشباب وأيةً سلكا *

الأبيات المارة فى إيهام التضاد ، فقال له : صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص

فقال له : وأما أنت ياأباجعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك [من الكامل] :

* لا تُنكِرِى صَدّى ولا إعْرَاضى *

الأبيات السابقة قريبا ، فقال له : لا ، ما هذا أردت أن أنشد، ولاهذا بأجود شيء قلته ، قالوا : فأنشِدْنَا ما بدالك ، فأنشدهم الأبيات الميمية السابقة ، فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ، وحياتِكَ لأسرقَنَّ هـذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشهر ماأقول ويموت ماقلت ، قال : فسرق أبونواس قوله * وقف الهوى بى ... البيت * سرقا خفيا فقال فى الخصيب [من الطويل] :

فَمَا جازَهُ جودٌ ولا حلّ دُونَهُ ولكن يَسيرُ الجود حيث يَسيرُ[1]

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص

وحدّث رُزَين بن على الخزاعى أخو دعبل ، قال : كنا يوما عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص: أنشدنى قصيدتك المخزية ، قال : وماهى ؟ قال : الضادية ، فما خطر بخَلَدِى قولك * ليس المقل عن الزمان براض * إلا أخزيتك استحساناً لها ، فان الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثقّفَهَا وعلمها مابلغت به استحقاقَ التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها: عدى المخزيات، فتعد قوله [من البسيط]

أغر أرْوَعُ يُسْتَسقَى الغمام بهِ لَوْ قارَعَ الناس عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبه ذلك من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أفعل ، إنها ليست عندى عقد در مفصل ، ولكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده الأبيات الميمية المذكورة أيضاً فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلى عن سلبك ، أوتدرك

---

(١) وقع عجز هذا البيت فى بعض الأمهات ومنها تاريخ ابن خلكان فى ترجمة أحمد بن محمد القسطلى الشاعر

* ولكن يصير الجود حيث يصير *

فى هربك ، قال : بل اترك طلبى[١] فكيف ترى أنت هذا الطراز ؟ فقال : أرى نمطاً خسروانيامذهبا حسناً فكيف تركت قولك [من الخفيف] :

فى رداء من الصَّفيح صقيل وقميصٍ من الحديدِ مُذَال

قال : تركته كما ترك مختار الدرَّتين إحداهما بماسبق فى خاطره و زين فى ناظره

قال ابن فضل الله : رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبى العباس أحمد بن العطار الشيبانى الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر أن أباالشيص كان لو قيل له : ابْنُ مَنْ أنت ؟ لقال * وقف الهوى بى ... البيت * ولو قيل لشهاب الدّين التلعفرى ابن من أنت ؟ لقال * هذا العذول عليكم مالى وله * ثم قال : وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم ، وعارضها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها . انتهى .

أقول : ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله ، قال [من الكامل] :

هذا العذول عليكم مالى وَلَهْ أنا قدرضيتُ بذا الغرام وذا الوَلَهْ

إلى أن يقول فيها :

أألومُكم فى هَجركم وصُدُودكم ما هذهِ فى الهَجر منكم أوَّلَهْ

قسما بكم قد صرتُ مما أشتكى حىَّ الدُّجى وعَدِمتُهُ ما أطوَلَهْ

يا سائلى عن شرح حالى فى الهَوَى تركى الجَوَابَ جوابُ هذى المسألهْ

يا راحلين وفى أكلة عِيسِهِمْ رَشأٌ عليه حَشَا المحبِّ مُقَلْقَلَهْ

أسَرَتْ له العُشاقَ نظرةُ وجنَةٍ بسوى اللواحظِ لا تبيت مُقَبَّلَهْ

لو لم يُصِبْ صُدْغيه عارض خدهِ ما أصْبَحَتْ فى سالِفَيْهِ مُسلسلَهْ

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال [من الكامل] :

هَبْ أن خدك قَدْ أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهُو مسلسَلُ

---

(١) كذا ، وفى الأغانى « بل أقول فى طلبى »

رجع إلى أخبار أبى الشيص

وحدَّث موسى بن معروف الأصفهانى قال : دخل أبو الشيص على أبى دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سل هـذا الخادم أن يحل أزرار قميصه ، فقال : الأمير أعزه الله أحق بمسألته ، قال: قدسألته فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً ، فقال [من السريع] :

وشـادنٍ كالبَدْر يجلو الدُّجى   فى الفَرْق منه المسكُ مذْرُورُ

يحاذرُ العـينَ على صَدْرِهِ   فالجيبُ منهُ الدَّهْرَ مَزْرُورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ، ولـكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

وحدَّث علىّ بن سعيد الشيبانى ، قال : تعشق أبو الشيص قَيْنَةً لرجل من أهل بغداد ، فـكان يختلف إليها و ينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلفَ مالا كثيراً ، فلما كف بصره وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص وشكا إلىَّ وجْدَهُ بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضى معه إليه ، فمضيت معه إليه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن لنا ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعظَّمت عليه حـقَّه ، وخوَّفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه : فكان يأكل فى بيته ، و يحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معـه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم سمعنا صُرَاخاً شديداً من الدار ، فقال لى: مالها تصرخ ؟أتراه قد مات لعنه الله؟! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، وَإذا هو قد حسَرَ كميه و بيده سوط ، وقال لنا ادخلا ، فدخلنا ، وَإنمـا حمله على الاذن لنا الفرَق منى ، فدخلنا ، وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه ، واطلعنا ، فاذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشد الضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول لها : وأنت أيضا فاسرقى الخبز

فاندفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك [من السريع] :

يقولُ والسوطُ على كفهِ قدْ حزَّ فى جلدتها حَزّا

وهْىَ على السلّم مشدُودةً وأنتِ أيْضاً فاسرقى الخبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فان أشاع هـذه البيتين فَضَحنى ، فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما ، وله علىَّ يومان فى الجمعة ، ففعلت ذلك ، وَوَافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات.

وحدَّث على بن محمد النوفلى عن عمه ، قال : كان أبو الشيص صديقا لمحمد ابن إسحاق بن سليمان الهاشمى ، وهما حينئذ مملقان ، فنالَ محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، فجفا أبا الشيص وتغير له ، فكتب إليه [من البسيط] :

الحمدُ للهِ رب العالمين على قُرْبى وَبُعدِكَ منى ياابن إسحاقِ [1]

ياليْتَ شعْرِى متى تُجْدِى علىَّ وقدْ أصبحْتَ ربَّ دنانير وأوراقِ

تُجْدِى علىَّ إذَا ماَ قِيلَ مَنْ رَاقِ

والتفتِ السّاقُ عندَ الموتِ بالساق [2]

---

(١) فى الأغانى «قربى وبعدك منه يابن إسحاق» وهو المناسب ، والضمير فى «منه» عائد إلى الله تعالى

(٢) يريد تجدى على يوم تكون روحى فى النزع ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) من سورة القيامة

يومٌ لعمري تهمُّ الناسَ أنفسُهُم ... وليس تنفعُ فيه رُقيةُ الراقي

وحدَّث أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال : كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها ، وفيها يقول [من المنسرح] :

لم تنصفى يا سمية الذهب ... تتلف نفسى وأنتِ فى لعب

يا ابنةَ عمِّ المسك الزكى ومَنْ ... لولاك لم يُتَّخذ ولَم يطبِ

ناسبكِ المسك فى السواد وفى الريح فأكْرِمْ بذاكِ من نسب

ومن لطيف شعره قوله [من الوافر] :

وقائلةٍ وقد بَصرتْ بدمعٍ ... على الخدَّين مُنحدرٍ سكوبِ

أتكذبُ فى البكاء وأنتَ خِلْوٌ ... قديماً ما جسرتَ على الذنوبِ

قميصكَ والدمُوعُ تجول فيه ... وَقلبكَ ليسَ بالقلب الكئيبِ

نظيرُ قميص يوسف حين جاءوا ... على أبابه بدم كذوبِ

فقلتُ لها فداكِ أبى وأُمى ... رَجمْتِ بسوء ظنك فى الغيوبِ

أماَ وَاللهِ لوْ فتشتِ قلْبى ... لسرَّكِ بالعويلِ وبالنحيبِ

دُمُوعُ العاشِقينَ إذَا تلاَقَوْا ... بظهْرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره . وله مراث فى عَينيه قبل ذهابهما و بعده فحدث محمد بن القاسم بن مهرويه . قال : أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها [من الوافر] :

إذا ما ماتَ بعضك فابْكِ بعضاً ... فان البعضَ من بعضٍ قريبُ

فأنشدنى لأبى الشيص يبكى عينيه [من المنسرح] :

يا نفس ابكى بأدمع هُتُنِ ... ووا كفٍ كالجمان فى سَنَنِ

على دَليلى وقائدِى ويدِى ... ونُورِ وجهى وسائس البدنِ

أبـكي عليها بها مخافةَ أنْ تَقْرِنَني وَالظلامَ في قَرَنِ

وقال أبو هفان : حـدثني دِعبل ، أن امرأة لقيتْ أبا الشيص ، فقالت : يا أبا الشيص ، عَميتَ بَعـدِي ، فقـال : قبحكِ الله ! دَعوْتني باللقبِ ، وعيرتني بالضرر .

وحدَّث أبو العباس بن الفرات ، قال : كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة ، وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرمٌ وما فيهم إلا نضوٌ ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان ، فقال : كأنهم والله صـفة أبي الشيص حيث يقول [من الكامل] :

أكلَ الوجيفُ لحومها ولحومَهُمْ فأتَوْكَ أنقاضاً عَلى أنقاضِ

وكانتْ وفاة أبي الشيص سنة ست وتسعين ومائة ، مقتولا . حدث عبدالله ابن الأعمش ، قال : كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخـزاعي يشرب مع خادم له . فلما ثمل نام عنده ، ثم انتبه في بعض الليل ، فذهب يدب إلى خادم لعقبة ، فوجأه بسكين ، فقال له : وَيحكَ قتلتني والله ، وما أحب أن أفتضح ، وأني قتلت في مثل هذا ، ولا تفتضح أنت بي ، وَلـكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي واجعـل زجاجها في الجرح ، فاذا سئلت عـنى فقل : إني سقطت في سكرى على الدستيجة فانـكسرت فقتلتني . ومات من ساعته ، ففعل الخادم ما أمره به .

ودفن أبو الشيص ، وَجزع عقبة عليه حزعا شديداً ، فلما كان بعـد أيام سكر الخادم وتحدث بمـا كان . فصدق عقبة الخبر ، وأنه هوالذى قتله ، فلم يلبث عقبة أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضرب به حتى قتَلَه .

* * *

٢٠٥ — وتَرَى الطيرَ علَى آثارنا   رأىَ عينٍ ثِقةً أن ستُمارْ

أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه

* * *

٢٠٦ — وقدْ ظلَّلتْ عقبانُ أعْلامِهِ ضحى   بعقْبانِ طيرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ

أقامتْ معَ الراياتِ حتَّى كأنَّها   منَ الجيْشِ إلاَّ أنها لم تقَاتِلِ

البيت الأول للأفوه الأودىّ ، من قصيدة من الرمل أولها :

إن تَرَىْ رأْسِىَ فيه نزَعٌ   وشَوَاتى خلة فيها دوَار

يقول فيها :

إنما نعْمَةُ قوم متعةٌ   وحياة المرء ثوبٌ مُسْتَعَار

حتم الدَّهر علينا أنهُ   ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَار[١]

ظلف : باطل ، وجبار : هدَر .

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهى التى نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام ، وإياه عنى بقوله فيها :

رَيَّشَتْ جُرْهُمُ نبلاً فرَمَى   جُرْهُمًا منْهُنَّ فُوقٌ وغرار

والبيتان الأخيران لأبى تمام من قصيدة من الطويل ، يمدح بها المعتصم والافشين ، وأولها :

غدَا الملكُ معْمُورَ الحرا والمنازل   منُوّرَ وحْفِ الروض عذبَ المناهلِ[٢]

بمعتصم بالله أصبـــح مَلْجأ   ومُعْتَصَما حرزاً لكلِّ مُوائِلِ

لقد ألبَسَ الله الامام فضائلا   وَتَى طرَفَيْهَا باللُّهى والفَوَاضل[٣]

فأضْحَتْ عطاياه نَوازعَ شُرَّدَا   تُسائل فى الآفاق عَنْ كل سائل[٤]

---

(١) فى اللسان (ط ل ف) « حكم الدهر »

(٢) وقع فى الأصول «معمور الحوا» وأثبتنا ما فى الديوان (٢٤٧) والحرا الناحية ، والوحف : الريان ، والمناهل : جمع منهل ، وهو الحوض

(٣) فى الديوان «وتابع فيها باللهى»

(٤) فى الديوان «نوازع شزبا»

مواهبُ جُزْنَ الأرضَ حتى كأنما أخذنَ بأهْدَابِ السَّحابِ الهَوَاطلِ (١)

ومنها فى مديح الافشين :

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذَوُو تصديقها فى المحافل

لقدلَبِّسَ الافشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى مِحَشًا بنصلِ السيفِ غيرَ مُوَاكل (٢)

وجَرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ به الحرب حَدًّا من حدود المَنَاصِلِ

وثارَتْ به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ (٣)

رأى بابكٌ منه التى لا شَوَى لها سِوَى سِلم ضيمٍ أوصفيحة قاتلِ (٤)

تراه إلى الهيجاء أول راكبٍ وتحت صبير الموْت أولَ نازلِ (٥)

تسَرْبَلَ سر بالا من الصبر وارتدى عليه بعضب فى الكريهة فاصلِ

وبعده البيتان

والنواهل : جمع ناهلة ، من نهل إذا روى ، والرايات : الأعلام.

ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا ، لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم مَنْ نقتلهم من أعدائنا .

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت

---

(١) فى الديوان «مواهب جدن الأرض» وفيه «أخذن بأذناب السحاب»

(٢) قسطلة الوغى: غباره ، والصوت يكون فى الحرب . والمحش: الجرىء على العمل ، ونصل السيف: حده، والمواكل : التكلة الذى يكل أموره إلى غيره ليقضيها

(٣) فى الديوان «وسارت به» وكان فى الأصول «بين القبائل» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان

(٤) وقع في الأصول «التى لاشرالها» محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٥) فى الديوان «رأوه إلى الهيجاء »

مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى ، فتلقى ظلالها عليها ، والعقاب يطلق على الراية الضخمة ، قال الشاعر [من الرجز] :

وهْوَ إذا الحربُ هفا عُقَابهُ مِنْ جمر حَرْبٍ تلتظى حِرَابهُ

وقال الآخر [من البسيط] :

ورُبَّ ظلِّ عُقاب قَدْ وَقَيْتُ به مُهرى من الشمس والأبطالُ تجتَلدُ

والشاهد فى الأبيات : أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه و يضاف إليه مايحسنه فان أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه « رأى عين» ولا قوله « ثقة أن ستمار » ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله « إلا أنها لم تقاتل » و بقوله « فى الدماء نواهل» و بقوله « أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش » وبهذه الزيادة يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل» لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن ، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضا تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشىء من الكلام السابق ، بخلاف وقوع ظلها على الرايات ،

وما ذكر فى الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء ، وأولُ من نطق به الأفوهُ هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم [من الطويل] :

إذا ما غَزَوْا بالجيش حلّقَ فوقهم عَصَائبُ طيرى تهتَدِى بعَصَائب
يُصاحِبْنَهُمْ حتى يغِزْن مغَازَهُمْ من الضاريات بالدِّماء النوائب[1]

---

(١) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب ، وهو متغير فى أكثر كلماته ، وأوضح رواية فى إنشاده :

يصانعنهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات باللحوم الدوارب

تراهنّ خلفَ القوم خُزْراً عيونها جلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانب[١]
جوانح قدْ أيقنَّ أنَّ قبيلهُ إذا ما التقى الجمعان أولُ غالب
لهنّ عليهم عادة قد عرَفنَها إذا عُرِّض الخطى فوقَ الكواثب[٢]

وقول أبى نواس [من المديد] :

وإذا مجَّ القنا عَلقاً وتراءى الموتُ فى صُوَرِهْ
راحَ فى ثنيى مُفاضتِهِ أسدٌ يَدمى شبَا ظُفرهْ
تتأيَّا الطيرُ غُدْوَتَهُ ثقةً بالشِّبعِ من جزَرِهْ

ولما سمع محمود الورَّاق أبانواس ينشد هذه الأبيات قال : ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول * إذا ما غزوا * وأنشد الأبيات ، فقال له أبو نواس : اسكت فإن كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع

وتبع أبانواس مسلم فقال [من البسيط] :

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها فهُنَّ يَتبعْنَهُ فى كل مُرتحَلِ

ومن هذا المعنى قول حُميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا [من الطويل] :

إذا ما غدَا يوْماً رأيت غمامَةً من الطير ينظرْنَ الذى هُوَ صانع[٣]

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم [من البسيط] :

لاتَشبعُ الطيرِ إلا فى وقائعِهِ فأينما سارَ سارتْ خلفَهُ زُمرا
عوّارفاً أنهُ فى كل مُعترَكٍ لايُغمِدُ السيفَ حتى يكثر الجزَرَا

---

(١) وقع فى الأصول «فى ثياب المراتب» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . وثياب المرانب ـ بالنون قبل الباء ـ ثياب يقال لها المرنبانية كأنها متخذة من جلود الارانب

(٢) وقع فى الأصول * إذا عرض الخطى فوق الكتائب * وأثبتنا ما فى الديوان ، والكواثب : جمع كاثبة ، وهى أمام قربوس السرج

(٣) فى الموازنة للآمدى «إذا ما غزا» وهو تحريف صوابه ما هنا

وأخذه بكر بن النطاح فقال [من مجزوء الكامل] :

وترَى السباعَ من الجوَا رحِ فَوْقَ عسكَرنا جوَانح

ثِقـــة بأنا لانزَا ل نَمِيرُ ساغِبَهَا الذبائح

وأخذه ابن جهور فقال [من البسيط] :

ترَى جوَارحَ طيرِ الجو فوقَهُمُ بينَ الاسنَّةِ والراياتُ تختفِقُ

وأخذه آخر فقال [من الطويل] :

وِلَسْتَ ترَى الطيرَ الحوائم وُقَّعاً من الأرض إلاحيثُ كان مُواقعاً

ومنه قول الكميت بن معروف [من الوافر] :

وقد سترَت أسنَّتهُ المواضى حُدَيَّ الجو والرُّخَمُ السِّغابُ

ومنه قول بعضهم [من البسيط] :

والطيرُ إن سارَ سارَت فوق موكبهِ عوَارفاً أنه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبي بقوله [من الطويل] :

له عسكَرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جَماجِمُهْ

وله فى قريب منه [من البسيط] :

يُطمعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقَعُ

وقد أشار إلى هذا المعنى أبوفراس بقوله [من الطويل] :

وأظمأُ حتى ترتوى البيضُ والقَنَا وأسغَبُ حتى يَشبعَ الذِّئبُ والنسْرُ

ومنه قول ابن شهيد الأندلسى [من الطويل] :

وتَدْرِى سباعُ الطير أن كُماتَهُ إذا لَقيت صيدَ الكُماة سِباعُ

تَطيرُ جيــاعاً فوْقَهُ وتردُّهَا ظُباه إلى الأوكار وهيَ شِباعُ

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعاً أو فى المعنى وحده، ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر ، كما يحكى أن سليمان بن عبدالملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضراً، فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم، فاستعفى

فما أعنى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ، فلم يستعمله ، وقال : إنما أضرب بسيف أبى رَغْوَان سيف مُجاشع ، يعنى سيفه ، ثم ضرب به الرومى ، فنبا السيف ، فضحك سليمان ومَنْ حوله ، فقال الفرزدق [من البسيط] :

أيَعْجَبُ الناسُ أنْ أضحكتُ سيِّدَهُمْ ... خليفةَ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

لم يَنْبُ سَيْفِى مِنْ رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عَنِ الأسير ولكن أخَّرَ القَدَرُ

ولَنْ يُقدِّمَ نفساً قبلَ مِيتَتِهَا ... جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصَامَةُ الذكَرُ

ثم أغمد سيفه وهو يقول [من الرجز] :

ما إنْ يُعَابُ سيدٌ إذا صَبَا ... ولا يُعَابُ صارمٌ إذا نَبَا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة ـ يعنى جريراً ـ وقد هجانى فقال : [من الطويل] :

بسَيْفِ أبى رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وقام فانصرف ، وحضر جرير ، فأخبر الخبر ، ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول البيت بحروفه ، وزاد

ضَرَبْتَ به عِنْدَ الامام فأرْعِشَتْ ... يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ (١)

فأعجب سليمان ما شاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين كأنى بابن القَيْن ـ يعنى الفرزدق ـ قد أجابنى فقال [من الطويل] :

وَلا نَقْتُلُ الأسْرَى ولكن نَفُكُّهُمْ ... إذَا أثْقَلَ الأعنَاقَ حملُ المَغَارِمِ

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيباً :

كَذَاكَ سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتُها ... وتقطع أحياناً مَناطَ التَّمائمِ

ولا نَقْتُلُ الأسرَى ولكن نَفُكُّهُمْ ... إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

وهَلْ ضربَةُ الرُّومىِّ جاعلةٌ لكم ... أباً من كليبٍ أو أخاً مثلَ دارمِ

---

(١) فى الأصول «وقالوا مجدب» وأثبتنا ما فى الديوان

ويضارع هذا مايحكى أن المهدىّ أُتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب[1] بن شبة، فقال له: اضرب عنق هذا العِلْج، فقال: ياأمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق، فعير به قومه إلى اليوم، فقال: إنما أردتُ تشريفك، وقد أعفيتك، وكان أبو الهول الشاعر حاضراً، فأنشد [من الطويل]:

جزِعتَ منَ الرُّومى وهو مقيَّدٌ ... فكيفَ إذا لاقيته وهْوَ مطلقُ
دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لقتلهِ ... فكادَ شَبيبٌ عندَ ذلكَ يفرَقُ
فَنحِّ شبيباً عن قِرَاعِ كتيبةٍ ... وأدْنِ شبيباً منْ كلام يُلَفَّقُ

ومن نوادر الخواطر ما يحكى عن ابن ميَّادة أنه أنشد يوما لنفسه، [من الطويل]:

مُفيدٌ ومتلافٌ إذاما أتيتهُ ... تهلّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهندِ

فقيل له: أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه.

ومنه ما حكى الصفى الحلى أنه نظم بيتا من جملة أبيات، وهو [من الكامل]:

تَهْوَى مواضيكَ الرقابَ كأنما ... من قبلُ كان حديدها أغلالاَ

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله، وهو [من البسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيها فتحسبها ... تودُّ لو أصبحتْ أغلالمن أسَرا

فأسقط بيته الذى نظمه، ثم إنه نظمه بعد ذلك فى بديعيته، فقال: [من البسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيهم فتحسبها ... حديدَها كان أغلالاً من القدَمِ

ولنذكر منْ أخذ المتأخرين بعضهم من بعضٍ مايحلو فى الأذواق، وتتحلى

(١) كذا، ويقع فى بعض الأمهات «شبيب بن شيبه»

به الأوراق.

فمن ذلك قول القاضى الفاضل فى مليح مُعذر [من الطويل] :

وكنتَ وكنّا والزمانُ مُساعدٌ فصرْتَ وصِرْنا وَهْوَ غير مُساعدِ
وَزَاحمنى فى وِرْد ريقكَ شاربٌ ونفسىَ تأبىَ شركها فى الموارِدِ

أخذَه العز الموصلى ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنتَ لى وَحدى وَوَجهكَ رَوْضَتى
وكُنا وكانت للزمان موَاهبُ
فعارضنى فى وردِ خدكَ عارضٌ وزَاحمنى فى ورد ثغركَ شاربُ

وقول ابن سناء الملك [من الطويل] :

وفى القَلب تَصديعٌ ، وفى الوصل جَبْرُه
وَفى الخدّ دينارٌ وفى الجفنِ كسرُهُ

أخذه ابن نباتة فقال [من مجزوء الكامل] :

فى خــــده وجفُونه للحسن دينارٌ وكَسرُ

وقد تلاعبَ الشعراء بهــذا المعنىَ إلى أن وصل للمعمار ، فقال : [من مجزوء الرمل] :

كم حَوَى جفْنىَ معنىً قلتُ ألفاً وكسورا

وقول السراج الوَراق [من السريع] :

يا ساكناً قَلبي على أنهُ بوجـــده فى قَلَقٍ دائبِ
قَلبِىَ من خوف النوى واجبٌ وأنتَ لم تخرج عن الواجبِ

أخذ ابنُ نباتة نكتة الواجب وسَبَكها فى قالب آخر ، فقال فى رامى بندق [من السريع] :

أسعدْ بِهَا يا قمرى برزَةً سعيدَةَ الطالعِ والغاربِ
صرعْتَ طيراً وسكنتَ الحشَى فما تعدَّيتَ عنِ الواجبِ

وقول أبي الحسين الجزار ، وكتب به إلى بعض الرؤساء ، يَستَدْعى قطراً [من الطويل] :

أيا عَلَمَ الدينِ الذِى جُود كفِّهِ براحتِه قَدْ أخجَلَ الغيْثَ والبحْرَا
لئن أمْحلَتْ أرْضُ الكُنافةِ إنّنى لأرْجُوهَا من سُحبِ راحتِكَ القطْرَا

فتحلَّى ابنُ نباتة بهذا القطر فقال [من مخلع البسيط] :

لجود قاضى القُضاةِ أشكُو عَجْزى عنِ الْحُلْوِ فى صِيَامى
والقَطْرُ أرْجُو ولا عَجِيبٌ للقَطْرِ يُرْجَى مِنَ الغَمَامِ

وقول محيى الدين بن عبد الظاهر [من مجزوء الكامل] :

شكرا لنَسْمَةِ أرضكم كم بَلَّغت عنى تَحيهْ
لا غرْوَ أن حفِظت أحا ديثَ الهوى فهى الذكيهْ

أخذه الصلاح الصفدى فقال [من الكامل] :

ياطيبَ نَشْرٍ هبَّ لى من أرضكم فأثار كامِنَ لوْعتى وتهتُّكى
أهدى تحيتكم وأشبَهَ لطفكم وروى شذاكم إنَّ ذا نشرذكِى

وأشار إلى هذه السرقة ابن أبى حجلة فقال [من الكامل] :

إن ابن أيبكَ لم تزل سرقاتُهُ تأتى بكل قبيحةٍ وقبيحِ
نَسَبَ المعانى فى النسيمِ لنفْسه جهلا فراح كلامُهُ فى الريحِ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً مقتبساً [من الكامل] :

بأبى فتَاةٌ من كمال صفاتِها وجمال بهجتها تحارُ الأعينُ
كم قد دفعتُ عواذلى عن وجهها لما تبدَّت بالتى هى أحسَنُ

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده إيضاحاً فقال [من الكامل] :

ياعاذلى شمسُ النهارِ جميلةٌ وجمالُ فاتنتى ألذ وأزْيَنُ

فانظر إلى حسنَيْهِمَا متأمّلا وادْفع ملامكَ بالتى هى أحْسَنُ

وألمّ به العزالموصلىّ فقال [من الخفيف]:

قد سَلَوْنا عن المليح بخَوْدٍ ذاتِ وَجْهٍ به الجمالُ تفَنَّنْ

ورَجَعْنا عن التهتك فيه ودَفعناه بالتى هى أحْسَنْ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب [من الطويل] :

كتبتُ لكم من أعيُنِ القصَبِ التى لهَا من معَانيكم ومن نفسها طرَبْ

فان أطرَبَ التشبيبُ فيها بذكركم فكم أطرب التشبيب من أعينِ القصَبِ(١)

أخذه المعمار فقال فى مشبب [من مجزوء الرجز] :

هويته مشبباً بعَادُه برَّحَ بى

تيَّمَ قلبى بالحجا ز من عُيونِ القصَبِ(٢)

وقول شيخ شيوخ حَماة موريا بالورد المنسوب إلى نصيبين [من مخلع البسيط]

أفدِى حبيباً رُزقتُ منهُ عَطْفَ مُحِب على حبيب

بوجنةٍ ما أنَمَّ ربحى وقد غدَا ورْدُها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال [من الطويل] :

فَدَيْتُكَ غُصناً ليس يَبْرَحُ مُثْمِرا من الحسن فى الدنيا بكلّ غريب

تفَتّح فى وَجناته الوردُ أحمرا فيالَيْتَ ذاكَ الوردَ كان نَصيبى

وقوله أيضاً فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى [من السريع]:

قالوا أما فى جلّقٍ نُزْهة تُنْسيكَ ماأنتَ به مُغرَى

---

(١) أراد من الحجاز ضربا من النغم معروفا بهذا الاسم ، وأراد من عيون القصب المزمار

يا عاذلى دُونَكَ من لحظه سَهْماً ومن عارضه سَطْرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بمقرى وهو من متنزهاتها أيضاً [من الطويل] :

سألتكما إن جئتما الشام بكْرَةً وعاينتما الشقراء والغوطَةَ الخضْرا
قِفا واقرآ منى كتابا كتبتُهُ بدمعى لكم مقرى ولا تَنْسَيَا سطرا

وفى مثله للنور الأسعردى [من الطويل] :

وريم جلالى خمرةً مُزَّةً جلَتْ همومى وقد عاينْتُ فى خده سَطْرَا
ورَبْوَتُه الشقراء ناعمةٌ غدَتْ فيا حُسْنها من بَرْزةٍ ليتها عَذْرَا

وقول مجير الدين بن تميم فى سَجَّادة [من الطويل] :

أيا حُسنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها توَسُّمُ
إذا ما رآها الناسِكون ذوُو الحِجى أمامَهمُ صَلَّوْا عليها وسَلَّموا

أخذه ابن نباتة فقال [من الخفيف] :

إن سَجَّادتى الحقيرةَ قدْراً لم يَفتها فى بابكَ التعظيمُ
شرفَتْ إذْ سمَتْ إليك فأمْسَتْ وعليها الصلاةُ والتَّسليمُ

وتطفل عليها ابن الوردى فقال [من المقتضب] :

سَجَّادتى أذْكَرَتْنى منك الذى كنت أعلم
أهدَيْتُها لمحبٍّ صلّى عليها وَسَلّم

وقوله أيضاً فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته [من السريع] :

كم قُلتُ لما فاضَ غيظاً وقدْ أُزيح عن منصبه المُعْجب
لا تَعْجَبُوا أن فارَ من غيظهِ فالقَلْبُ مطبُوخ على المنْصِب

ألم به الشرف النصيبى فقال [من الكامل] :

وَلَّوْكَ إذ علموا بجهلك منصباً علماً بأنك عن قليلٍ تبرَخُ
طبخوا بنارِ العزل قلبكَ بعدَ ذا وكذا القلوب على المناصبِ تُطْبخُ

وقوله أيضا [من الوافر] :

دعيتُ فكان أكلى فخذَ طيرٍ ولم أشْرَب من الصهباء نقْطهْ
وما يوْمى كأمسِ وذاكَ أنى أكلتُ أوزة وشَربتُ بطّهْ

أخذه الصلاح الصفدى بقافيته فقال [من المقتضب] :

شَوَى الأوز فأضْحَتْ فى حُمْرَة الخد بَسْطَهْ
فقلت تَشْوى أوزا أم كنت تَشْرَب بطه

وقوله أيضا وتقدم فى حسن التعليل [من الطويل] :

حبيبي وَعَدْتَ الكأس منك بقبلة وأعقَبَ ذاك الوعْدَ منك نفارُ
وما كان هذا لوْنها غير أنها علاها لطول الانتظار صفارُ

أخذه ابن الصاحب فقال [من مخلع البسيط] :

يا حابس الكأس لا تَزدها من بَعْد حَبْس الدنان حَسْرَهْ
واغنم مزاجا لها لطيفا أورثَه الانتظارُ صُفْرَهْ

وقول ابن العفيف [من مجزوءِ الرمل] :

كان ما كانَ وزَالا فاطّرِحْ قيلاً وقالا
أيها المعرِضُ عنى حسبُكَ الله تَعَالى

أخذ المجد بن مكانس بعضه فقال [من مخلع البسيط] :

يا غُصناً فى الرياضِ مالا حَمَّلْتنى فى هواكَ مالا
يارائحاً بعد ما سَبَانى حسبُكَ رَبُّ السما تعالى

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

إنى لأشكو فى الهوى ما راح يفْعَلُ خَدُّهْ
ما كان يدرى ما الجفَا لكن تفتَّحَ وردُهْ

أخذه الصلاح الصفدى وزاده نكتة أخرى فقال [من الطويل]:

أقولُ له ما كان خدُّك هكذا ولا الصُّدْغ حتى سال فى الشَّفَق الدُّجى
فَمِنْ أين هذا الحسنُ والظرفُ قال لى تَفَتَّح وَرْدى والعِذارُ تَخرَّجا

وقول الوداعى من قصيدة [من الكامل] :

بخلتْ علىَّ بدُرِّ مَبْسمها فغَدَتْ مطوَّقةً بما بَخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال [من الكامل]

بخلَتْ باللؤلؤ ثغرها عن لاثمٍ فغدَتْ مطوقة بما بخلَتْ بِهِ

ومحاسن المتأخرين كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى

ترجمة الأفوه الأودى

والأَفوَه الأَوْدِى[1] اسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة ، وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك « فارس الشهباء » وفى ذلك يقول الأفوه [من الطويل] :

أبى فارسُ الشهباء عمرو بن مالكٍ غَدَاةَ الوغى إذ مال بالجد عاثرُ

ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان ، وقال الكلبى : وكان الأفوه من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وتعد كلمته [من البسيط]

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهِمُ وإن بنى قَوْمُهُمْ ما أفسَدُوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها ، وكان بينه وبين قوم من بنى عامر دماء ، فأدرك بثأره ، وزاد ، فأعطاهم ديات من قَتَلَ فضلا عن قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم [من الطويل] :

نقاتِلُ أقواما فنَسبِى نساءَهُمْ ولم يَرَ ذو عِزٍّ لنسوَتِنَا حِجْلَا
نَقُودُ ونأبى أن نُقَادَ ولا نَرَى لقوم علينا فى مكارمهم فَضْلَا

---

(١) للأفوه الأودى ترجمة فى شعراء النصرانية (٧٠) والشعراء لابن قتيبة (١١٠) والأغانى (١١ ـ ٤٤)

وإنا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدَتْ بالصيف نَجْدِيَّة بزلا
نَظَلّ غيارى عند كل ستيرةٍ تقلب جيداً واضحاً وشَوًى عَبْلا
وإنا لنُعطى المالَ دون دمائنا ونأبى فما نستام دُونَ دمٍ عَقْلا

وقال أبو عمرو : أغار بنو أوْدٍ وقد جَمَعها الأفوهُ على بنى عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله يزيد بن الحارث الأودى ، وأقام الأفوه الأوديّ حتى أفاق من وَجَعِهِ ، وخرج يزيد بن الحارث فلقى بنى عامر وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما التَقَوْا عرف بعضهم بعضاً ، فقالت لهم عامر : ساندونا فما أصابنا كان بيننا و بينكم ، فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ طائلتنا ، فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال : يا بنى أود والله لتأخُذُنَّ بطائلتى أو لأنتَحِين على سيفى ، فاقتتلت أود و بنو عامر ، فظفرت أود وأصابوا مغنما كثيرا ، فقال الأفوه فى ذلك [من الوافر]:

ألا يا لَهْفَ لو شَهِدَتْ قنانى قبائلُ عامرٍ يوْم الصليبِ[١]
غداة تجمعت كعب إلينا حلائف بين أفناء الحُرُوبِ[٢]
فلما أن رأونا فى وغاها كآسادِ العرينةِ والحجيب[٣]
تداعَوْا ثم مالوا عن ذراها كفعل الجامعات من الوجيبِ[٤]
وطارُوا كالنَّعامِ ببطن قوٍّ مزايلةً على حذر الرقيبِ[٥]

وهو القائل (من البسيط) :

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لاسراة لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

(١) فى الأغانى « لو شدت قنانى » وفيه « يوم الصبيب » .
(٢) فى الأغانى « جلائب بين أبناء الحريب » .
(٣) هذا البيت غير مذكور فى الأغانى ولا فى شعراء النصرانية
(٤) فى الأغانى وشعراء النصرانية :
تداعوا ثم مالوا فى ذراها كفعل معانت أمن الرجيب
(٥) فى الأغانى « وطاروا كالبغام » وفيه « مواءلة على حذر » .

تُهْدَى الأمور بأهل الرأى ما صَلَحت فإنْ تَوَلَّتْ فبالأشرار تَنْقادُ

وهو القائل [من السريع] :

والمرء ما يُصْلِحُ له ليلةً بالسَّعْدِ تُفْسِدهُ ليالى النُّحُوسْ

والخير لا يأتى ابتغاءً به والشر لا يفنيه ضَرْحُ الشمُوسْ

وهو القائل [من الوافر] :

بَلوْتُ الناسَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ فلم أر غيْرَ ذى قيل وقال

ولم أرفى الخُطُوب أشدَّ هَوْلاً وأصْعَبَ من مُعاداةِ الرِّجالِ

وَذقْتُ مَرارة الأشياء طرًّا فما شئٌ أمرُّ من السُّؤالِ

قال عبد الله بن الزبير : هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

* * *

٢٠٧- إن كنت أزْمَعْتَ على هَجْرِنَا من غير ما جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ

وإنْ تَبدَّلْتَ بنا غَيْرَنا فَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الْوَكيلْ

الاقتباس

البيتان من السريع ، وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبى .

ومعنى « أزمعت » أجمعت على الأمر وثبتُّ عليه ، والجرم — بالضم — الذنب ، والصبر الجميل : هو الذى لاشكوى فيه ، كما أن الصفح الجميل هو الذى لا عتب فيه ، والهجر الجميل هو الذى لا غيبة فيه

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من القرآن العظيم

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم فى وكيل بدار القاضى يدعى بالعز [من السريع] :

لا تقرَبِ الشرعَ إذا لم تكن تَخْبُرهُ فهوَ دَقيقٌ جليلْ

وَوَكِّلِ العزَّ الذى وَجهه على نجاح الأمْرِ أقْوَى دَليلْ

ولاَ تَملْ عنهُ إلى غيرهِ فحسبنا اللهُ وَنعمَ الوكيلْ

وما أظرف قول بعضهم فى ذم وكيل اسمه كثير [من المقتضب] :

كثيرُ شأنكَ عندى وعندَ غيرى قليلُ

وحقِّ مَنْ هو حسبى ما أنتَ نعمَ الوكيلُ

من شواهد الاقتباس

٢٠٨ — قالَ لي إنَّ رَقيبي سَيءُ الخُلقِ فَدَارِهْ
قلتُ دَعني وَجهكَ الجنةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

البيتان للصاحب بن عباد ، من الرمل .

والرقيب : الحافظ والحارس ، والمداراة : الملاطفة والمخاتلة

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من الحديث ، ولفظه : « حُفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . والحفوف : الاحاطة بالشىء .

والمعنى : أن وجهك لحسنه جنة ، فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف .

وفى مثله قول بعضهم [من الطويل] :

وَلِلهِ فى عَرْضِ السموات جَنةٌ ولكنها محفوفةٌ بِالمكارِهِ

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

ووَاللهِ لولاَ أنهُ جنةُ المُنَى لما كانَ محفوفاً لنا بالمكارهِ

وقول ابنِ نُبَاتة السعدى [من مجزوء الكامل] :

عَنْ خدهِ منعَ الرّقيبُ وَبعدَهُ دَاجى عِذَارِهْ
وَاهاً لها من جنَّة حُفَّتْ بِأنوَاعِ المكارهْ

وقول الصفى الحلى [من مجزوء الكامل] :

يا جنةَ الحسن التى حُفَّتْ لدينا بالمكارهْ
إنى لِوَجهكَ عاشقٌ ولِمنظرِ الرُّقباء كارِهْ

وقول ابن نباتة فى جارية صوَّرت بوجهها حية وعقرباً بغالية [من الطويل]:

قتيلكِ ما أذكى الهوى جُلَّنارهِ إلى أن تبدَّى الخدُّ فى جُلَّنارهِ
رأى حيةً فى وجنتيك وعقرباً نعمْ جَنَّة محفوفة بالمكارهِ

وقريب منه قول الأبله الشاعر البغدادى ، وكان له ميل إلى بعض أولاد البغاددة ، فعبر على باب داره فوجد خلوة ، فكتب على الباب [من السريع] :

دارُكَ يا بدرَ الدجى جنة بغيرها نفسى لاَ تلهُو
وقدْ رَوَى فى خبرٍ أنهُ أَكثر أهل الجنةِ البلهُ

ذكرت بهذا ما حكى ابنُ عَسَاكر ، عن سلمة بن عاصم ، قال : ما لقينى الأصمعى قط إلا قال : « أرجو أن تكون من أهل الجنة » قال : فقال لى جليس له : إنما أراد أنك أبْلَه ، لأن أكثر أهل الجنة البله ، قال : لا يبعد ، فقد كان ماجناً ، انتهى

ترجمة الصاحب بن عباد

والصاحب ابن عباد [١] ، هو : إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقانى ، والطالقان : اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والأخرى : من أعمال قزوين ، وهذه هى التى منها الصاحب ، ومولده بها ، أو باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وهوأول من سُمِّى بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبى ، فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمِى به كل من ولى الوزارة بعده ، وقيل : سُمى به لأنه كان يصْحَبُ الوزير ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم خفف فقيل : الصاحب

وقال الثعالبى فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وَجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بغَايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، إلى أن قال : ولكنى أقول : هو صَدْرُ المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وَينبوع الفضل والاحسان . وكانت حضرته محط رحال الأدباء والشعراء ، وموسم فضائلهم ، ومَتْرع [٢] آمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم ،

(١) تجد للصاحب بن عباد ترجمة فى يتيمة الدهر (٣-١٨٨ بتحقيقنا) وفى تاريخ ابن خلكان (١ - ٢٠٦ بتحقيقنا) .

(٢) فى المطبوعتين « ومنزع آمالهم » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وصنائعه مقصورة عليهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، وبدائع الافهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ، وثمار الخواطر ، ودرر القرائح ، فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ، ويدخل فى باب الاعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتفّت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرْبى عـددهم على شعراء الرّشيد ، ولا يقصرُون عنهم فى الأخـذ برقاب القوافى ، وملك رق المعـانى ، فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء : كأبى نوَاس وأبى العتَاهية ، والعتابى ، والنميرى ، ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، وأشجع السلمى ، ومروان بن أبى حفصة ، وغيرهم . وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى ، وجرجان . مثل : السلامى ، والخوارزمى ، والمأمونى ، والبديهى ، والرستمى ، والزعفرانى ، والضبى ، والجرجانى ، وأبى قاسم بن أبى العلاء ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، والبديع الهمذانى ، وأبى الفرج الساوى ، وغيرهم ، ومدحه مكاتَبَةً[1] الشريفُ الرضى ، وابن حجاج ، والصابى ، وابن سكرة الهاشمى ، وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج [من الخفيف] :

إنّ خيرَ المداح مَنْ مدحته ... شُعراء البلاد فى كل نادى

قال : وسمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حِجْرِها ، ودرج فى وَكْرِها ، ورضع أفاويق دَرِّها ، وورثها عن أبيه ، كما قال الرستمى فيه [من الكامل] :

وَرِثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مَوْصُولَةَ الاسناد بالاسناد

يروى عَنِ العباس عبَّادٌ وزَا ... رتَه وإسْماعيلُ عَنْ عبَّادِ

(١) فى المطبوعتين «ومدحه كاتبه الشريف الرضى» وهو خطأ تصويبه عن اليتيمة .

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحبُ من الوزارة ، قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالنا فيها من إرث الأمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

قال : وحدثني عون بن الحسين الهمذانى ، قال : كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب بن عباد ، فرأيت فى دستور كاتبها ، وكان صديقى ، مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين ، قال : وكان يعجبه الخز ، ويأمر بالاستكثار منه فى داره ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحيــة ، وأخذ يكتب شيئاً ، فنظر إليه الصاحبُ ، وقال : علىَّ به ، فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه ، فأمر الصاحبُ بأخذ الدرج من يده ، فقام ، وقال : أيد الله مولانا الصاحب [من الرجز] :

اسمعهُ ممنْ قاله تزددْ به ... عُجْباً فحسن الورد فى أغصانه

فقال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً ، منها [من المتقارب] :

سِوَاكَ يَعُدُّ الغنىَ ما اقتنىَ ... وَيأمرهُ الحرْصُ أنْ يخزنَا

وَأنتَ ابنَ عبَّادٍ المرْتجى ... تَعـدّ نوالكَ نيــلَ المنىَ

وَخيركَ مِنْ باسطٍ كفَّهُ ... وممنْ ثناهَا قريبُ الجنىَ

غمرْتَ الورَى بصنُوفِ الندَى ... فأصغرُ ما ملكُوهُ الغنىَ

وَغادَرْتَ أشعَرَهُمْ مُفحماً ... وَأشكرَهمْ عاجزاً ألكنا

أيا مَنْ عطاياهُ تُهدِى الغنىَ ... إلىَ راحتىْ مَنْ نأى أوْ دَنَا

كَسوْتَ المقيمينَ والزائرينَ ... كُساً لم يُخَلْ مثلها ممكناَ

وَحاشيةَ الدَّارِ يمشونَ فى ... ضُرُوبٍ مِنَ الخزِّ إلاَّ أناَ

ولستُ أذكرُ بى جارياً ... علىَ العهدِ يحسن أنْ يُحسنَا

فقال له الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له : احملنى يها الأمير ، فأمرله بناقة وفرس و بغـلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت مركوباً غيرها لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة ، ودُرّاعة ، وقميص ، سراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومُطْرَف ، ورداء ، وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز أعطيناكه .

قال : وحدثنى أبو عبـد الله محمد بن حامد الحامدى ، قال : شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده [من البسيط] :

هذا فؤادُكَ نهبى بينَ أهواءِ وذاكَ رأيكَ شُورَى بينَ آراءِ
هوَاكَ بين العيون النُّجْلِ مقتسم داء لعمرُكَ ما أبلاهُ من داءِ
لاَ تستقرُّ بِأرْضٍ أوْ تسيرَ إلى
أُخرَى بشخصٍ قريبٍ عزمهُ نائى
يوماً بحُزْوَى وَيوْماً بالعقيق وَبالعذَيب يوْماً وَيوْماً بالخليصاء
وَتارَةً ينتحى نجداً ، وآونةً شعبَ الغُوَيْرِ ، وَيوْماً قَصْرَ تيماءِ

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليهِ ، حسن الاصغاء إلى إنشاده ، حتى عجب الحاضرون ، فلما بلغ إلى قوله :

أدْعى بأسماء نبزا فى قبائلها كأنَّ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائى
ألقيتُ شعرى وألقتْ شعرَها طرَباً فألْفَا بينَ إصباحٍ وإمساءِ

مال الصاحب عن دَسْته طربا ، حتى بلغ قوله فى المدح :

لوْ أنَّ سحبَان جاراه لأسحبهُ على خطَابته أذيالَ فأفاءِ
أرى الأقاليمَ قدْ ألقتْ مقالدَهَا إليهِ مستلقيات أىَّ إلقاء
فساَس سبعتَهاَ منهُ بأرْبَعةٍ أمرٍ ونهْىٍ وتثبيت وإمضاء

كذاكَ توحيدُهُ أَلوَى بأربعة ... كفرٍ وجبْرٍ وتشبيهٍ وإرجاءِ
نعم تجنبَ لا يومَ العطاء كما ... تجنب ابنُ عطاء لَثْغَةَ الراءِ

فاستعاده وطرب للمعنى ، فلما ختمها بهذه الأبيات :

أطرِى وأطرِب للأشعار أنشدُها ... أحسنْ ببهجة إطرابى وإطرائى
ومنْ منائح مولانا مدائحه ... لأنَّ منْ زَندهِ قدْحى وإيرائى
فَخُذْ إليكَ ابنَ عبادٍ محبرَةً ... لا البحترىُّ يدانيها ولاَ الطائى

قال له : أحسنت ، أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة ، وتشاغل بإعادة النظر فيها . ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

قال : وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلىَّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر ، بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر ، يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلىَّ مقاليد ملكه ويعتمدنى لوزارته ، قال : وكان فيما اعتذرت به إليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى ، وحاجتى لنقل كتبى خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى .

وحدثنى أيضا قال : سمعتُ الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى ريعان شبابى ، فلما تقوَّضَ ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حلَّ الافطار أنكرتُ ذلك بينى وبين نفسى ، وعجبتُ من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، وعاهدتُ الله أن لا أخلَّ بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً مَنْ كان فيخرج منْ داره إلا بعد الافطار ، وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفسٍ مفطرة .

وكانتْ صِلاَته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع السنة

قال : وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديعُ الزمان ، قال : لما أدخلنى أبى إلى الصاحب و وصلت إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يابنى اقعد، كم تسجد؟ كأنك هدهد! .

وكان الصاحب فى الصغر إذا أراد المضى إلى المسْجد ليَقرأ تعطيه والدته ديناراً ودرهما فى كل يوم ، وتقول له : تصدَّقْ بهذا على أول فقير تلقاه ، فجعل هذا دأبَهُ فى شبابه إلى أن كبر وماتت والدته ، وَهو على هذا يَقول للفراش فى كل ليلة : اطرح تحتَ المطرح دينارا ودرهما ، لئلا ينساه، فبقى على هذا مدة ، ثم إن الفراش نَسى ليلة منَ الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار، فانتبه وصلى وقَلَبَ المطرح ليأخذ الدينار والدرهم ، فما رآهما ، فتطير من ذلك ، وظن أنه قرب أجله فقَال للفرّاشين : شيلوا كل ما هنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تَلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير . فلَقوا فقيراً أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى ، فقَالوا له : تقَبل هذا ، فقَال : ما هُو ؟ فقَالوا : مطرح ديباج ومخادُّ ديباج ، فأغمى عليه . فأعلموا الصاحب بأمره ، فأحضره وسقَاهُ شراباً بعد مارش علَيه الماء ، فلما أفاق سأله قال : اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقونى ، فقال له : اشرح ، فقَال : أنا رجل شريف ولى ابنة من هذه المرأة خَطبها رجلٌ فزوجناه بها ، ولى سنتان آخذ القدر الذى يفضلُ منْ قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية ، أوما أشبه ذلك ، فلما كان البارحة قالتْ أمها : اشتهيتُ لها مطرح ديباج ومخاد ديباج، فقلت لها: من أين لى ذلك ؟ وجرى بينى وَبينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى، فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى علىّ ، فقَال الصاحب : لا يكون الديبَاج إلا مع ما يَليق به، علىّ بالأنماطيين ، فجئ بهم فاشترى منهم الجهاز الذى يَليق بذلك المَطرح ، وأحضر زوجَ الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية .

قال : وحدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب بن عباد فطاولته الحديث ، فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت ، فقال : لا ، بل تَطَوَّلْتَ

يحكى أن الصاحب استدعى فى بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشربه قال له بعض خواصه : لا تشربه فإنه مسموم ، وكان الغلام الذى ناوله واقفا ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال : تجربه فى الذى ناولك إياه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله ، قال : فجربه فى دجاجة ، قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وأمر بقلبه ، وقال للغلام : انصرف عنى ولا تدخل دارى ، وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

يقال : إن ابن الخطيرى أتى يوماً إليه ، فقام له ، فمر مسرعا لأجله ، فضرط ، فقال : يامولانا هذا صرير التَّخْت ، فقال : بل صفير التَّحْت ، فذهب واستحيا وانقطع ، فكتب إليه [من البسيط] :

قل للخطيرىِّ لا تَذْهَبْ على خجل بضَرْطَةٍ أشْبَهَتْ نايا على عُودِ
فإنها الريحُ لا تستطيع تُمسِكُهَا إذ أنت لَسْتَ سليمان بن داودِ

وكان الصاحب قد وَلَّى عبد الجبار الأسترابادى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجل له ، وقال : أيها الصاحب ، أريد أن أترجل للخدمة ، ولكن العلم يأبى ذلك ، وكان يكتب فى عنوان كتابه إلى الصاحب « داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد » فقال الصاحب : نظن القاضى يؤول أمره إلى أن يكتب « الجبار »! .

وقال الصاحب يوما : ما أفظعنى إلا شاب بغدادى ورد علينا إلى أصبهان فقصدنى ، فأذنت له ، وكان عليه مرقعة ، وفى رجله نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى

فقال له وهو يصعد إلىّ : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ لعلنى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى بها .

وقال بديع الزمان الهمذانى : كنت عند الصاحب ابن عباد ، فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، وهى [من الوافر] :

غنينـا بالطُّبُولُ عن الطلول ... وعن عَنْس عُذَافرة ذَمُولِ
وأذهلنى عقَارى عن عقَارى ... ففى است أم القضاة مع العُذُولِ
فلست بتاركٍ إيوانَ كسرَى ... لتوضِحَ أو لحومَلَ فالدَّخُولِ
وضبٍّ بالفلا ساع وذئبٍ ... بها يَعْوى وليثٍ وَسْطَ غِيلِ
إذا ذبحُوا فذلك يوم عيـد ... وإن نحرُوا ففى عُرْسٍ جليلِ
يَسُلُّونَ السيوفَ برأس ضب ... هرَاشا بالغـداة وبالأصيـل
بأية رتبـة قدَّمتمُوهَا ... على ذى الأصل والشرف الجليلِ
ألا لو لم يكن للفرس إلا ... نِجَار الصاحب العَدْل النّبيل
لكان لَهُمْ بذلِكَ خَيْرُ عز ... وجيلُهمُ بذلك خـيرُ جيلِ

فلما بلغ إلى هنا قال له الصاحب : قَدْك ، ثم اشرأبَّ ينظر إلى الزوايا وأطراف القوم ، فلم يرنى ، وكنت فى زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين أبو الفضل ؟ فوثبت وبُسْت الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك ، قلت : وما هى ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت : ولا مهلة للقول إلا بما تسمع :

أرَاكَ على شفَا خطَرٍ مهُول ... بما أودَعْتَ نفسَك من فضُول
طلبت على مكارِمنا دليـلاً ... متى احتَاجَ النهـارُ إلى دَليلِ
ألَسْنَا الضاربِينَ جِزَى عليهم ... فأىّ الخِزْىِ أقعدُ بالذليـلِ
متى فرع المنابرَ فارسىٌّ ... متى عرف الأغرّ من الحجُول

متى عَلِقَتْ وأنت بهم زَعِيمٌ ... أكفُّ الفُرْس أعْرَافَ الخيول
فَخَرْتَ بملء ماضغتيك فخراً ... على قَحْطَانَ والبيت الأصيلِ
وحقك أن تُبَارينا بكسرى ... فمأثور ككسرى فى الرّعيل
فخرت بنحو مَلْبُوس وأكلٍ ... وذلك فخر رَبَّاتِ الحجُول
تفاخرهن فى خد أسيل ... وفَرْعٍ من مَفَارِقها رَسيلِ
فأمجَدُ من أبيك إذا أثرْنَا ... عراة كالليوث وكالنصُولِ

قال : فلما أجبته بهذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد إلى الرجل فقال : كيف ترى ؟ فقال : لو سمعت به ما صدقت، قال : فاذن جائزتك إن وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : لا تَرَوْنَ رجلا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها .

قال : وحدّثنى أبو منصور اللجيميّ قال : أهدى العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميريّ عَبْدُ كافِى الكُفَاة ... وإنِ اعتَدَّ من وُجُوه الْقُضَاة
خَدَمَ المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ ... مُفْعَمَاتٍ من حُسْنِها مُتْرَعَاتِ

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنـا منَ الجميـع كتاباً ... وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا الْبَاقِيَاتِ
لست أستغنم الكثيرَ فطَبْعِى ... قولُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِى قَوْلُ هَاتِ

قال : وكتب إليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولودا ، ويسأله أن يسميه ويكنيه ، فوقع فى رقعته « أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرَّة ، والنفس مسرة مستقرة ، فالاسم على ليعلى الله أمره ، والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره ، فانى لأرجو له فضل جده ، وسعادة جده وقد بعثت ديناراً من مائة مثقال ، قاصداً فيه مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة

عام ، ويخلص خلوص الذهب الابريز من نُوَبِ الأيام ، والسلام »

وكتب إليه أبو حفصٍ الوراقُ رقعة نسختها « لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين ، وهز الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكرت ذكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد ، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الخنطة مختلفة ، وجُرْذَانُ داره عنها منصرفة ، فان رأى أن يخلط عبده ، بمن أخصب رحله عنده ، فعل إن شاء الله » فوقع عليها « أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى » .

قال : وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبي يقول : كتب بعض أتباع الصاحب إليه رقعة في حاجة ، فوقع فيها ، ولما وردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها حتي عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان ختام الرقعة « فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل » وأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً ، يعنى أفعل .

قال : وبلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه [من المقتضب] .

سرقْتَ شعرى ، وغيرى يُضَام فيه ويُخْدَعْ
فسوْف أجزيك صَفْعاً يكدُّ رَأْساً وأخْدَعْ
فسارقُ المال يُقْطَعْ وسارق الشعر يُصْفَعْ

قال : فاتخذ الليل جملا وهرب من الرى .

وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس ، وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات ، فاتفق أن بعض الأجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضاً

وضرط ضرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال : يا أصحابنا ، نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات.

وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطةٌ من بعض الحاضرين ، والصاحب في الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبي بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعني أنه قيل في بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنها كانت فلتة .

ولما كان الصاحب ببغداد قصد القاضي أبا السائب عُتْبَة بن عبيد الله لقضاء حقه ، فتثاقل في القيام له ، وتحفز تحفزاً أراه بهضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضَبْعه وأقامه ، وقال : نعين القاضي على قضاء حقوق أصحابه ، فخجل القاضي واعتذر إليه

وحدثني غيره قال : كتب إنسان رقعة إلى الصاحب أغار فيها على رسائله ، وسرق فيها جملة من ألفاظه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردّت إلينا » ووقع في رقعة استحسنها « أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون » ووقع في كتاب لبعض مخالفيه « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته « ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت» ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال « التصرف لا يلتمس بالتكفف، إن احتجنا إليك صرّفناك ، و إلا صرَفناك » وعزل الصاحب عاملا بقُمٍّ فكتب إليه « أيها العامل بقُم، قد عزلناك فقم » وسأل أبا الحسين الربعي عن مسألة ، فأجاب جواباً أخطأ فيه ، فقال له: أصبت، فقبل الأرض بين يديه شكراً، فلما رفع رأسه ، قال : عين الخطأ ، ووقع إليه بعض منهى الأخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره في غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع، فوقع « دارنا هذه خان ، يدخلها مَنْ وَفى ومن خان » .

قال : و بلغني عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال:

انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها [من الكامل] :

يا أيها القاضى الذى نَفْسى له مَعَ قُرْب عهدِ لقائه مُشْتاقه
أهْدَيْتُ عِطراً مثلَ طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقَهْ

قال: وسمعته يقول : إن الصاحب يَقْسِم لى من إقباله وإكرامه بجرجان ، أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلدان ، وقد استعفيته يوما من فَرْط تَحَفِّيه بى وتواضعه لى ، فأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

أكرِمْ أخاك بأرض مَوْلِدِه وأمدّه مِنْ فعْلِكَ الحَسَنِ
فالعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَس وأعزّه ما نيلَ فى الْوَطَنِ

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى قصيدتك العينية ، فقلت : لعل مولاى يريد قولى [من الظويل] :

وشَيَّدْتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا لَيْتَ قومى يعلمون صَنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى « يا ليت قومى يعلمون ، بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين » .

قال : وأنشدنى أبو حنيفة الدهستانى للصاحب ما كتب به إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه يوم أضحى عطراً فى طبق فضة [من الكامل] :

اقبَلْ من الطيب الذى أهديتهُ ما يسرقُ العطارُ من أخْلاَقِكْ
والظرف يوجب أخذهُ مَعَ ظَرْفِهِ فَأضِفْ به طبقاً إلى أطْبَاقِكْ

قال : و بلغنى عن الصاحب أنه قال : ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة، فأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبذَّل بين يدى ومازحنى إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى شجون الحديث : بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرت الكراهة

لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى المزاح والهزل .

قال : وسمعت أبا الحسين العلوىّ الهمذانى الوصىّ قال : لما توجهت تلقاء الرىّ فى سفارتى إليها من جهة السلطان ، فكَّرْتُ فى كلام ألْقَى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر وأفضى عنانى إلى عنانه جرى على لسانى «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» فقال «إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» ثم قال : مرحبًا بالرسول ابن الرسول ، والوصى ابن الوصى» .

قال : وسمعت عونًا الهمذانىّ يقول : إن الصاحب أُتى بغلام مثاقف ، فلعب فاستحسن الصاحب صورته ، وأعجب بخفته ، فقال لأصحابه : قولوا فيه شيئًا ، فلم يرضه ما قالوا ، فقال [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحِذْقِ فَاقَ حِسَانَ الغَرْبِ والشَّرْقِ
شَبَّهْتُهُ والسيف فى كفِّه بالبَدْرِ إذْ يَلْعبُ بالبَرْقِ

قال : وسمعت سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب الماء والثلج ينشد فى أثره [من الرجز] :

قَعْقَعَةُ الثلج بماء عذبِ تستخرج الحمدَ مِنَ اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جدِّدِ اللعنة على من منع الحسين الماء .

وقال غيره : كان ابن عباد فصيحا مُفَوَّها ، لكنه يتقعَّر فى خطابه ، ويستعمل وَحْشىَّ الكلام حتى فى انبساطه ، وكان يعيب التيه ويتيه ، ولا ينصف من يناظره ، وقيل : كان مشوه الصورة ، وصنف فى اللغة كتابا سماه « المحيط » فى سبع مجلدات وله كتاب « الكافى » فى الترسل ، وكتاب الأعياد ، وكتاب « الامامة » ذكر فيه فضائل على رضى الله عنه وأثبت إمامة من تقدَّمه ، وكان شيعيا جلدًا كآل بُوَيْه

معتزلياً وكان يقول: شاركت الطبرانى فى إسناده ،ويقال : إنه نال من البخارى وقال : هو حَشْوِىّ لا يُعَوَّل عليه ، ولما عزم على الاملاء تاب إلى الله تعالى ، واتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث أسبوعا على الخير ، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضر خلق كثير ، يحكى أنه خرج متحنكا متطلِّسا بزى العلماء ، وحضر خَلْقٌ ، فكان المستملى الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف إليه ستة كلٌّ يبلغ صاحبه ، وكان ينفذ إلى بغداد فى السنة خمسة آلاف دينار تُفَرَّقُ على الفقهاء والأدباء ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ، ومرض فى الأهواز بالاسهال ، فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم ، فكانوا يودون دوام علته ، فلما عوفى تصدق بنحو خمسين ألف دينار .

وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الأمثال :

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب. من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه ألسنة المطالب . من كفر النعمه ، استوجب النقمه . من نبت لحمه من الحرام ، لم يحصده غيرُ الحسام . من يكن الْحَذَّاء أباه ، جادت نعلاه . من لم تهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة . ربَّ لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الشمس قد تغيب وتشرق ، والروض يذبل ثم يورق . والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع . العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر . الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعه . بعض الحلم مذله ، و بعض الاستقامة مزله : كتاب المرء عنوان عقله بَلْ عيار قدره ، ولسان فضله بل ميزان علمه . إنجاز الوعد ، من دلائل المجد . واعتراض المطل ، من أمارات البخل . وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف . لكل أمر أجل ، ولكل وقت رجل . شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر . كفران النعم ، عنوان النقم . للصدر نفثة إذا أُحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج . قد يصلى البرىء بالسقيم ،

و يؤخذ البر بالأثيم . ما كل طالب حق يُعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .

ملح وظرف من ألفاظه :

أخبرنى عن سَفْرَتك، وما حصل بها فى سُفْرَتك . وجدت حرًّا يشبه قلب الصَّبِّ ، و يذيب دماغ الضَّبِّ . لا اعتراض بين الشمس والقمر ، والروض والمَطر . مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير . زائر وَجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم . فِقَرٌ كما جيدت الرياض، وفصول كما تغامزت المقل المراض. ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار . نثر كَنثر الورد ، ونظم كَنظم العقد . كتابك رُقيَة السليم ، وغُرَّة العيش البهيم . عشرته ألطف من نَسيم الشمال ، علىَ أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب، من علائق الحب . شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

رقعة استزارة — هذا اليوم يا سيدى طاروني ، يعجبنى جوه الفاختى ، و إذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تَدْنو شمس الأرض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا فى السرور ، و إلا فلا إكراه ولاَ إجبار ، ولك متى شئت الخيار .

رقعة أخرى — غداً ياسيدى ينحسر الصيام ، وتَطيب المدام ، فلا بد أن تقيم أسواق الأنس نافقة ، وتنشر أعلام السرور خافقه ، فبالفتوة فانها قسم الظرافة ، تفرض حسن الاسعاف ، ولو ران المروءة حاجة مجتاح ، بادرتها ولو على جناح الرياح .

أخرى — نحن ياسيدى فى مجلس غَنِىٍّ إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مَجامِرُ الأترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وَهبت

رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام مُنادى الطرب ، وطلعت كواكبُ الندماء ، وامتدّت سماء الند ، فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعِقْدِ

أخرى — نحن وحياتك فى مجلس راحهُ ياقوت ونَوْرُه در ، ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطبُ الطراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكننا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء فى انحداره ، والقمر فى مَدَاره

تهنئة ببنت — أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ومبشرة باخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون (١)

ولو كانَ النساء كمثلِ هذى لَفُضِّلت النساء على الرجالِ
فما التأنيثُ لاسم الشمس عَيباً ولاَ التذكيرُ فخراً للهلالِ

فادّرع ياسيدى بها اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وُعِد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيتَ ، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ، وما بقى الأبد ، وما عمّر لُبَدُ .

رقعة فى مُداعبة — خبر سيدى عندى وإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ،

---

(١) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، وهما من الوافر

وقدْ عرفت خبره البارحة في شربه وأُنْسه، وغناءِ الضيف الطارق وعرسه،
*وكان ما كان مما لست أذكره * وجرَى ما جرى مما لست أنشره، وأقول: إن
مولاى امتطى الأشهب؟ فكيف وجدَ ظهره، وركب الطيار، فكيف شاهدَ
جريه؟ وهَل سلِم على حزونة الطريق؟ وكيف تصرف في سعة أم مضيق؟ وهَلْ
أفردَ الحج أم تمتع بالعمْرة؟ وقال في الحملة بالكرة، فليتفضل بتعريفي الخبر، فلا
يسعه الانكار، ولا يغنى عنه إلا الاقرار، وأرجو أن يساعدَنا الشيخ أبومرة(١)
كما ساعدَه، فنصلى للقبلة التى صلى إليها، ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها
هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدَان، الكثير الفرسان

وله ديوان شعر، ومن محاسنه قوله [من مجزوء الرجز]:

وشادنٍ جماله تقصُر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى فقلت لا بل شفتى(٢)

وقوله [من الكامل]:

رشأ غدا وَجْدِي عليه كرِدفِهِ وغدَا اصطبارى في هواه كخصْرِه
وكأنَّ يومَ وصاله من وَجهِهِ وكأن ليلةَ هَجْرِه من شعْرِهِ
إن ذقت خمراً خلتها من ريقهِ أو رُمْتُ مسكا نلته من ثغرهِ

وقوله [من السريع]:

ياخاطراً يخْطِرُ في تيهِهِ ذِكْرُكَ موْقوفٌ على خاطِرِى
إن لم تكن أشرف مِنْ ناظرى عِنْدِى فلا متِّعْتُ بالناظِرِ

وقوله [من مخلع البسيط]:

قل لأبى القاسم الحسينِ يانورَ قلبى ونُورَ عينى

---

(١) أبو مرة: كنية إبليس
(٢) في الوفيات « فقلت قبل شفتى ».

البدرُ زَيْنُ السماء حُسْنًا وأنت زين لكل زين

وقوله [من البسيط] :

دب العذارُ على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنهُ كاتبٌ عزَّ المدادُ لهُ أراد يكتُبُ لاما فابتدا ألِفا

وقوله فى مليح ألثغ [من السريع] :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمُهُ فقال لى بالغَنْجِ عبَّاثُ
فصِرْتُ من لثغتِهِ ألثغاً وقلت أين الكاثُ والطاث

وقوله فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٍ من عِنَبٍ من المُنَى مُتَّخَذَهْ
كأنها لؤلؤة فى وَسْطِهَا زُمُرُّدَهْ

وقوله [من الطويل] :

بَعَثْنَا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فظل على الأغصان منه نَوَافِجُ
كُرَات من العِقْيَانِ أحكم خَرْطَهَا وأيدى الندامى حَوْلَهُنَّ صَوَالِجُ

وقوله [من السريع] :

لوفَتَقُوا قلبى رأوْا وَسْطَهُ سَطْراً قد امتد بلا كاتبِ
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

يَصُدُّ الفَضْلُ عنا أىَ صَدٍّ وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلتُ له جَعَلْتَ الواوَ عينًا فان الضعف أجمع فى المودة

وقوله [من مخلع البسيط] :

قولوا لاخواننا جميعا مَنْ كُلُّهم سيد مُرَزَّا[1]

(١) «مرزا» أصله مرزأ – بالهمزة – فقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها ، والمرزأ – بصيغة اسم المفعول من المضعف العين – الكريم ، والرجل من قوم مات خيارهم.

مَنْ لم يَعُدْنَا إذا مَرِضْنَا إنْ مَاتَ لم نَشهدِ المعزّى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى [من مجزوء الرجز] :

إنى اعتللتُ علةً سقطتُ منها فى يدِى

وكانَ فى الاخوان مَنْ لم أرَهُمْ فى العُوّدِ

فقلتُ فيهِمْ كلهمْ قَوْلَ امْرِىءٍ مُقتصِدِ

أيرُ الذى قَدْ عَادَنَا فى استِ الذى لم يعُدِ

ومثل قول الصاحب قول الآخر [من مخلع البسيط] :

قُلْ للذى لمْ يَعُدْ سَقَامِى وَقلبهُ مُشْرَبٌ حَزَازَهْ

مَنْ لم يعدْنَا إذَا مَرِضنَا إنْ مَاتَ لمْ نَشْهدِ الجَنَازَهْ

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضاً [من البسيط] :

حقُّ العيادَةِ يَوْمٌ بعدَ يَوْمينِ وَجلسةٌ مثْلُ رَدِّ الطَّرْفِ فى العينِ

لاَ تبرمنّ مريضاً فى مُساءلة يكفيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآلٌ بحرفينِ

وقال الثعالبي : سمعت أبا الفتح البستى ، يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلوى إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حَلاَوَةُ حبكَ يا سيدِى تُسَوِّغُ بعثى إليكَ الحلاَوَهْ

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنتُ أنثر ما تستحقُّ نثرتُ عليكَ سعُودَ الفلكْ

وللصاحب فى الهجاء والمجون [من السريع] :

قالَ ابن مشوىّ لغلمانهِ وَقدْ حَشوهُ بأيور العبيدْ

لِئنْ شكرتم لأزيدَنكمْ وَإنْ كفرتمْ فعذابى شديدْ

وقال فى الغويرى [من السريع] :

إنَّ الغويرىَّ لهُ نكهةٌ بِنَتْنِهَا أَرْبَتْ على الكُنُفِ
يَا ليتَهُ كانَ بلاَ نكهةٍ أَوْ ليتنى كنتُ بلاَ أنفِ

وقال فيمن زوَّج أمه [من مجزوء الكامل] :

زَوَّجتَ أُمَّكَ يا فتى وكسوْتنى ثوْبَ القلقْ
والحرُّ لا يهدى اللحو م إلى الرجال على الطبقْ

وقال [من الوافر] :

أبُو العباس قدْ أضحى فقيهاً يتيهُ بفقهِهِ فى الناس تيهَا
وذلك أنَّ لحيته أتتنى تناظر فقحتى فخريتُ فيها

وقال [من السريع] :

حُبُّ علىّ بن أبى طالبٍ هوَ الذى يُهدى إلى الجنهْ
إن كانَ تفضيلى لهُ بدعةً فلعنـةُ اللهِ عَلىَ السنهْ

وقال فى شهر رمضان [من الخفيف] :

قَدْ تَعَدَّوْا على الصيامِ وقالُوا حُرِمَ الصبُّ فيهِ حسْنَ العوائدْ
كذبُوا ، فى الصيام للمرء مهما كان مستيقظا أَتمُّ الفـوائدِ
موْقفٌ بالنهار غيرُ مُرِيبٍ واجتماع بالليلَ عندَ المساجدِ

وقال [من الكامل] :

رَاسلتُ مَنْ أهوَاهُ أطلبُ زَوْرَةً
فأجابنى : أو لَستَ فِى رَمضانِ

فأجبتهُ والقلبُ يخفقُ صبْوَةً أتصُومُ عنْ بِرٍّ وعنْ إحسانِ
صُمْ إنْ أرَدْتَ تحرجاً وتعففاً عنْ أنْ تكدَّ الصبَّ بالهجرَانِ
أولا فزرنى وَالظلام مُجَلِّلٌ واحْسبهُ يوما مَرَّ من شعبانِ

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودَى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رُزْءٌ فى الأنام جليلُ
فقلتُ دعُونى والعلا نبكه معاً فمثْلُ كثيرٍ فى الرجال قليلُ

وقال الثعالبى : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : أنشدنى الصاحب لنفسه من تُنَفه هذا البيت [من الطويل] :

لئنْ هوَ لم يكففْ عقارب صُدْغهِ
فقولوا له يسمحْ بِدِرْياقِ ثغرهِ

فاستحسنتهُ جدا ، حتى حممتُ من حسدى له عليه ، ووددتُ لو أنه بألف بيت من شعرى . قال الثعالبى : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيدالله هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية فى المذاكرة ، فقال : أتعرف من أين سَرَقَ الصاحبُ معنى البيت ؟ فقلت : لا والله ، فقال: إنما سَرقه من قول القائل، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل]

لدَغَتْ عينك قلبى إنما عينكَ عقربْ
لـكن المصةُ من ريـــقكَ دِرْياقٌ مُجرّبْ

فقلت: لله درالأمير ، لقد أوتى حظاً كبيراً من التخصص، بمعرفة التلصص .

ومما هجى به الصاحب * وما زالت الأملاك تهجى وتمدح * قول أبى العلاء الأسدى [من البسيط]

إذا ظفرت بحى فى مُرقَعَةٍ يأوى المَساجد حراً ضره بادِى
فاعلم بِأنّ الفتى المسكينَ قدْ قذفتْ
بهِ الخطوبُ إلى لؤم ابن عبّاد

وقول السلامى [من مجزوء الرمل]

يا ابن عباد بن عبا س بن عبد الله جرها

تُنكرُ الجبر وأخرجـــت إلى العالم كرها

وقول غيره [من السريع]

صاحبنا أحوالهُ عاليه لكنما غرفته خاليه

وَإن عرفتَ السرَّ من دائهِ لم تَسأل الله سوَى العافيه

والجروح قصاص ، فانه قال يهجو قاضيا [من الهزج]

لنا قاضٍ له رأس من الخفة مملوه

وفى أسفله داء بعيدٌ منكمُ السوُّه

ذكر آخر أمره — لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وأنتابته أمراض الكبر ، وجعل ينشد قوله [من الوافر]

أنَاخَ الشيب ضيفاً لم أرِدهُ ولكن لا أُطيقُ لهُ مَردّا

رداء للرَّدَى فيهِ دليلٌ تردَّى مَنْ به يوماً تردّى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته بما يفيد ذلك قال [من الرجز]:

يا مالكَ الأرْواح والأجسامِ وَخالق النجوم والأحكامِ

مُدَبرُ الضيـــاء والظلام لا المشترى أرجُوهُ للانعام

ولا أخافُ الضرَّ منْ بَهْرامِ وَإنما النجومُ كالأعلام

والعـــلم عند الملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام

وَوقِّنى حـــوادثَ الأيامِ وَهجنةَ الأوزارِ وَالآثامِ

هبنى لحب المصطفى المغنامِ وصنـــوهِ وآلهِ الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الأبيات ، [من الطويل]

أرَى سنتى قد آذنَتْ بعَجائبِ وربىَ يكفينى جميعَ النوائبِ

وَيدفع عنى ما أخاف بمَنِّهِ ... وآمَنُ ما قَدْ خوّفوا منْ عواقب

إذَا كانَ مَنْ أجْرَى الكواكبَ أمْرُهُ ... مُعيني فما أخشَى صرُوفَ الكواكب

عليكَ أيا ربَّ الأنام توكلى ... فحطنىَ من شرِّ الخطوب الحوازب

فكم سنةٍ حذرتها فتزحزحتْ ... بخيرٍ وإقبال وجدّ مصاحب

ومنْ أضمرَ اللَّهُمَّ سوءاً لمهْجَتِى ... فرد عليه الكيدَ أخيبَ خائب

فلست أريد السوء بالناس إنما ... أريد بهم خيراً مَرِيعَ الجوانب

وأدفع عنْ أموالهمْ ونفوسهمْ ... بجدِّى وجهدى باذلاً للمواهب

ومنْ لم يسعهُ ذَاكَ منى فاننى ... سأكفاه إن الله أغلبُ غالبِ

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة، فقال [من الطويل]:

وكم شامتْ بى بعدَ موتى جاهل ... بظلم يسلُّ السيفَ بعد وفاتى

ولوْ علمَ المسكين ما ذَا ينالهُ ... من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحدٌ بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب، فانه لما توفى أغلقَت مدينة الرى، واجتمع الناس على باب قصره، وَحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الأمراء والقوّاد، وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام النعش، وقعد للعزاء أياماً.

ورثاه الناس بمراث كثيرة، منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الأصفهانى من قصيدة [من البسيط]:

هذى نوَاعى العلا مذ متّ نادبة ... من بَعْدِ مَا نَدَبتكَ الخُرَّدُ العينُ

تبكى عليكَ العطايا والصلاَتُ كما ... تبكى عليكَ الرَّعايا وَالسلاطينُ

قامَ السعاة وكانَ الخوف أقعدَهمْ واستيقظوا بعد ما مُتَّ الملاعينُ
لا يعجب الناسُ منهم إنهمُ انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطينُ

ومن قصيدة لأبي سعيد الرستمي [من الطويل]:

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخُو أملٍ أو يستماحُ جوَادُ
أبي الله إلا أنْ يموتَا بموْته فما لهما حتى المعـــادِ معادُ

ومن قصيدة لأبي الفياض الطبري [من الوافر]:

خليلي كيف يقبلك المقيلُ ودهركَ لا يقيلُ ولا يقيلُ
ينادِي كل يوم فى بنيه ألاهُبُّوا فقدْ جدَّ الرحيلُ
وهمْ رَجلان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عَجولُ
كأن مثـال من يفنى ويبـقى رعيـل سوف يتلوه رعيـل
فهم سـفر وليس لهم ركاب وهم ركب وليس لهم قُفُولُ
تدور عليهمُ كأسُ المنـايا كما دارت على الشَّرب الشَّمول
ويحـدوهم إلى الميعـاد حادٍ ولـكن ليس يَقْدَمهم دليـل
ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غُولُ
قد احتالوا فما نفع الحويل وأعوَلْنَا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوالٌ تزولُ وأعمال تحول ولا تؤول
لنا منهْ وإن عفنا وخفنـا رسولٌ لا يُصابُ لديه سُولُ
وقد وَضَحَ السبيلُ فما لخلق إلى تبْديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمد قَصيرٌ ولـكن دونه أمل طويل
أرَى الاسلام أسلمه بنَوه وأسلمهم إلى وَلَهٍ يَهُول
أرى شمس النهار تـكاد تخبو كأن شعاعها طَرْفٌ كليل

أرى القمر المنير بدا ضئيلا ... بلا نور فأضناه النحول
أرى زُهْرَ النجوم مُحَدِّقات ... كأن سراتها عور وحُول
أرى وجه الزمان وكل وجه ... به مما تكاءده فلول
أرى شم الجبال لها وَجيبٌ ... تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجوّ أكلَفُ مقشعرٌّ ... كأنّ الجوّ من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم ... إذا هبت وأعذبها بَليل
وللسحب الغِزَار بكل فج ... دموع لا يذاد بها المحول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها ... أمين الله فالدنيا ثَكول
نعى كافى الكفاة فكل عين ... بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها :

أأحيا بعده وأقرّ عيناً ... حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وَحِيٌّ ... وعيشى بعده سم قَتُول

ومن قصيدة الشريف الرضىّ الموسوىّ [من الكامل] :

أكذا المَنُونُ تقطِّرُ الأبطالا ... أكذا الزمانُ يُضَعْضِعُ الأجبالا[1]
أكذا تُصَاب الأسْدُ وهى مدلة ... تحمى الشُّبُولَ وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طَغَتْ ... لُجَجاً وأوردت الظماء زُلالاً
يا طالب المعروف حلّق نجمه ... حُطَّ الحمول وعطّل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى ... كان الأنامُ على نَدَاهُ عِيَالا

ولأبى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل [من البسيط] :

والله والله لا أفلحتم أبداً ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس

---

(١) فى الديوان « تقنطر الأبطالا »

إن جاء منكم جليلٌ فاجلبوا جَلَبى   أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها

وقال ابن أبى العلاء الأصفهانىّ : رأيت فى المنام قائلا يقول لى : لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت: ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ، وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها ، فقال: أجز ما أقول [من الطويل] :

ثوَى الجودُ والكافى معاً فى حُفَيرَةٍ

فقلت :

ليأنَسَ كلٌّ منهما بأخِيهِ

فقال :

هما اصْطَحَبَا حيَّيْنِ ثم تعَانقَا

فقلت :

ضجيعينِ فى لحدٍ بباب دريه

فقال :

إذا ارْتَحَلَ الثاوُون عن مُسْتَقَرِّهِمْ

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيهِ

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ، ثم نقل إلى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه ، قال ابن خلكان : وهى عامرة الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض ، رحمه الله وعفى عنه !

***

لئن أخطأتُ فى مدحيـــك ما أخطأتَ فى منعى (١)

٢٠٩ــ لقدْ أنزلتُ حاجاتى بوادٍ غيرِ ذى زرع

من شواهد الاقتباس

البيتان من الهزج ، وينسبان لابن الرومى، لكن رأيت فى الأغانى نسبتهما إلى إسماعيل القراطيسىّ ، ولفظه : حدّث أحمد بن بشر المرثدىّ قال : مدح إسماعيل القراطيسىّ الفضل بن الربيع ، فحرمه ، فقال فيه ، وذكر البيتين ، وذكر قبلهما بيتاً آخر ، وهو :

ألاَ قُل للّذى لم يَهْـــدِهِ الله إلى نَفْعِى

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الأوّل بيتين ، وهما :

لِسَانِى فيك مُحْتَاجٌ إلى التَّخْليعِ والْقَطْعِ

وأَنْيَـابى وأضْرَاسِى إلى التكسير والْقَلْعِ

والشاهد فيهما : الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلى ، فان معناه فى القرآن وادٍ لا ماء فيه ، وهنا نقله إلى جنَاب لا خَيْرَ فيه ولا نفع

ومثله قول الخباز البلدى [من الطويل] :

ألا إن إخوانى الذين عَهِدْتهم أفاعى رمالٍ لا تُقَصِّرُ عن لَسْعى

ظَنَنْتُ بهم خيراً فلما رأيتهُمْ نَزَلْتُ بوادٍ منهُمُ غير ذى زرع

وقول الآخر [من السريع] :

جميعُ ما يفعلهُ كلفَةٌ إلا أذاهُ فَهْوَ بالطبعِ

من حل منا بِفِناء له حل بوادٍ غيرِ ذى زرعِ

ولمؤلفه وقد نقله إلى المدح [من مجزوء الوافر] :

عجبت لمطلبى أنّى يُقَابَلُ منك بالمنْعِ

(١) فى الأصول « فى مدحك فما » وأثبتنا ما فى نسخ التلخيص

وما أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرْعِ

ترجمة إسماعيل القراطيسى

والقراطيسى هو إسماعيل بن معمر، الكوفى، مولى الأشاعثة، وكان مألفا للشعراء، وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده و يقصفون و يدعوا لهم القيان وغيرهن من الغلمان، و يساعدهم، و إياهم يعنى أبو العتاهية بقوله [من مجزوء الوافر] :

لقد أمسى القراطيسىُّ رأساً فى الكساجبة

يعنى الكشاخنة.

ومن شعره [من السريع] :

ويلى على ساكن شَطّ الصَّرَاهْ مرر حُبِّه علىَّ الحياهْ

ما تنقضى من عجب فكرتى من خصلة فَرَّطَ فيها الولاه

تَرْكُ المحبينَ بلا حاكمٍ لم يقعدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها :

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مَقَالُهَا فى السرِّ واسَوْأتاهْ

أمثل هذا يبتغى وَصْلَنَا أما يرى ذا وجْهَهُ فى المراه

قال القراطيسى : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا ؟ فقال : نعم ، ثم أنشدنى [من السريع] :

جاريةٌ أعجبَهَا حُسْنُهَا ومثلها فى الناس لم يُخْلَقِ

خبرْتُهَا أنى محبٌّ لها فأقبلَتْ تضحكُ من منطقى

والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قَرْطَقِ

قالَتْ لها قولى لهذا الفتى انْظُرْ إلى وجهك ثم اعْشَقِ

وحدّث أبو هفان عن الجماز قال : اجتمع يوما أبو نُوَاس وحُسَين الخليع

وأبو العتاهية فى الحمام ، وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع اليوم ؟ فقال القراطيسى [من مجزوء الوافر] :

ألاَ قُومُوا بأجْمَعِكُمْ إلى بَيْتِ القَرَاطِيسِى

فَقَدْ هَيَّا لنَا نُزُلاً غلامٌ فارهٌ طُوسِى

وقد هَيَّا زُجَاجَاتٍ لَنَا من أرْضِ بَلْقِيس

وأَلْوَاناً من الطَّيْرِ وأَلْوَاناً من العِيس

وقينَاتٍ من الحُورِ كأمْثَالِ الطَّوَاوِيس

فنيكوهُنَّ فى ذاكم نَقُمْ فى طاعةِ آبليس

* * *

٢١٠ — قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أن يَكُونَا إنَّا إلى اللهِ رَاجِعُونَا

من شواهد الاقتباس

البيت من مخلع البسيط ، وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ، وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل فى الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقال : شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة ، وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكى ملء عينيه ، ويقلب على ما فاته كَفَّيْه ، وينادى بأعلى صوته ، أسفاً على فوته :

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

والشاهد فيه : الاقتباس مع تغيير يسير فى التقفية

ومن الأمثلة الشعرية فى الاقتباس قول الأحوص [من الطويل] :

إذا رُمْتُ عنها سلْوَةً قال شافعٌ من الحبِّ : ميعادُ السلوِّ المقَابِرُ

ستَبْقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا سَرَائرُ ودٍ يومَ تُبْلَى السرائرُ

وقول البديع الهمذانى [من المتقارب] :

لآلِ فريغون فى المكرمات يَدٌ أولا واعتذار أخيرًا
إذا ما حَلَلْتَ بمغناهمُ رأيتَ نَعيماً وملكا كبيرًا

وقول الأبيوردى [من الكامل] :

وقصائد مثل الرياض أضعْتها فى باخلٍ ضاعَتْ به الأحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـممدوح قالوا ساحرٌ كذَّابُ

وقول محمد الشجاعى [من الرمل] :

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فَسَواءٌ أقبلُوا أم أدْبَرُوا
بدت البغضاء من أفواههمُ والذى يخْفُونَ منها أكثرُ

وقول القاضى منصور الهروى [من الطويل] :

ومنتَقَبٍ بالورد قَبَّلْتُ خدَّهُ وما لفؤادى من هَوَاهُ خَلاصُ
فأعرَضَ عنى مُغْضَباً قلت لا تَجُرْ وقَبِّلْ فمى إن الجروح قصاصُ

وقول أبى الفضل عبد الله بن محمد الحبرى [من الكامل] :

أشكو الأقارب لا يغبُّ جفاهم يبغى أذاى صغيرُهم وكبيرُهُمْ
هُمْ يُعْلنون لَدَى اللقاء موَدَّتى والله يَعْلَمَ ما تُكِنّ صُدُورُهُمْ

وقول أبى منصور عبد الرحمن بن سعيد [من الخفيف] :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقُوا الله يا أولى الألباب
و إذا ماسألتموهنّ شيئًا فاسألوهنّ مِنْ وَرَاء حِجَاب

وقول الحكيم [من الوافر] :

سَبَقْتَ العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلوِّ همه
ولاحَ بحكمتى نورُ الهدىَ فى ليالٍ للضلالةِ مُدْلَهِمّه

يريد الجاهلون ليُطفئوهُ ويأبى اللهُ إلا أن يتمه

وقول أبى عبد الله الأبيوردي [من الوافر] :

أردتُ زيارة الملكِ المُفدَّى لأمدَحهُ وآخذ منه رفدَا
فعبَّسَ حاجباً فقرأتُ : أما مَنِ استغنى فأنت له تَصدَّى

وقول الخباز البلدى [من الطويل] :

كأن يمينى حين حاولتُ بَسطَهَا لتوديعِ إلفى والهوَى يَذرِفُ الدَّمعَا
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصَى وقد جُعلت تلك العصى حيَّةً تَسعَى
وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدهم فقلت لها لا والذى أخرج المرعى

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيبُ وخلَّف القلْبَا يُبْدِى الغرام ويظهر الكربا
قد قلت إذ سار السَّفينُ به والشوقُ ينْهَبُ مُهجتى نَهْبَا
لو أن لى عزًّا أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الأستاذ أبى محمد العبد لكانى [من المتقارب] :

إذا كنت متخذاً ضَيْعَةً فإياك والشركاء الوُجُوهَا
ودار الملوكَ فإن الملوكَ إذا دخلوا قَرْيةً أفسدوها

وقول الأمير نصر الدين أحمد الميكالى [من المقتضب] :

ياقوْمَنا لا تُضيعُوا ذمامَ كلِّ حميم
ولا تخلُّوا جُحُوداً بحق خلٍّ قديم
وذكروا النفس حقاً بقول رب رَحيم
إنى أخافُ عليكم عذاب يوم عظيم

وقول بعضهم يهجو بخيلا [من الهزج] :

رأى ضَيفُكَ فى الدار وكَرْبُ الجوعِ يَغشاهُ
على خبزك مكتوباً سَيَكفيكهمُ الله

وقول محمد بن نصر الباخرزى [من الخفيف] :

وفتاة ألبستُهَا من ثيابى مَلْبَساً فيه نزْهَةٌ ونَعيمُ
غَدَرَتْ بى وغادرتنى وحيداً إنَّ رَبِّى بكيدهن عليمُ

وقول المطوعى [من السريع]:

انظر إلى وجه صديق لَنَا كَيْفَ محا الشَّوْكُ به النقْشا
قد كتب الدهر على خده بالشَّعْرِ (والليل إذا يغشى)

وقول الأديب شهاب الدين أحمد الأمشاطى [من الوافر] :

وفَتَّاكِ اللواحظِ بَعْدَ هَجْرٍ حَبَا كَرَماً وأنْعَمَ بالمَزارِ
وظلَّ نَهارَهُ يرمى بقلبي سِهَاماً من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقْلَتَيْهِ وحكم النوم فى الأجفان سارى
تبَارَكَ من تَوَفَّاكم بليلٍ ويعلم ما جرحتم بالنهارِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من البسيط] :

يا نَظْرَةً ما َجلت لى حُسْنَ طلعته حتى انْقَضَتْ وأدامتنى على وَجَلِ
عاتَبْتُ إنسان عينى فى تَسَرُّعِهِ فقال لى (خلق الانسان من عَجَلِ)

وقوله أيضاً [من السريع] :

أدْمَعَتَ عينى فمن أجْلِ ذا بكى على حالىَ مَنْ لا بَكَى
أوْقَعنى إنسانها فى الهَوَى (يا أيها الانسان ما غرَّكا)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

وأغيَدَ حارت فى القلوب لحاظه وأسهرتِ الأجفانَ أجفانه الوَسنى

أجِلْ نظراً فِى حاجبيهِ وَطرْفهِ
تَرَى السحرَ منهُ قابَ قَوسين أوْ أدْنَى

وقول ابن قرناص [من مجزوء الكامل]:

إنَّ الذينَ ترَحلوا نزلوا بعينٍ ساهرَهْ
أسكَنتهُم فى مقلتى فاذَا همُ بالساهرَهْ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرمل] :

رب فَلاَّح مليح قال يا أهل الفتوَّه
كفلى أضعفَ خَصرى فأعينُونى بِقوَّه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى [من الكامل] :

خاضَ العوَاذِلُ فِى حَديثِ مَدَامعى
لما جرَى كالبَحرِ سرعةَ سَيرهِ
فَحَبستهُ لأصُونَ سِرَّ هوَاكُمُ
حَتَّى يخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غيرهِ

وقد سبق إلى هذا الاقتباس ، الفقيه الواعظ إبراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله [من الكامل] :

خالِلْ إذَا خاللتَ خلا خَيِّراً وَبهِ تمسك تقتبس من خيرهِ
واهجرأ ناساًمهجِرين أُولى جفاً فالهجرُ سَامعه دريئة ضيره
وَإذَا رَأيتهم فأعرضْ عنهُمُ حتى يخوضوا فى حديث غيرهِ

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه [من الكامل] :

أما السماحُ فقد مضى وقد انقضى فتَسَلَّ عنهُ ولاَ تَسَلْ عَنْ خيرهِ
واسكتْ إذا خاض الوَرَى فى ذكره حتى يخوضوا فى حَدِيث غيرهِ

وقول الآخر [من المتقارب] :

دخلتُ على كافرٍ دارَهُ وأشجارُ بُستانِهِ زاهرَهْ
وقد وافقَ الزهرُ نقشَ البساط فعيني لما أبصرَتْ حائرهْ
جنانٌ تُزَخْرَفُ للكافرينَ ونحن نُحالُ على الآخرهْ
فان يَكُ في الحشْرِ حالي كذا فتلك إذاً كَرَّةٌ خاسِرَهْ

وأحسن ابن سناء الملك في بعض مطالعه بقوله [من الكامل] :

رَحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخعٌ نفسى على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر في معشوقه نسيم [من الكامل] :

إن كانَت العشاقُ فِي أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاَ
فأنا الذى أتلو عليهم ليتنى كنتُ اتخذتُ معَ الرسول سبيلاَ

وقول المعمار [من مخلع البسيط] :

ابنُ الجمالىِّ مَات حقّا برّح بى موته وآذَى
وَرحتُ أقرَاعليهِ جهراً ياليتنى مِتُّ قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه إدراج المفحشين من الشعراء الآيات الشريفة فى أشعارهم على طريق المجون والسخف ، كقول القائل [من السريع] :

أوحى إلى عشاقه طَرْفُهُ هيهاتَ هيهاتَ لماتُوعدونْ
وردفُهُ ينطق من خَلْفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبى نواس [من مجزوء الرمل] :

خط فى الأرداف سَطْرٌ فى عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمسانى [من مجزوء الرجز] :

يا عاشقين حاذروا مبتسماً عن ثغره
فطرفه الساحر مذ شككتم في أمره
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره

والتهاون فى مثل ذلك يجر إلى الانسلال من الدين ، والعياذ بالله تعالى .

10 ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح القاضى الفاضل [من الخفيف] :

قمت ليل الصدود إلا قليلاً ثم رتلت ذكركم ترتيلاً
ووصلت السهاد أقبح وصل وهجرت الرقاد هجراً جميلاً
مسمع مل من سماع عذول حين ألقى عليه قولاً ثقيلاً
وفؤاد قد كان بين ضلوع أخذته الأحباب أخذاً وبيلاً
قل لراقى الجفون إن لعينى فى بحار الدموع سبحاً طويلاً
ماس عجباً كأنه ما رأى غصناً طليحاً ولا كثيباً مهيلاً
وحمى عن محبه كأس ريق حين أمسى مزاجها زنجبيلاً
بان عنى فصحت فى أثر العيس ارحمونى وأمهلونى قليلاً
أنا عبد للفاضل بن علىّ قد تبتلت بالثنا تبتيلاً
لا تسمه وعداً بغير نوال إنه كان وعده مفعولاً
جل عن سائر الخلائق قدراً فاخترعنا فى مدحه التنزيلاً

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فان مذهبه فى ذلك مشهور .

ومنه قول البهاء زهير [من الخفيف] :

وسقانى من ريقه البارد العذب كؤوساً حوت شراباً طهورا

بِقوَارير فضةٍ مِنْ ثنَايَا قَدَّرُوها بِلؤلؤ تقـدِيرَا
وغُيُوم ٍ مثل الجمان فما تنـــظرُ فيها شمساً ولا زمهريرَا
نصب روض وشى النسيم عليه فانبرى سعيهُ بهِ مشكورَا
أيها الحاسـدُ المفنّدُ إمّا إن تكن شاكراً وإمّا كفورَا
كيْفَ تجفو التى يطيرُ بها الهَمُّ وإنْ كانَ شرُّهُ مُستطيرَا

وهذا النوع محظور ، وقد تجاوز فيه بعض العلماء ، وتجنُّبه أولى بالأدب .

ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب بن عباد [من الوافر] :

أقولُ وقدْ رَأيتُ لهُ سجايَا منَ الهجرانِ مُقبلةً إلينَا
وقدْ سحَّتْ عزَاليها بِهَطْلٍ حَوَالينَا الصدُودُ ولاَ علينَا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى [من السريع] :

ومُنكرٍ قتلَ شهيدِ الهوَى ووجههُ ينبىء عنْ حالهِ
اللونُ لونُ الدّمِ منْ خدّهِ والريحُ ريحُ المسكِ من خالهِ

وقول أبى جعفر الأندلسى الغرناطى [من الرمل] :

لاَ تُعَادِ الناسَ فى أوْطَانِهمُ قلّمَا يُرْعى غريبُ الوَطنِ
وَإذا ما شئتَ عيشاً بينهُمْ خالِقِ الناسَ بخُلْقٍ حسَنِ

وقول أبى الحسن الباخرزى صاحب دمية القصر [من البسيط] :

ياحادِيَ العيس رفقاً بالقوَاريرِ وَقِفْ فليسَ بعارٍ وقفةُ العيرِ
وَاحلبْ مآقِىَ عينٍ طالما قطرَتْ حمرَ الدمُوع على البيضِ المقاصيرِ

اقتبسه من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأنجشة ، وكان يحدو بالإبل التى عليها نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « يا أنجشةُ رُوَيدكَ

بسوقك بالقوارير » شبَّه النساء بها لضعف عزائمهن ، وقلة دوامهن على العهد ، لأن القوارير يسرع إليها الانكسار ولا تقبل الجبر .

ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر [من الطويل] :

أَرَادَتْ على دَعوَى المحبَةِ شاهداً فقلتُ لَها هذِى دُمُوعىَ فاسألى

فقَالَتْ لهـا جُرْحٌ بِخدكَ بَيِّنٌ فتلكَ شهودٌ عنـدنا لم تعـدَّلِ

وَإنَّ حديثَ الدَّمع عندِى مُرْسَلٌ وليسَ علىَ ما أرْسلوا منْ مُعوَّلِ

فياَ عَجباً منْ حسنها وَهوَ مالكٌ ومُرْسَلُ دَمعى عندَهُ غير مُهملِ

ومن الاقتباس فى علم الخلاف ، قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

عَرَضُ الحبِّ دُونَ جوهرِ ذَاكَ الثغر منْ أعظمِ المحالِ لجُودِى

أجمعَ الناظرُونَ فِى ذَاكَ أنْ لا عَرَضٌ دُونَ جوْهرٍ فِى الوُجُودِ

وقوله أيضاً فى الاقتباس من الأصول [من الخفيف] :

جئتها طالبــاً لسالفِ وَعدِ فأجابَتْ لَقَدْ جهلتَ الطريقهْ

إنما موْعدِى مجَاز ! فقلت : الأصل فى سائر الكلام الحقيقهْ

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى [من الطويل] :

بَليتُ بِلى الأطلال إنْ لمْ أقفْ بِهاَ

وُقوفَ شَحيح ضَاعَ فى التربِ خاتمُهْ

ففى تَغرَمِ الأولى مِنَ اللحظِ مُهْجتى

بِثانيــــةٍ وَالمتلفُ الشىء غَارِمُهْ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

أقولُ لِشاَدِنٍ فى الحسنِ أضحَى يصيدُ بِلحظه قلبَ الـكمىِّ

مَلكتَ الحسْنَ أجْمعَ فى نِصابٍ فأدّ زكاةَ منْظرِكَ البَهىّ (١)

فقالَ أبو حنيفةَ لِى إمامٌ يرَى أن لا زكاةَ على الصبىّ

فإنْ تكُ مالكىّ الرأى أوْ مَنْ يرَى رأىَ الإمام الشافعىّ

فلاَ تكُ طالباً مِنى زكاةً فإخْراجُ الزكاة علىَ الوَصىّ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

طلبْتُ زكاةَ الحسْنِ منها فجاوَبتْ إليكَ فهذَا ليْسَ تُدْركُه مِنّى

علىَّ دُيُونٌ للعيون فلاَ ترُمْ زكاةً فانَّ الدَّينَ يُسقطهَا عنىّ

وقول القاضى عبد الوهاب المالكى [من السريع] :

يَزْرعُ وَرْداً ناضراً ناظرى فى وَجنةٍ كالقَمرِ الطالعِ

فلِمْ حرَمتمْ شفتى قطفَهُ والحكمُ أنَّ الزرع للزارعِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وَنائمةٍ قبلْتها فتنبهتْ وقالتْ تعالوْا فاطلُبُوا اللصَّ بالحدّ

فقلتُ لها إنى فدَيتكِ غاصبٌ وما حكمُوا فى غاصب بسوَى الرَّدّ

خُذيها وكُفِّى عنْ أثيم ظُلاَمة وَإنْ أنتِ لم ترضَىْ فألف على عدّ

فقالتْ قصاصٌ يشهدُ العقلُ أنه على كبدِ الجانى ألذُّ من الشهدِ

فباتتْ يمينى وهى هميانُ خصرها وَباتتْ يسارى وهى واسطةُ العقدِ

فقالتْ ألم أُخبَرْ بأنكَ زاهدٌ فقلْتُ بلى مازلتُ أزهد فى الزهدِ

وقول صدر الدين ابن الوكيل [من البسيط] :

---

(١) حفظى أن بين هذا البيت والذى بعده بيتا آخر ، وهو قوله :

وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي

يا سيدي إنْ جرى مِنْ مَدْمعي وَدَمي
للعينِ والقلبِ مسفوحٌ ومَسفوكُ
لا تخشَ مِنْ قَوَدٍ يُقتَصُّ منكَ بهِ
فالعينُ جاريةٌ والقلبُ مملوكُ

وقول الصاحب بن عباد [من الكامل]:

ومُهَفهفٍ يُغني عَنِ القمرِ قَمَرَ الفؤاد بفاترِ النظرِ
خالستهُ تفاحَ وَجنَتهِ من غيرِ إبقاءٍ ولاحذَرِ
فأخافني قومٌ فقلتُ لهمْ لاقطعَ فى ثمرٍ ولاَ كثرِ

وقول أبى الفتح البكتمرى [من الكامل]:

ردوا الهدوءَ كما عهدتُ إلى الحشاَ والمقلتين إلى الكرى ثم اهجرُوا
من بعدِ ملكى رُمتُمُ أنْ تغدرُوا ماَ بعدَ فرقة بيّعينَ تخيُّرُ

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف [من المنسرح]:

للمنطقيّين أشتكى أبداً عينَ رقيبي فليتهُ هجماَ
حاذَرَهاَ مَنْ أحبهُ فأبىَ أن نختلى ساعةً ونجتمعاَ
كيف غدَتْ دائماً وما اتصلَتْ مانعةَ الجمعِ والخلوِ معاَ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المنسرح]:

مُقدماتُ الرَّقيبِ كيفَ غَدَتْ عندَ لقاء الحبيبِ مُتصلهْ
تمنعنا الجمعَ والخلوَّ معاً وَإنما ذَاكَ حكمُ منفصلهْ

وقوله أيضا [من الطويل]:

قياسُ غرامى صادقٌ معَ أنهُ تركَّبَ من تلكَ العيون السوالبِ
وقدْ حكموا أنَّ السوالبَ كلما تركبَ منها لا يُرَى غيرُ كاذبِ

وقول نجم الدين الدارمينى [من الكامل] :

لاَ تخطبَنَّ سِوى كريمةِ مَعشرٍ فالعرْقُ دسَّاسٌ منَ الطرفينِ

أولستَ تنظرُ فى النتيجةِ أنها تبعُ الأخسِّ منَ المقدمتينِ

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى [من الطويل] :

إذا كانَ ما تنويه فعلاً مُضَارعاً مضىَ قبلَ أنْ تلقى عليهِ الجوازمُ

وقول نجم الدين القحفارى الحنفى [من السريع] :

أضمرْتُ فى القلبِ هوًى شادنٍ مشتغلٍ فى النحوِ لاَ يُنْصِفُ

وصفتُ ما أضمَرْتُ يوماً لهُ فقَالَ لى المضمرُ لاَ يُوصَفُ

وقول أبى إسحاق الأندلسى الاشبيلى [من الخفيف] :

ليتنى نلتُ منهُ وصلا وأجلتْ ليلةُ الوصلِ عنْ صباحِ المَنُونِ

وقرَأنا بابَ العناق مُضافاً وحذفنا الرَّقيبَ كالتنوينِ

وقول ابن مَمَّاتى [من السريع] :

وَأهيفٍ أحدَثَ لى نحوُهُ تعجباً يُعربُ عنْ ظرْفهِ

علامةُ التأنيثِ فى لحظهِ وأحرُفُ العلةِ فى طَرْفهِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالَتْ وقد حاولتُ نيلَ وصالها منْ غيرِ شىء لاَ تجوزُ المسألهْ

باللهِ قُلْ لى أينَ نحوكَ يافتىَ أرَأيتَ موصولاً يجىء بلا صِلهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ بغير ضرُورةٍ وَلقبْل مَعرفتى بها مقصورَهْ

إنَّ الخليل و إنْ دَعته ضرُورة لم يرْضَ ذَاكَ فكيف دُونَ ضرُورَهْ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من الكامل] :

قد كان لى أُنسٌ بطيبِ حديثكم والآنَ صارَ حديثكم برسُولِ

ولقدْ مَدَدتَ منَ النوَى مقصورَهُ ... إنَّ الخليلِى يراهُ غيرَ جميل

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدّتْ وأنتَ خليلنا ... ولقبل قدقصُرتْ برغم الكاشح
أتبعتَ فِى ذَا مذهباً لا يُرْتضَى ... نقداً وليسَ الرَّأيُ فيه بصالح

وقال محاسن الشواء [من المتقارب] :

أرَى الصفعَ ورّدَ منهُ القذالاَ ... وأوسعَ فِى أخدَعيه المجَالاَ
وأسلاه عَنْ حب ذات اللمَى ... وإنْ هِىَ راقتْ وَفاقتْ جمالاَ
فإنْ كانَ قدْ حالَ ما بينهُ ... وبينَ الحبيبة صفعٌ توالَى
فقد يحدثُ الظرْفُ بينَ المضاف ... وَبينَ المضاف إليه انفصالاَ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرجز] :

وأغيدٍ يسألنى ... ما المبتدَا والخبرُ
مثِّلْهما لى مُسْرعاً ... فقلتُ: أنتَ القمرُ

وقول ابن أبى الأصبع [من الطويل] :

أيا قمراً من حُسْنِ وجنته لنا ... وظل عِذَارَيْهِ الضُّحَى والأصائلُ
جعَلْتُكَ بالتمييز نَصْباً لناظرى ... فهلَّا رفعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعلُ

ومن الاقتباس فى علم العروض قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إن صدَّ عنى فانى لا أعاتبهُ ... فما التنافرُ فى الغزْلان تنقيصُ
شوقى مَدِيدٌ وحبى كاملٌ أبداً ... لأجل ذلك قلبى فيه مَوْقُوصُ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

سَبَبٌ خَفيفٌ خَصْرُها ووراءها ... مِنْ رِدْفهَا سببٌ ثقيلٌ ظاهرُ
لم يجمعِ النوْعانِ فى ترْكيبها ... إلا لأن الحسنَ فيها وافرُ

ومن الاقتباس فى علم الحساب قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

قُسِمَ القلب فى الغرام بلحظ يَضْرِبُ القلبَ حين يُرْسِلُ سَهْمَهْ
هـنه فى هَوَاه يا قومِ حالى ضاعَ قلبى ما بين ضَرْبٍ وقِسْمَهْ

ومن الاقتباس فى علم الخط قول بعضهم [من الوافر] :

بِوَجه معذِّبى آياتُ حُسْنٍ فقلْ ما شئتَ فيه ولا تُحَاشى
فنسْخَةُ وَجهِهِ قُرِئت فصَحَّتْ وها خط الكمال على الحواشى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ، إن شاء الله تعالى .

* * *

٢١١ — على أنّى سأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعى أَضَاعُونى وَأَىَّ فَتًى أضَاعُوا

شاهد التضمين

البيت للحريرىّ ، من قصيدة من الوافر ، أوّلها :

لَحَاكَ الله هل مِثْلِى يُبَاعُ لِكَيْما تَشْبَعَ الكرشُ الجِيَاعُ
وهَلْ فى شِرْعة الانصاف أنّى أُكَلَّفُ خُطَّةً لا تُسْتَطاعُ
وأن أُبْلَى بِرَوْعٍ بعد رَوْعٍ ومثلى حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أمَا جرَّبْتَنى فخَبَرْتَ منى نَصَائح لم يُمَازِجْهَا خِدَاعُ
وكم أرْصدْتَنى شَرَكاً لصَيْدٍ فعُدْتَ وفى حَبَائِلِكَ السِّبَاعُ
ونُطْتَ بِىَ المصاعِبَ فاستقادت مُطَاوعةً وكان بها امتناعُ
وأى كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكُنْ لى فيه باعُ
وما أبْدَت لىَ الأيامُ جُرْما فيكشف عن مُصَارَمتى القناعُ
ولم تَعْثُر بحمد الله منى على عيبٍ يكتَّمُ أو يُذَاعُ
فأنّى ساغ عندَكَ نَبْذُ عهدى كما نُبِذَت برايتها الصُّنَّاعُ
ولِمْ سَمَحَتْ قرونُكَ بامتهانى وأن أُشْرَى كما يشرَى المتاعُ

وهلا صُنْتَ عِرْضى عنه صَوْنى ... حديثك حين جَدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ فىَّ : هذا ... سكاب فلا يُعَارُ ولا يُبَاعُ[(١)]
فَمَا أنا دونَ ذَاكَ الطِّرْفِ لكن ... طِباعُكَ فوقها تلكَ الطِّبَاعُ

و بعده البيت

والشاهد فيه : التضمين ، وهو أن يُضَمِّن الشاعر شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، و إن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه ، فالمصراع الثانى من البيت للعَرْجىِّ من أبيات قالها فى حَبْسِه ، وهى [من الوافر] :

أضَاعونِى وأىَّ فتىً أضاعوا ... ليوم كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايا ... وقد شَرَعَتْ أَسِنَّتُها بنَحْرِى
أُجَرَّرُ فى المجامع كل يومٍ ... فيا للهِ مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والكريهة : من أسماء الحرب ، وسداد الثغر هو بكسر السين فقط .

وقد ضمنه النميرى الغرناطى فقال [من الوافر] :

له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها ... بلثم حين سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرِى
فما أشهىَ لقلبى ما أضاعوا ... ليوْم كريهة وسدادِ ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه إلى القاضى ليحجر عليه ،

---

(١) يشير بهذا إلى قول شاعر أرادأحد الأمراء أن يأخذ فرسا له اسمها سكاب :

أبيت اللعن إن سكاب علق ... نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا ... يجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها ... ومنعكها بشىء يستطاع

وابن أبي الأصبع سمى هذا النوع إيداعاً، وفرق بينه و بين التضمين

فقال الابن : كيف تحجر علي وأنا أحفظ القرآن ؟ فقال الأب : أصلحك الله ! إن كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه، فقال له القاضي : اقرأ ، فقال [من الوافر] :

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الأب: أصلحك الله ! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه ، فحجر عليهما معاً .

وقد تقدمت ترجمة كل من الحريرى والعرجى فى هذا الفن الثالث ولله الحمد.

***

من شواهد التضمين

٢١٢- إذا الوَهْمُ أبْدَى لِي لَمَاهاوثَغْرَها تَذَكَّرْتُ مابينَ العُذَيْبِ وبَارِقِ
وَيُذْكِرُنِي مِنْ قَدِّهاوَمَدَامِعِي مَجَرَّ عَوالِينَا وَمَجْرَى السَّوابِقِ

البيتان لابن أبي الأصبع ، من الطويل

والعذيب : ماء من مياه العرب ، وبارق : من دياراتها

والشاهد فيهما : التضمين ، فان المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة ، لأبى الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر وقعته ببنى عقيل ، فنقلهما ابن أبي الأصبع من الحماسة إلى الغَزَل ،

والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

أعِزْ مقلتي إن كنت خير مُوافِقِ دُموعاً لتبكي فَقْدَ حِبٍّ مُفَارِقِ
فقد نَضَبَتْ يومَ الوداع مَدَامعى وشابت لتشتيت الفراق مَفَارِقى

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله [من الطويل] :

إذا ما سقانى ريقَهُ وَهْوَ باسمٌ تذكرت ما بين العذيب وبارق

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع فى النظم والنـثر ، ولا يكون إلا بالنثر ، ويكون من المحاسن والعيوب ، لـكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم ، وأما الايداع والاستعانة — وإن وقعا معا فى النـظم والنـثر — فلا يكونان إلا بالنظم ، دون النثر ، وأما العنوان فانه يقع فى النظم والنثر ، ولا يقع بالنثر ، ولا يكون إلا من المحاسن دون العيوب ، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمّى إيداعا لا تضمينا .

وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شىء من شواهدهما ، تتميما للفائدة ، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده

الاستعانة وأمثلتها

فالاستعانة : أن يستعين الشاعر ببيت لغيره فى شعره ، بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به ، بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته ، وخصوصاً أبيات التوطئة ، وكذلك الناثر ، إلا أن يكون البيت لنفسه ؛ فيسمى تشهيراً

فمن أمثلة الاستعانة فى الشعر قول الحارثى [من الطويل] :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بالمـاء منها المَحَاجِرُ

وقد أبْصَرَتْ نُعْمَانَ من بَعدِ أنسِهَا ... بنا وهى منا مُوحشات دَوَاثِرُ

(كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ)

فقلت لهـا والقلب منى كأنما ... يُقَلِّبُه بـين الجوانحِ طائرُ

(بلى * نحنُ كنَّا أهْلَهَا فأبادنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ)

فاستعان ببيتى خرقة بنت تبع[1] .

وقول ابن أبى الأصبع يهجو يهوديا طبيبا [من الطويل] :

رأيت أبا الخير اليهودىَّ ماسكاً ... بقارُورة كالوَرْسِ رَاق حليبُهَا

وقد رشَّ منها فوق صفْحَةِ خدِّه ... وقال لقد أحيـا فؤادى طِيبهَا

فقلت له : ما هذه ؟ قال : بَوْلَةٌ ... لأسْوَدَ يشفى الداء منى قَضيبهَا

(١) المشهور ان البيتين لمضاض بن عمرو الجرهمى

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوَى كل نَفْسٍ أين حل حبيبها

قال ابن أبى الأصبع : ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل فى معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة، كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت [من الطويل] :

إذا ما خليلٌ صدّ عنك ملَالَةً وأصْبَحَ من بعدالْوَفا وَهْوَ غادرُ

فلا تَحتَفِلْ واستَغْنِ بالله إنه على أن تُرَى عنه غَنيًّا لقادرُ

وَهَبْه كشىء لم يكن أو كنَازِحٍ به الدارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقابرُ

فان هذا البيت كان نسيبا وكان أوله « فهبها » فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل فى معناى .

قلت : تقدم ذكر هذا البيت فى شواهد التقسيم ، وأنه لعمر بن أبى ربيعة المخزومى .

العنوان وأمثلته

وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبى نواس [من البسيط] :

يا هَاشِمُ بْنَ خديجٍ لَيْسَ فخركُمُ بقَتْلِ صهرِ رسولِ اللهِ بالسَّدَدِ

أدرجتم فى إهاب العير جُثَّتَهُ لبئس ما قدَّمت أيديكمُ لِغَدِ

إنْ تَقتلوا ابْنَ أبى بكرٍ فقد قتَلَتْ حُجْراً بدارةِ مَلْحوبَ بنو أسَدِ

وقد أصابَ شراحيلا أبو حَنَشٍ يَوْم الكُلَابَ فما دافَعْتُمُ بيَدِ

ويَوْمَ قلتم لعَمْرٍو وهو يَقتُلكم قَتْلَ الكلاب لقدْ أبْرَحْتَ بالولد

ويَوْم كِنْدِيَّة قالت لجارَتِها والدمع يَنْهَلُّ من مَثْنَى ومن وَحَدِ

ألْهَى امرأَ القَيْسِ تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأرِهِ وصِفاتُ النؤى والوَتِدِ

فاشتملت هذه الأبيات على عدة عنوانات ، منها قصة قتل محمد بن أبى بكر

الصديق رضى الله عنهما ! وقتل حجر أبى امرىء القيس [١] وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم .

ومثل ذلك قول أبى تمام لأحمد بن أبى دؤاد [من الوافر] :

تَذَبْذَبْتُ ، إن قولا كان زوراً أتى النعمان قَبْلَكَ فى زيادِ

فأرَّث بين حى بنى جلاح لَظَى حَرْب وحى بنى مصادِ

وغادرَ فى صُدُور الدهْرِ قتلى بنى بدر على ذات الأصادِ

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان ، وما جرى فى ذلك من السعى للحروب التى انطوت عليها قطعة من أيام العرب .

وهذا القدر كاف فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول :

عود إلى التضمين

ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه ، أو بمصراع فما دونه ، فمن إنشادات ابن المعتز فيه [من السريع] :

عَوَّذَ لما بتُّ ضيفاً لهُ أقراصَهُ منى بياسينِ

وعَوَّذَ الماء بسُمْرِ القنا وبالأفاعى والثعابين

فبت والأرض فراشى وقد غنت قفا نبك مَصَارينى

والأحسن فى هذا النوع صرفه عن معناه الأول ، فمن ذلك قول أبى الحسن حازم فى تضمين قصيدة امرىء القيس وقد صرف معانيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

لعينيك قُلْ إن زرْتَ أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

---

(١) فى المطبوعتين « وقتل حجر بن امرىء القيس » وارجع إلى شرح الشاهد الأول من شواهد هذا الكتاب

وفى طيْبَة فانزل ولا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

ومن أبدع ماله فيها :

نبىّ هُدًى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى)
تلا سُوَراً ما قولها بمعارض (إذا هى نصّته ولا بمعطّل)
لقد نزلت فى الأرض حلة هديه (نزول اليمانى ذى العياب المحوّل)
أتت مغرباً من مشرق وتعرّضت (تعرّض أثناء الوشاح المفصّل)
ففازت بلادُ الشرقِ من زينة بها (بشقٍّ وشقٌّ عندنا لم يُحوّل)

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة ، فمن ذلك قول أبى منصور العبدونىّ :

أكتاب ديوان الرسائل مالكم تحمّلتم بل مُتّم بالتحمل
وأرزاقكم لا تستبين رسومها (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
إذا ماشكا الأفلاس ذو الضرّ بعضكم (تقولون لا تهلك أسًى وتجمّل)
خُلقتم على باب الأمير كأنكم (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومما كتب به الصلاح الصفدىّ إلى ابن نُباتة :

أفى كل يوم منك عتبٌ يسوءنى (كجلمود صخرٍ حطّه السيل من عل)
وترمى على طول المدى متجنبا (بسهميك فى أعشار قلبٍ مقتّل)
فأمسى بليلٍ طالَ جنحُ ظلامه (على بأنواع الهموم ليبتلى)
وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى (إذا جاش فيه حميُهُ غلىُ مرجلٍ)
تطيرُ شظاياه بصدرى كأنها (بأرجائه القصوى أنابيش عنصل)
وسالت دموعى من همومى ولوعتى (على النحر حتى بلّ دمعى محملى)
ترفّقْ ولا تجزعْ على فائتِ الوفا (فما عند رسمٍ دارسٍ من معوّل)

فى أبيات . . . .

فأجابه ابن نباتة متهكما فى المطلع بقوله :

فطمت ولائى ثم أقبلْتَ عاتباً (أفاطِمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ)
برُوحىَ ألفاظ تعرض عَتْبُها (تعرُّض أثناء الوشاح المفصَّلِ)
فأحْيَيْتَ ودًّا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
تُعَفِّى رياحُ العذلِ منك رُقومَه (لما نَسَجَتْها من جَنُوب وشمأل)
نعم قوضَتْ منك المودَّة وانقضَتْ (فيا عَجَباً من رَحْلِها المتحمَّل)
أمَوْلاىَ لا تسلُكْ من الظلم والجفا (بنا بَطْنَ خَبْتٍ ذى قِفَاف عقنقل)
ولا تنس منى صُحْبَةً تصدع الدجى (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)

وهى طويلة ، يقول فى آخرها :

فدونك عَتْبى اللَّفْظُ ليس بفاحشٍ (إذا هى نَصّتهُ ولا بمعطلِ)
وعاداتُ حب هن أشهر فيك من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الأنف ، وهو [من الطويل] :

تأنف عن وَصفِ الغزال تَغَزُّلى بلحية أنف ذى عِقَاصٍ ومُرْسَلِ (١)
من البق فيها جُمْلة قد تعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
فيا قبحَ شعر فوق أنفٍ معرْقَفٍ (أثيث كقِنْوِ النخلةِ المتعشكل)
وقالوا اختبىء فى شعره فكأنه (كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمّلِ)
ترى القمل والصئبان فى عَرَصاتها (وقيعانها كأنه حبُّ فلفل)

إلى أن قال :

(١) آخر هذا البيت من قول امرىء القيس ، وهو الشاهد الأول :
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى و مرسل

وكم قلت إذ أرخى ذوائبَ أنفِهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
كأن الفُسا إن قيسَ معْ ريح أنفه (نسيم الصبا جاءت بَرِّيا القرنفل)
ترى شعراتِ الأنف سدتْ خدودهُ (لما نسجتْها من جنوب وشمأل)
وقد دَرَست بالأنف آثارُ وجهه (فهل عند رسم دارسٍ من معول)
كأنّى بمولانا علىَ وصف أنفهِ (تولى بأعجاز وناء بكلكل)
وَجرّد شعْرَ الأنفِ منا وجاءنَا (بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلَ)
(مكرّ مفرّ مقبل مُدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علَ)

ومن ظريف التضمين قول أبى الحسين الجزار، مضمنا قصيدة امرىء[1] القيس المذكور[2]:

قفانبكِ من ذكرى قميص وسرْوالِ وَدُرَّاعةٍ لى قدْ عفاَ رَسْمهاَ البالى
وَما أنا منْ يبكى لأسماءَ إنْ نأت ولكننى أبكى علىَ فقدِ أسمالى
لوَ أن امرأَ القيس بن حُجْرٍ رأى الذى أكابدُهُ مِنْ فرط همٍّ وَبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزةٍ ولا بات إلا وهوَ عن حبها سالى
ولى من هوى سكنى القياس عن هوى بتوضح فالمقراة أعظم أشغال
ولاسيما والبرد وافى بَريدهُ وحالى على ما اعتدت من عسرة حالى

(١) ضمن هذه القصيدة ألفاظا من معلقة امرىء القيس التى أولها:
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وألفاظا أخرى من لامية امرىء القيس التى أولها:
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
بل الأكثر من هذه القصيدة.

(٢) فى أصول هذا الكتاب «قصيدة امرىء القيس المذكورة» ولما كانت حقيقة الأمر ما ذكرنا أصلحناه بحذف التاء

ترى هل يرانى الناس فى فَرَجيَّةٍ أجُرُّ بها تيهاً على الأرض أذيالى
و يُمسى عَدُوِّى غير خال من الأسى إذا بات عن أمثالها بيتُه خالى
ولو أننى أسعَى لتفصيل جبةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ بجوخةٍ وقد يُدْرِكُ المجد المؤثل أمثالى

ومنها :

وكم ليلةٍ أستغفرُ الله بتُّها بخد وريق بين وَرْدٍ وجرْيالِ
تَبَطَّنت فيها بَدْرَ تم مُشَنَّف ولَمْ أتبَطَّن كاعباً ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة [من الوافر] :

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا وباتوا عاكفين على الملاح
(ألستم خَيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ)

وقوله [من الطويل] :

تَصَدَّى إلى إيرى فقلت له اتَّئِدْ وحقكَ لو عايَنْتَهُ وهو ثائرُ
(رأيت الذى لا كلُّهُ أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ)

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى [من الوافر] :

أقول وقد أبى عن أخذ إيرى وسالَتْ مِنْ محاجِرِه دُمُوعُ
(إذا لم تستَطِعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى [من السريع] :

قال وقد قَصَّرْتُ فى نَيْكه سُدَّ فَضَا مَجْرَى الواسع
فقلت يا مولاى عذْراً فقد (اتَّسَعَ الخرقُ على الراقع)

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هربته التى قتل فيها يامولانا أين ذلك التدبير ، وتلك

السياسات ؟ فأنشد [من السريع] :

التَّوْبُ إن أسرع فيه البلى أعيا على ذى الحيلةِ الصانِعِ
كنا نُدَاريها وقد مزقَتْ (واتسعَ الخرق على الراقـعِ)

وقد أبدع ابن نباتة بقوله [من الكامل] :

لم أَنْسَ مَوْقفنا بكاظِمة والعَيْشُ مثلُ الدَّار مُسْوَدُّ
والدمعُ ينْشِدُ فى مسايله (هل بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ)

وما أحسن قول بعض المغاربة [من الوافر] :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلبُ ليس له قَرارُ
فَنَادى وجْهُهُ لاخوفَ فاسكن (كلامُ الليل يمحُوهُ النهَارُ)

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران ، فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت القصة من عنقها وَأُدخلت على الوزير ، فاذا فيها مكتوب [من البسيط] :

ياأهل بغداد إن الحَيْصَ بَيْصَ أَتَى بخَزْية أَورثَتْهُ العار فى البلدِ
أبدَى شَجَاعته بالليل مجترئاً على جُرَىٍّ ضعيفِ البَطْشِ والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احْتَسَبَتْ دَمَ الأبيلقِ عند الواحدِ الصمَدِ
(أقولُ للنفس تأساء وتعزيةً إحدَى يَدَىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه هذا أخى حين أدعوهُ وذا ولدى)

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس الصولى [من البسيط] :

أولى البرية طرّاً أن تواسيهُ عندالسرورالذىوَاساكفىالحزَن
(إنالكرام إذاما أيْسَرُوا ذكَرُوا من كان يألَفهُمْ فىالمنزل الخَشِنِ)

البيت الأخير لأبى تمام ، وقد أحسن تضمينه الصاحب بن عباد بقوله [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركنى عَرْكَالأديم ومَنْ يَعْدُو على الزمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبُوطاً بصُحْبَتِهِ دهرا فغادرنى فَرْداً بلا سَكنِ
هَبّتْ له ريحُ إقبالٍ فطارَ بها إلى السرور وألجأنى إلى الحَزَنِ
نأى بجانبه عنى وصيَّرنى مع الأسىودواعى الشوقفىقَرَنِ
وباع صَفْوَ ودادٍ كنتُ أقصُرُهُ عليه مجتهداً فى السر والعلَنِ
وكان غالى به حيناً فأرْخَصَهُ يا من رأى صَفْوَ وُدٍ بيعَ بالغبَنِ
كأنه كان مَطْوِيًّا على إحنٍ ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى
(إنالكرامإذاماأيسروا ذكروا من كان يألفهمفى المنزل الخشن)

وذكرت بهذه الأبيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه ، وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان خال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قَذَى عينيه وشَجَا صدره، فبينا هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقى من سفره نصباً ، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا مَوْتٌ يبَاعُ فأشتريهِ فهذا العيش ما لاخيرَ فيه (١)

---

(١) ورد فى المطبوعتين «ألا موتا» والمحفوظ هوما أثبتناه بالرفع ، مع أن النصب وجها فى العربية وعليه ورد قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

إذا أبصرتُ قبراً من بعيد وددتُ لوَ انني فيما يليهِ

ألا رَحِمَ المهيمنُ رُوحَ عَبْدٍ تَصدَّق بالوفاةِ على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قَرَمه ، وتحفظ الأبيات ، وتفارقا ، وضربَ الدهر ضرباته فترقَّتْ حالُ المهلبى إلى أعظم درجة من الوزارة حتى قال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمانُ لفاقتى ورثى لطول تَحَرُّقى

وأنالنى ما أشتهى وأقالنى ما أتقى

فلأغفِرَنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقِ

حتى جنايتَهُ لما فعلَ المشيبُ بمفرقى

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر ، وثقل عليه بَرْكُه ، وهاضه عَرْكُه ، فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قُلْ للوَزير فَدَتْهُ نفسى مقالةَ مُذْكرٍ ما قد نسيهِ

أتذكُرُ إذ تَقُولُ لضَنْكِ عيشٍ (ألا مَوْتٌ يباع فأشتريهِ)

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان إليه ورعاية حق الصحبة فيه ، والجرى على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فأمر له فى عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع فى رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » . ثم دعا به ، وخلع عليه ، وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير ذلك ما حكى أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو فى رقه ، فلما باعه تنقلت به الأحوال إلى

ما صار إليه، وافتقر التاجر فيما بعد، فحضر إليه إلى مصر، وكتب إليه رقعة فيها [من البسيط] :

كنا جميعَيْنِ فى كد نكابدُهُ   والقلب والطرف منا فى أذًى وقذَى
والآنَ أقبلَتِ الدنيا عليك بما   تهْوَى فلا تنْسَنِي (إن الكرام إذا)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

قد قلت لما أطلعَتْ وجناته   حول الشقيق الغض روضةَ آسِ
أعِذَارَهُ السارى العجول ترَفُّقاً   (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي فقال [من الكامل] :

ومُوَرَّدُ الوجنات دبَّ عِذَارُه   فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلاً   قد رام يخفى الوردَ منهُ بآس
ناديتهُ قف كى أودع وردهُ   (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

ولأبى بكر الخوارزمى فى ابن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحِى من عطَايَاكَ شاعراً   لقد صِرْتُ أمسى من عطاياك مفْحَمَا
أبيتُ إذا أجريتُ ذكْرَاكَ مُنْشِداً   (وأن تعتب الأيام فيها فربما)
ومالى من الأصوات مقترحٌ سوَى   (أعالج وجداً فى الضمير مُكتما)

وله فى شمس المعالى قابوس [من الطويل] :

شموس لهن الخدر والبيت مغْرب   فطالعُهَا بالبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالى خلافها   مشَارِقهُ ليْسَتْ لهن مغَارِبُ

---

(١) عجزه صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام ، وهو :

ما فى وقوفك ساعة من باس   تقضى ذمام الأربع الأدراس

فما لقبوهُ الشمس إلا وقد رووْا (فانك شمس والملوك كواكب)

ومن ظريف التضمين قول القاضي أبي عمر القابسي وقد أُهديت إليه جارية فوجدها ابنة سرية له ، كان قد تسرى بها ، فردها ، وكتب إلى مهديها [من الكامل] :

يامهديَ الرشأ الذى ألحاظُهُ تركَتْ فؤادى نُصْبَ تلك الأسهُم
ريحانةٌ كل المنى فى شمها لولا المهيمنُ واجتناب المحرَمِ
ماعن قِلىً صُرِفَتْ إليك وإنما صيدُ الغزالة لم يُبَحْ للمُحْرِمِ
إن الغزالةَ قدْ عرفنا قَبلها سرُّ المهاة وليتنا لم نعلمِ
يا وَيحَ عنترَةَ الذى قدْ شفَّهُ ما شفنى فشدا ولَمْ يتكلمِ
(يا شاة ما قنصٍ لمنْ حلتْ لهُ حرُمتْ علىَّ وَليتها لم تحرُمِ)

فضمن بيت عنترة ، والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية ، فكنى بها عن المرأة تشبيهاً لها بها ، ويقال : إن التى عناها كانت زوجة أبيه ، فلذلك حرمت عليه

ومن بديع التضمين ، قول ابى فراس الحمدانىّ يتغزل فى غلام من الفرس [من الخفيف] :

قاتِلِى شادِنٌ رَخيمُ الدلالِ كِسرَوِىّ الأعمامِ والأخوالِ
كيف أرجُو ممنْ يرَى الثأرَ عندِى فَرَجاً منْ تعطفٍ أوْ وصالِ
ما دَرَتْ أسرَتى بِذِى قار أنِّى بعضُ مَنْ جندَلُوا مِنَ الأبطالِ (١)

---

(١) ذوقار : يوم كان بين العرب والفرس انتصرفيه العرب انتصارا باهرا . يقول : إن قومى العرب هم الذين قتلونى ، لأن هذا الغلام الفارسى تسلط على قلبى حتى ذهب به ، فأنا قتيل هذا الغلام الذي أراد أن يأخذ بثأر قومه منى

أيها المـلزِمى جرَائرَ قومِى بعدَ ما قدْ مضتْ عليْها اللَّيَالِى
(لمْ أكنْ مِنْ جُناتِهاَ عَلِمَ اللهُ وَإنى بِحرِّهاَ اليـوْمَ صاَلِى)

والمعنى الذى أراد: أن بنى شيبان، وهم من ربيعةَ قومِ أبى فراس، كانوا قد هزموا الفرسَ، يوم ذى قار، وهو يوم مشهور، فنزع أبو فراس فى هـذه الأبيات منزَعاً ظريفـاً، وذهب مذهباً غريباً. ذكر فيه أن هـذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة، ذهب إلى الأخذ بثأر قومه من أبى فراس، وإن لم يكن أبو فراس من جُناةِ تلكَ الحرب. وأما البيت المضمن فهو من شعر الحارث بن عباد البكرى [1] يقوله فى حرب البسوس بعد أن كان اعتزل الحرب، فلم يدخل فيها، إلى أن قتل ابنـه بجير، فلما بلغه قتله ظنَّ أنَّ مهلهلا يقنع به فى دم أخيـه كليب، وقال: نعم القتيل قتيلاً أصلح الله به بين ابنى وائل، يريد بكراً وتغلب، وعزم أن لا يطلب بثأره، إلى أن بلغه أن مهلهلا، قال له حين قتل: بُؤْ بشِسْعِ نعل كليب، يريد أنه لا يفى دمه بشىء من دم كليب، فعند ذلك حمى الحارثُ وغضب وعزم على الدخول فى الحرب، وقال فى ذلك [من الخفيف]:

قرِّبا مَرْبطَ النعامـــــةِ مِنِّى لقحتْ حربُ وائلٍ عنْ حيالِ

إلى أن قال:

لمْ أكنْ مِنْ جنَاتِهاَ علِمَ اللهُ وَإنى بِحرِّهَا اليوْمَ صَالِى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى، وأجاد، بقوله [من الخفيف]:

وَعيونٍ أمْرَضْنَ جسمِي وَأضْرَمْــنَ بِقلبِي لوَاعِجَ البلبالِ
وخدُودٍ مثل الرياض زَوَاهٍ ماَ لِلأيامِ حُسنِهاَ مِنْ زَوَالِ

---

(١) فى الأصول «الحارث بن عبادة» بزيادة التاء، وهو تحريف

(لمْ أكنْ مِنْ جُناتِها علمَ اللهُ وإنى بِحرِّها اليومَ صالى)

فصرف لفظ «جُناتها» عن معنى الجناية إلى معنى الجَنَى.

ومن ذلك قول بعض المجان من أهل تونس فى مُعَذَّر [من الكامل]:

لاَعذْرَلى إنْ لم أهِمْ بِمعذَّرٍ فِى وَجنتيهِ فتنةُ المتأمِّلِ
خَطٌّ على خدٍّ قويمٍ مثل ما دَبَّتْ على الكافورأرْجلُ أنْمُلِ
إنى مِنَ القومِ الذين إذا هَوَوْا (لاَ يسألونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ)
ولَدَيهمُ أنَّ العذارَ إذا بَدَا (مما يُعَدُّ مِنَ الطرازِ الأوَّل)

ضمن أعجاز بيتى حسان فى آل جفنة [من الكامل]:

يُغْشَوْنَ حتى مَا تهِرُّ كِلاَبهُمْ لا يَسألونَ عَنِ السَّوادِ المُقْبِلِ
بيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسَابهُمْ شُمُّ الأنوفِ من الطرَازِ الأوَّلِ

فنقله من معنى المدح إلى ذكر العذار، فأبدع، ولا سيما البيت الثالث، فهونهاية فى الابداع.

ومنه قول ابن الجفان الشاطبي [من الكامل]:

للهِ قومٌ يعشقونَ ذَوِى اللحى (لاَ يسألُونَ عَنِ السوادِ المُقْبِلِ)
وَبِمُهجتى نفرٌ وَإنى منهمُ جُبِلُوا على حُبِّ الطرَازِ الأوَّلِ

وقول الصلاح الصفدى [من الكامل]:

دَبَّ العذَارُ فظَنَّ فيهِ عواذلِى أنى أكونُ عَنِ الغرامِ بِمعزِلِ
لاَ كانَ ذاكَ فاننى مِنْ معشرٍ (لاَيَسألونَ عنِ السوادِ المقبلِ)

ومن التضمين البديع ما أنشده القاضى الخطيبُ أبوالبركات لنفسه، وكتبه على جزء فيه كلام لابن سبعين [من الطويل]:

ألاَ فَدَعُوا مَا قالَ عنكم فإنمَا (محاَ السيفُ ماقالَ ابنُ دَارةَ أجمعَا)

أراد أن أصحاب ابن سبعين كانوا يعبرون عنه بابن دارة ، لأن شكل سبعين فى رسوم الحساب الرومية هكذا ٥ ، وكان ابن سبعين إذا كتب اسمه يكتب عبد الحق بن ٥ ، ويرسم دائرة ، فغاص الخطيب ، وأتى بتضمين بديع لا نظير له ، وهو عجز بيت من قول الشاعر :

وَلاَ تكثرُوا فيها اللجاجَ فانه ... محا السيفُ ماقال ابنُ دُرَةَ أجمعا

وهو مما جرى عندهم مثلا ، وله قصة شهيرة :

ومن التضمين البديع قول ابن الرومى فى مأبون [من الكامل] :

يا سائِلى عن خالد ، عهدى بهِ ... رَطبَ العِجَان وكفهُ كالجلمدِ

(كالأقحوانِ غداة غب سمائه ... جَفَّتْ أعاليه وأسفلهُ نَدِى)

فصرف قول النابغة فى وصف الثغر إلى المعنى الذى أراد .

وما أحسن قول كشاجم [من البسيط] :

يَا خاضبَ الشيب والأيامُ تظهرُهُ ... هذا شبابٌ لعمرُ اللهِ مَصنُوعُ

أذكرْتنى قولَ ذى لبٍّ وتجْربةٍ ... فِى مِثله لكَ تأديبٌ وتقريعُ

(إنَّ الجديد إذَا مَا زِيدَ فى خَلَقٍ ... تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مَرْقُوعُ)

وقول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فى الرشيد عمر الفوّى ، وكان به داء الثعلب وأسنانه بارزة [من الوافر] :

أقُولُ لمَعْشر جهلوا وغضُّوا ... منَ الشيخ الرشيد وأنكروهُ

هُوَ ابنُ جلاَ وطلاّعُ الثنايَا ... مَتىَ يَضعِ العمامَةَ تعرِفوهُ

هو تضمين قول سحيم المار فى شواهد الايجاز [من الوافر] :

أنَا ابْنُ جلاَ وطلاّعُ الثنايَا ... متىَ أضعِ العمامةَ تعرِفونى

وقد ضمنه صدر الدين بن غنوم ، فقال [من الوافر] :

جلاَ مسوَاكُ ثغرك خيرَ دُرٍّ فجلَّ بذَاكَ وا كتسبَ المزَايَا
وأنشـــدَ صحبهُ تيهاً وفخراً (أنَا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَاَ)

وقال شمس الدين الحلبى فيه [من الوافر] :

جلاَ ثغراً وأطلعَ لى ثنايَا يسُوقُ بها المحبَّ إلى المنَاياَ
فأنشدَ ثغرهُ يبغى افتخَاراً (أنَا ابْنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وضمنه الأرّجانىّ ، فقال [من الوافر] :

تغنَّمْ صُحبتى ياصاحِ إنى نزعتُ عن الصبَا إلاَّ بقايا
وخالِفْ مَنْ تنسَّك من رجال لَقُوكَ بأكبُدِ الابل الأبايَا
ولا تسلكْ سوى طرقى فانى (أنَا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه [من الوافر] :

وَمُذْ تاهَ الدليلُ وقَدْ ضللنَا بليلٍ ليْسَ يُهْدَى سالـكُوهُ
فأشرَقَ وجهُ مَنْ أهوى ونادَى أنَا ابْنُ جلاَ ألا لاَ تُنكرُوهُ
وَوَجهُ الصبحِ وَافاَنَا سريعاً وَقالَ وَقدْ حكاهُ أنا أخُوهُ
فقلتُ لصاحبى أنعمْ صبَاحاً . لعمركَ قدْ تعارَفَتِ الوُجُوهُ

ومن محاسن السراج الوراق فى التضمين قوله [من الطويل] :

توَارى منَ الواشى بليلٍ ذَوائِبٍ لهُ من جبينٍ وَاضحٍ تحتهُ فجرُ
فدَلَّ عليهِ شَعرُهُ بظلاَمِهِ (وَفى الليلةِ الظلماءِ يُفْتَقَدُ البدْرُ)

نقله ابن الصائغ إلى المداعبة وزاده تورية بقوله [من الطويل] :

تطلَّبت جحرا فى الظلام فلم أجد ومن يك مثلى حَيَّةً دأبه الجحر
فنادانى البدر الأديب إلى هنا (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر)

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله [من الكامل] :

عاينتُ فى الحمّام أسودَ واثباً ... من فوق أبيضَ كالهلال المُسفرِ
(فكأنما هوَ زورقٌ من فضةٍ ... قد أثقلتهُ حمولة من عنبرِ)

وقوله فى الفانوس [من الطويل]

يقول لىَ الفانوسُ حينَ أتوا بهِ ... وفى قلبهِ نارٌ من الوجدِ تُسعَرُ
(خُذوا بيدِى ثمَّ اكشفُوا الثوبَ تنظروا ... ضنىَ جسدِى لكنَّنى أتستّرُ)

وقوله أيضاً [من الوافر]:

أزهرَ اللوزِ أنتَ لكلِّ زهرٍ ... منَ الأزهارِ يأتينا إمامُ
(لقدْ حسُنتْ بكَ الأيامُ حتى ... كأنكَ فى فمِ الدهرِ ابتسامُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لوْ كنتَ إذْ أبصرتَها فوّارةً ... للشمسِ فى أمواجها لألاءُ
لرأيتَ أعجبَ ما يُرى من بركةٍ ... (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لوْ كنتَ فى الحمامِ والحنَّا علىَ ... أعطافهِ وبجسْمهِ لألاءُ
لرأيتَ مَا يسبيكَ منهُ بقامةٍ ... (سالَ النضار بها وقامَ الماء)

وقوله، وهو من تضامينه البديعة [من الكامل]:

أفدى الذى أهوَى بفيهِ شارباً ... من بركةٍ راقتْ فطابتْ مشرَعاَ
أبدَتْ لعينِى وجههُ وخيالَه ... (فأرتنى القمرَين فى وقتٍ معَا)

وقوله وأجاد [من الطويل]:

وشبَّابة قدْ كنتُ أهوَى سماعَها ... وقدْ صرْتُ منها بعد ماتبتُ أنفرُ
وهَا أنَاَ قَدْ فارقتهاَ غيرَ نادمٍ ... (وكم مثلها فارقتها وهْىَ تصفِرُ)

وقوله [من الطويل]:

وناطقةٍ بالرّوح عَنْ أمرِ ربها تعبر عما عندها وتترجمُ
سكتنا وقالتْ للقلوب فأطربتْ (فنحن سكوتٌ والهوى يتكلّمُ)

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله [من البسيط] :

مَنْ حاتمٌ عدّعنهُ واطّرحْ خَبَهِ في الجود لا بسواهُ يُضربُ المثلُ
لوْ مثّلَ الجودُ سَرْحاً قال حاتمهمْ (لاَ نَاقةٌ لِيَ في هذا ولاَ جملُ)

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني [من السريع] :

قالوا غداً تندمُ عنْ لثمهِ في خدّه إذْ يغلبُ السكرُ
فقالَ لِي مبسمهُ دعهُمُ (اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ)

وما أحسن قول العز الموصلي [من الكامل] :

لحديث نبْتِ العارضين حلاَوةٌ وطلاَوةٌ هامتْ بها العشاقُ
فاذا نهاني المردُ قلت تمهّلوا (فإليكمُ هذا الحديثُ يُساقُ)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ومُذْ كَلّمتْ قلبي سيوفُ لحاظها شكوت إليها قِصتي وهي تبسمُ
فلم أرَ بدْراً ضاحكاً قبلَ وجهها ولم ترَ قبلي ميتاً يتكلمُ

وقول ابن تميم [من البسيط] :

إنْ تاه ثغرُ الأقاحي إذ نشبهه بثغر حُبكَ واستولى به الطرَبُ
فَقلْ له عندَ مَا يحكيهِ مُبتَسماً
(لَقدْ حكيتَ ولكنْ فاتكَ الشّنَبُ)

وهذا المصراع الأخير لابن الخيمي ، من قصيدة طنانة ، مطلعها [من البسيط] :

يا مطلباً ليْسَ لي في غيرهِ أرَبُ إليكَ آلَ التقصّي وانتهى الطلبُ

وَما طَمحَتْ لِمرْأى أوْ لمستمعٍ ... إلا لمعنىً إلى عَلياك ينتسبُ

وما أرانِىَ أهلاً أنْ تواصلنى ... حسبى علوّاً بأنى فيكَ مُكتئب

لكنْ ينازع شوْقى تارةً أدبى ... وأطلب الوصل لما يضعفُ الأدب

ولست أبرَح فى الحالين ذَا قَلَقٍ ... نامٍ وشوقٍ له فى أضْلعى لَهَبُ

ومَدْمع كلما كفكفْتُ أدْمعه ... صَوْناً لذكركَ يعصينى وَينسكبُ

إلى أن قال :

والهفَ نَفْسِىَ لو يجدِى تَلَهّفُها ... غوثاً وواحَرَباً لو ينفعُ الحرَبُ

يمضى الزمان وأشْواقى مُضَاعَفَةٌ ... ياللرجال ولا وصل ولا سَبَبُ

يا بارقاً بأعالى الرَّقمتـين بدَا ... (لقدحكَيْتَ ولكن فاتكَ الشَّنَبُ)

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة ، وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة ، وأومأ بيده ليضعها فى جيبه ، فسقطت ، فمر ابن إسرائيل على أثره ، فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه ، وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره ، وامتنع قراره ، وجدَّ فى استرجاع ابن إسرائيل عن ادعائها ، وهو مُصِرٌّ على ذلك ، فتراضيا على تحكيم ابن الفارض ، والتسليم إليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها ، فذهبا ثم أتياه فأنشده ابن الخيمى أبياتاً منها [من البسيط] :

مَنْ مُنْصفى من لطيف منهم غَنِجٍ ... لَدْنِ القوام لإسْرائيل يَنْتَسِبُ

مُبَدِّل القول ظلماً لا يفى بموَا ... عيد الرجال ومنْهُ الذنب والغضب

فى لَثْغةِ الراء منْه صدقُ نسبتهِ ... والمنُّ فيه بزور الوَعدِ والكذبُ

فَمَنْ عجائبهِ حدِّثْ ولا حرَجٌ ... ماينتهى فى المليح المنطقِ العَجَبُ

وأنشده ابن إسرائيل أبياتا منها [من البسيط] .

يا بارقاً ببراقِ الحزنِ لاحَ لنـا ... أأنتَ أم أرسلَتْ أقمارَها النقبُ
ويا نسيماً سرَى والمسك يَصْحبُه ... أجُزْتَ حيث مَشَيْنَ الخرُدُ العرب
أقسَمْتُ بالمقسمات الزهر تحجُبُها ... زهرُ العوَالى والخَطِّيَّةُ القُضبُ
لكدت تشبه برقاً من ثغورهِمُ ... يا دُرّ دَمعى لولا الظَّلمُ والشَّنَبُ

فنظر ابن الفارض إلى ابن إسرائيل نظر الازدراء ، وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء ، وقال له :

* لقد حكيْتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ *

فقضى له عليه ، وتركه نادماً يعض يديه .

وقد ضمنه بعضهم أيضاً بقوله [من البسيط] :

ويا غزالاً حكى معنى جَمَالِهم ... (لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

وألم به أبو الثناء محمود الحلبي فقال [من البسيط] :

يا بارق الثغر لولاحَتْ ثغورُهُمُ ... وشِمْتَ بارقها ما فاتكَ الشنبُ

وما أحسن قوله بعده :

ويا حياً جادَهُمْ إن لم تكن كلِفاً ... ما بالُ عينَيْكَ منها الماء ينْسكبُ
ويا قضيبَ النّقا لو لم تجد خبراً ... عند الصبا منهم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله [من البسيط] :

يا بَرْقُ لاتبتسم من ثغره عجباً ... قدفاتَ معناكَ منهُ الظَّلْمُ والشنب

وابن فضل الله بقوله [من البسيط]:

يابَرْق وَاْحكِ وَميضاً من ثغورهم ... وما عليك إذا ما فاتك الشنب

عود إلى التضمين

رجعنا إلى التضمين .

ومنه قول إبراهيم الاشبيلى المهتدى [من الطويل] :

تأمَّلْ لظى شَوْقى وموسى يَشُبُّهُ (تجدْ خيرَ نارٍ عندها خير مُوقِدِ)

ولطيف قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

إنَّ الغوانى إنْ رَأَيْنَكَ طاوِياً بُرْدَ الشباب طَوَيْنَ عنكَ وِصالاَ
(وإذَا دعوْنك عمهنَّ فانهُ نسبٌ يزيدكَ عندهنَّ خَبالاَ)[١]

وقول بعضهم [من الكامل] :

كانَتْ بلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً فصحوْتُ واستبدلت سيرةَ مُجْمِلِ
وقعدت أنتظر الفناء كراكبٍ (عَرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقد ضمنه بعضهم مجوناً ، فقال [من الكامل] :

قالوا وقد بصروا بأيرى نائماً عند الدبيب إليه رِخْوَ المفصلِ
ما ذَا عراه فقلت سارى ليلةٍ (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

ولابن نباتة فيه [من الكامل] :

يا ربَّ ليلٍ بتُّ فيه منعَّماً برشيقةٍ تَعْيا بردْفٍ مثقلِ
أيرى بجانب كسها فى حجرها (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

لقدْ قال لى إذْ رُحْتُ مِنْ خمر ريقه أحثُّ كؤوساً من ألذ مُقَبَّلِ
بِلثم شِفاهى بعد تَقْبيل مبسمى (تنقلْ فَلَذَّاتُ الهوى فى التنقلِ)

وهذا المصراع الأخير لأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى من أبيات ، وهى [من الطويل] :

تَنَقلْ فلذَّاتُ الهوى فى التنقلِ وَرِدْ كل صافٍ لاتقفْ عند منْهَلِ
وإنْ سار من تهوى فسرْ عن جنابه ولا تسكُبَنْ دمعاً علىَ مترَحّلِ

(١) نسب فى كتب العروض إلى الأخطل ، ولم أجده فى ديوانه المطبوع

ولا تعتبرْ قولَ امرىء القيْس إنه ضليلٌ ومَن ذَا يقتدى بالمُضَلَّلِ
فَفِى الأرْضِ أحبابٌ وفيها مَنازِلٌ
(فلا تبْكِ من ذكرى حَبِيبٍ ومنزلِ)

ومن ظريف التضمين قول البدرى المنبجى [من الطويل] :

ولما خلوْنا والمسرة بيننا وقد عزَّ شُربُ الراح فيناءلى الشُّرْبِ
تعوضَ كل بالحشيش عن الطلا (ومن لم يجد ماء تيممَ بالترب)

وقول السراج الوراق يهجو بخيلا [من البسيط] :

و باخل يَشنأ الأضيافَ حلَّ به ضيف من الصفْع نزَّال على القِمَمِ
سألته ما الذى تشكو فأنشدنى (ضيف ألم برأسى غيرَ محتشمِ)

وقول الصلاح الصفدى [من الرجز] :

قل للرقيب يَسترح من رَصَدِى ما أصبح المعْشُوقُ عندى مشتهى
وارتَدَّ قلبى عَنْ سيوف لحظه (وكل شىء بلَغَ الحدَّ انتهى)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ألا فاسقنى مِنْ خَمْرة لَذَّ طَعْمها بفيكَ ولاتبخَلْ وقُلْ لى هى الخمرُ
وحطَّ لثاماً حجَّبَ اللثم عن فمى (فلاخيرفى اللذات من دونهاستر)

وقد أخذ الصلاح الصفدى هذا التضمين من ابن نباتة وإن كان فى معنى آخر ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنت فى لذّات ثغرك هائما ليالِىَ لمْ يُمْنَعْ على عاشق ثغرُ
فأما وسترٌ دُونها من شوارب (فلاخيرفى اللذات من دونها ستر)

وما أحلى قول الصلاح الصفدى مضمناً ومكتفياً [من المقتضب] :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لىَ صبرُ

وَسَوْفَ أَحظى بِوَصْلٍ (وَأَوَّلُ الغيثِ قَطْرُ)

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة إلى السيف الآمدى ، وهو [من البسيط] :

لَئنْ تقدَّمَ قومٌ عَصرَ سيدنا فكَمْ تقدَّمَ خيرَ المرسلينَ نبي

وَإنْ يكنْ عِلمُهُ فَرْعاً لعلمهمُ (فإنَّ فى الخمرمعنىً ليسَ فى العنبِ)

وَإنْ أتتْ قبلَهُ كُتبٌ مؤلفة (فالسيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ)

12

وقول البدر بن الصاحب [من البسيط] :

للهِ يومُ الوَفَا وَالناسُ قَدْ جمعُوا كالرَّوض تطفُو على نهرٍ أزَاهِرُهُ

وَللوَفَاءِ عَمُودٌ مِنْ أصابعهِ مخلَّقٌ تملأُ الدُّنيا بشَائِرُهُ

وقول البرهان القيراطى [من الكامل] :

قل فى اخضرارِ عِذَارهِ وقوَامهِ خلعَ الرَّبيعُ عَلى غصُون البانِ

وانشُرْ مِنَ الأغزَال فى أرْدَافهِ حُللاً فوَاضلها عَلىَ الكُثبَانِ

وقوله فى بادهنج [من الطويل] :

بِروحِىَ أفْدِى بَادَهَنْجاً مُوكلاً

باطفَاءِ ما نلقاهُ مِنْ حُرَقِ الجوَى (١)

إذَا فُتِحَتْ فى الحرِّ منهُ طَرَائقٌ

(أتَانى هَوَاهَا قبلَ أنْ أعْرِفَ الهوَى)

---

(١) البادهنج : معرب بادكير ، أو بادخون ، وهو المنفـذ الذى يجىء منه الريح ، ويسميه الأدباء « راووق النسيم » وقال أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها برد النعيم

صفا جرى الهوى فيه رقيقا فسميناه راووق النسيم

وقوله فيه أيضا [من الطويل] :

أيَا بَاذَهَنْجاً صحّ فيه لنا الهوَى ... صِفاتك ما وَفَى بهنّ خطابُ
وما شئتُ إلا أنْ أدلَّ عواذِلِى ... على أن رأيِى فِى هوَاكَ صوَابُ

وقال ابن أبى حجلة فيه ، وأجاد [من الوافر] :

هَجَا الشعراء جهْلاً باذَهنْجِي ... لأنّ نسيمَهُ أبداً عليلُ
فقال الباذَهنج وقدْ هجَوْهُ ... إذا صحّ الهوَى دَعهمْ يقولُوا

وما أحسن قول القيراطى فى موسوس [من الكامل] :

ومُوَسْوسٍ عندَ الطهارة لم يزَلْ ... أبداً على الماءِ الكثير مُواظبَا
يَستصغرُ البحْرَ الكبيرَ لذقنهِ ... وَيظُنُّ دِجلةَ ليسَ تكفى شاربَا

وَقول ابن أبى حجلة غاية هنا [من البسيط] :

قلْ للهلال وَسُحبُ الجوّ تسترُهُ ... حكيتَ طلعَةَ منْ أهْواه بالبَلَجِ
لكَ البشارَةُ فاخلعْ ماعليكَ فقدْ ... ذكرت ثم على مافيكَ منْ عِوجَ

وقول العلاء بن أيبك الدمشقى [من الوافر] :

أقول وقد ظَمِئْتُ ووجه حِبّي ... لهُ عرَقٌ على وَرْد الخدُودِ
أرَى ماء وَبِى ظمأ شديدٌ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الورُودِ

وما أحسن قول البدر الزغارى [من الطويل] :

وَبِي سَامرِىّ مرّ بِى فى عِمامَةٍ ... قد اكتسبَتْ مِنْ وَجنتيهِ احمرَارها
مُورّدَةٍ دَارتْ بِوَجهِ كأنما ... تناوَلها مِنْ خدّهِ فأدَارَها

وما أبدع قول ابن أبى حجلة [من الكامل] :

ومتى امتطيتَ منَ الكؤوس كميتَها ... أمسَيْتَ تمسِي فِى المسرّةِ رَاكبَا
ومتى طرَقتَ عشِيّ أنس ديرَها ... لم تلقَ إلا رَاغِباً أوْ رَاهبَا

وقوله فى الفانوس غاية هنا [من الكامل] :

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى ... حُرَقٌ يَذُوبُ لها الفؤادُ جميعُه
فكأننى والليل صبٌّ مغرمٌ ... كتمَ الهوى فوَشَتْ عليه دموعُه

وقوله أيضا فيه [من الكامل] :

يحكى سنَا الفانوس حينَ بدَا لنَا ... برْقًا تألقَ موْهنًا لمعانُه
فالنار ما اشتملَتْ عليه ضلوعهُ ... والماء ما سحَّتْ به أجفانُه

وقوله أيضا ، وهو بديع [من الكامل] :

ياصاحبى خضرَ الشرابُ ومنْيتى ... وحظيتُ بعدَ الهجرِ بالايناسِ
وكسَا العذارُ الخدَّ حُسناً فاسقنى ... واجعلْ حديثك كلهُ فى الكاسِ

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموى [من الكامل] :

أفديه أغيدَ زارَنى تحتَ الدُّجَا ... وعلَيه منْ فرعيه ليلٌ ساجى
والفَرْقُ بين الشعر فوق جبينهِ ... عُرْيانُ يمشى فِى الدُّجَا بسرَاجِ

ومن غاياته هنا قوله فى كاحل يسمى بالشمس [من الطويل] :

دَعوُا الشمسَ منْ كَحْلِ العيون فكفهُ ... يسوقُ إلى الطَّرْف الصحيح الدَّوَاهِيَا
فَكمْ أذْهبَتْ مِنْ نَاظرٍ بسَوَادهِ ... وَخلّتْ بيَاضاً خلْفهَا ومآقِيَا

وما أملح قول ابن الوردى [من المتقارب] :

لِوَجْنَة صيَّادكم نُسْخَة ... خريريَّةٌ ملحة فى الملح
تقول لنَبْتِ العذار اجتهد ... ومُدَّ الشباكَ وصِدْ من سنح

ومثله لابن أبى حجلة ، ونقله إلى معنى آخر [من المتقارب] :

غدا طيرُ أفراخنا سانحاً ... يَحومُ على عذب ورد القدحْ
فقلنا لدرّ الحبَاب اجتهدْ ... ومدَّ الشباكَ وصِدْ منْ سنَحْ

وقد تضمن هذا الكتاب من فنّ التضمين ماهو ضامن لكل أديب الاستغناء به ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة ابن أبي الأصبع

وابن أبي الأصبع : هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن عبد الله بن أبي الأصبع ، العدواني ، المصري ، الشاعر المشهور ، الامام في الأدب ، صاحب التصانيف الحسنة فيه ، منها « تحرير التحبير » في البديع وكتاب « بديع القرآن » وكتاب « الجواهر السوانح ، في سرائر القرائح » وغير ذلك ، وله شعر رائق ، منه [من الطويل]

ولما اعتنقنا رَدّ دَمعى لنحرها وَدِيعتها فهيَ اللآلى التي تُرَى
بكتْ ورنتْ نحوى فجرّدَ لحظها مِنَ الجفن سيفاً بالدمُوع مُجَوْهرَا

ومنه من قصيدة ، يمدح بها الملك الأشرف موسى [من الطويل] :

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقدْ بكىَ الـ ـحيا منْ حياءٍ منكَ وَالتطَمَ البحرُ

ومنها :

عيُون معانيها صحاحٌ وأعينُ الـ ـملاحِ مراضٌ فى لواحظها كسرُ
هِىَ السحرُ فاعجبْ لامرىءٍ جاءَ يبتغى عوَارِفَ مِنْ مُوسَى وَصَنعتهُ السحرُ

ومنه [من الخفيف] :

انتخبْ للقريض لفظاً رَقيقاً كنسيم الرياض فِى الأسحَارِ
فاذَا اللفظُ رَقّ شفّ عَنِ المَعْـ ـنى فأبْدَاهُ مِثلَ ضَوءِ النهَارِ
مثلَ ما شَفّتِ الزجاجة جسماً فاختفىَ لوْنها بلوْنِ العُقَارِ

ومنه فى ذمّ قيم حمام [من البسيط] :

وَقيم كلمَتْ جسمى أنَامِلهُ بِغيرِ ألْسنةٍ تَكليمَ خرصَانِ

إنْ أمسكَ اليدَ مِنِّى كادَ يكسرُها
أو سرَّح الشعرَ منْ فَوْدَىَّ أدْمَانِى
فليسَ يُمْسكُ إمساكاً بمعرفةٍ ولاَ يُسَرِّحُ تَسْرِيحاً بإحْسَانِ

ومنه فى وصف فرس أدهم محجل [من الطويل]:

وَأدْهمَ جَارَى الشمْسَ فِى مِثلِ لَوْنِهِ
مِنَ المغربِ الأقصَى إلىَ جَانِبِ الشَّرْقِ
فوَافى إليـــهِ قبلَهَا مُتمَهِّلاً فأعطَاهُ منْ أنْوارِهِ قَصبَ السَّبْقِ

ومنه [من الطويل]:

رَأيتُ بِفيـــهِ إذْ تَبَسَّمَ أدْمُعاً
فقلتُ رَثَى لِى إذْ بَـكَى فمُهُ حُزْنَا
أجَادَ لَهُ فى النظمِ شاَعِرُ ثغْرِهِ
وَلـكنهُ مِنْ مُقلتِى سَرَقَ المَعْـنى

ومحاسنه كثيرة ، وعاش نيفاً وستين سنة ، وكانت وفاته بمصر ، فى الثالث والعشرين من شـوال ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمسانى بن عدلان وأبى الحسين الجزار قبر الزكىّ المـذكور ، وكانا قد كتماه أن ذلك اليـوم مأتمه ، وكتماه قصيدتين فى رثائه ، فقـال السراج الورّاق [من الـكامل]:

ماذَا أقُولُ وقد أتانا رَاثيـاً مِلكُ النحاة وَسيِّدُ الشعراءِ
رَثيَاكَ بِالدُّرِّ النظيمِ فهـذِهِ لِلدَّال قافيـة وَتلكَ لِرَاءِ
وتوخَّيَا نثرَ العقيقِ مَدَامِعاً إذ كنتَ لَم تنصفْ بنظمِ رثَاءِ
يامَنْ طَوَى بفضائلٍ وفوَاضلٍ ذِكرين للطائى بعدَ الطائِى

غادَرْتنى وَأنَا الحبيبُ مَوَدَّةً صبًّا قد استعذَبتُ ماءَ بُكائى
فَسَقَاكَ فضلُ اللهِ فيضَ عطائهِ فَلَقَدْ أقمتَ قِيامَةَ الشعراءِ

* * *

شاهد العقد

٢١٣ – ماَ بَالُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

البيت لأبى العتاهية ، من قصيدة من السريع ، أولها :

وَاعجباً للناسِ لوْ فَكرُوا وحَاسَبُوا أنفسهمْ أبْصرُوا
وَعبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهُم معبرُ
الخير مما ليس يخفى هو الـ معروف والشرّ هو المنكرُ
والموعد الموت وما بعده الـ حشر فذاك الموعد الأكبرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى غدا إذا ضمَّهمُ محشرُ
ليعلمنّ الناسُ أن التقى والبرّ كانا خيرَ ما يذْخَرُ
عجبتُ للانسان فى فَخْره وهو غداً فى قبره يقبرُ

و بعده البيت ، و بعده :

أصبحَ لا يملك تقديمَ ما يرجو ولا تأخير ما يَحْذَرُ
وأصبحَ الأمرُ إلى غيره فى كل ما يقضى وما يقدرُ

والشاهد فيه : العقد ، وهو : أن ينظم الشاعر نثراً ، قرآناً كان أو حديثاً أو مثلا ، أو غير ذلك ، لا على طريق الاقتباس .

فهذا البيت هو عَقْدُ قول علىّ كرّم الله وجهه : « وما لابن آدم والفخر ؟ وإنما أوله نطفة وآخره جيفة » .

ويروى أن مطرّف بن عبد الله الشِّخّير نظر إلى يزيد بن المهلّب ، وهو

يمشى فى حلة يسحبها ، فقال له : ما هذه المِشْيَة التى يُبغضها الله تعالى ورسوله ؟! فقال يزيد : أما تعرفنى ؟ ! قال: بلى ، أولك نطفة مَذِرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل العذرة .

وقد نظمَ هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمىّ ، فقال [من المنسرح] :

عَجبتُ من مُعْجَبٍ بصُورَته وكانَ من قبْلُ نطفةً مَذِرَهْ
وفى غدٍ بعدَ حُسْنِ صورته يصيرُ فى الأرض جيفةً قَذِرَهْ
وهو على عُجبهِ ونَخْوَته ما بينَ ثوْبيهِ يحملُ العَذِرَهْ

ومثله قول الفقيه منصور المصرىّ [من المتقارب] :

تتيهُ وجسْمكَ من نطفةٍ وأنتَ وعاء لما تعلَمُ

وقول المؤمن الأدفوى [من الطويل] :

هل النفسُ إلا نطفة من مشيمة نمت بدَمِ الأحشاء شرَّ نماءِ
وهل هو إلا ظرف بولٍ وغائط ولوْ أنهُ يُطْلَى بكل طلاءِ
كنيفٌ ولكنْ سدّدت جدراته بظل قميص واستتار رداءِ

وقول الآخر [من الوافر] :

أرَى أولاد آدم أبْطَرَتْهمْ حظوظُهُمُ مِنَ الدنيا الدنيهْ
فَلِمْ بطِرُوا وأوّلهم مَنىّ إذا افتخرُوا وآخرهم منيهْ

وقول الفقيه منصور المصرى [من مجزوء الرمل] :

قلتُ للمعجب لما قالَ : مثلى لا يُراجعْ
يا قريبَ العهدِ بالمخـــرج لم لاَ تتواضَعْ ؟

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه [من الخفيف] :

أيها الشامخ الذى لا يُرَامُ نحن من طينةٍ عليك السلامُ
إنما هذه الحياة مَتَاعٌ ومعَ الموتِ تَسْتَوِى الأَقْدَامُ

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نُوَاس [من الطويل] :

بروحى غزَالٌ كان للناس قِبْلَةً وقد زُرْتُ فى بعض الليالى مُصَلَّاهُ
ويقرأ فى المحراب والناس خَلْفَهُ ولا تقتُلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ
فقلتُ تأمل ما تقول فإنها فعالك يامَنْ تقتلُ الناسَ عَيْنَاهُ

وقول الآخر [من الوافر] :

أنِلْنِى بالذى استقرضت خطًّا وأشهد مَعْشَراً قد شاهَدُوهُ
فإن الله خــلاق البرايا عَنَتْ لجلال هَيْبَتِهِ الوجوهُ
يقولُ إذا تَدَايَنْتُمْ بدَيْنٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوهُ

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان [من السريع] :

لا تجزَعَنْ من كل خَطْبٍ عرَى ولا تُرِ الأعداء ما يشمتُ
أما سمعْتَ الله فى قوله إذا لقيتمْ فئةً فاثبتُوا

وقول أبى محمد العبدلكانى [من السريع] :

لا تكرهن خَلْقاً على مَذْهَبٍ لَسْتَ من الارشاد فى شئٍ
ألم ترَ الرحمنَ سبْحَانَهُ المخرِجَ للميتِ منَ الحىّ
يقول لا إكراهَ فى الدين قَدْ تبينَ الرشدُ من الغىّ

وقول المطوعى [من الوافر] :

غدَا منذ التحى ليلاً بهيا وكان كأنه البَدْرُ المنيرُ
فقدْ كتبَ السوادُ بعارضيه لمن يقرا وجاءكم النذيرُ

وقوله [من المتقارب] :

تكبرَ لما رأى نَفْسَهُ على صُورَةِ الشمس قد صُوِّرَت
سَيَنْدَمُ ألفاً على كِبْرِهِ إذا الشمس فى خده كُوِرَتْ

وقول ابن الصابونى الاشبيلى [من مخلع البسيط] :

رأيتُ فى خده عِذَاراً خلعْتُ فى حبه عِذَارى
قد كتب الحسن فيه سطْراً ويُولِجُ الليلَ فى النهارِ

وقول ابن يعمور [من مخلع البسيط] :

خَطْبٌ أتى مسرعاً فآذى أصبح جِسْمى به جُذَاذَا
خَصَّصَ قلبي وعَمَّ غيرى ياليْتَنى مت قبل هذَا

وقول أبى الحسين الجزار [من السريع] :

أصبحت جزَّاراً وفى البيت لا أعْرِفُ ما رائحَةُ اللحْمِ
جَهِلْتُهُ فقراً فكُنْتُ الذى أضلهُ اللهُ على عِلمِ

ولمؤلفه فى غرض عرض [من السريع] :

أرى الضحايا قُسِّمَتْ فى الوَرى وضاع فيما بَيْنَهُم قِسْمى
وكلٌّ من يَعْلَمُ حالى فقد أضله الله على علم

وقول ابن جابر الأندلسى [من السريع] :

يا صاحب المال ألم تَسْتَمِعْ لقوله ما عِنْدَكم يَنْفَدُ
فاعمل به خيراً فوالله ما يبقى ولا أنْتَ لهُ تَخلدُ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

إذا شئت رزقاً بلا حِسبَةٍ فلذْ بالتقى واتَّبِعْ سبْلَهُ
وتصديقُ ذلك فى قولهِ ومَنْ يتق الله يجْعَلْ لهُ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من المتقارب] :

إذا ظَلَمَ المرء فامهـل له فبالقُرْب يُقْطَعُ منه الوتينُ
فقد قال ربك وهو القوى وأملى لهم إن كَيْدِى مَتينُ

ومن العقد فى الحديث قول الأمام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه [من الخفيف] :

عُمْدَةُ الخير عندنا كلماتٌ أَرْبعٌ قالهن خير البريهْ
إتقِ المشبهات وازهَدْ ودَعْ ما لَيْسَ يَعنيكَ واعمـلنَّ بنيهْ

فهو عقد قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحـرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات » وقوله « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ومنه قول بعضهم ، وهو عبد المحسن بن محمد الصورى [من الخفيف] :

وأخ مَسَّهُ نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيلَ لى إنه جوَاد كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ
بِتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفى حكمه على الحرُّ قُبْحُ
قال لى إذ نزلت وهو من الخمـ ـرة سكرانُ طافحٌ ليس يَصْحُو
لم تغربْتَ ؟ قلتُ : قال رسولُ الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ
« سافروا تغنموا » فقال : وقد قا ل تمام الحديث « صوموا تصحوا »
قلت : فالصَّوْمُ لا يصحُّ بليلٍ قال : إن الوِصَالَ فيه يَصِحُّ

وقول ابن خلكان [من السريع] :

أنظُرْ إلى عارضِهِ فَوْقَهُ لحاظُهُ تُرْسلُ منها الحتوفْ
تشاهِدِ الجنة فى وجهـِهِ لكنها تحتَ ظلالِ السُّيُوفْ

وقول ابن نباتة المصرى [من المتقارب] :

أقولُ لمنْ يَتَشَكَّى الخطوبَ ... ويحذَرمن مُوبقات الصُّروفْ
عليكَ بأبْوَاب سَيْفِ العُلاَ ... مَلاَذِ الفقير وأمْنِ المخوفْ
تجِدْ ظلَّه جَنَّةً والجنانُ ... بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلى [من المديد] :

مُتْ شهيداً فى غَزَالٍ ألوفِ ... لينِ الأعْطَافِ غيرِ عَطُوفِ
خَدُّهُ دون ظُبَا مُقْلَتَيهِ ... جنة تحت ظلال السيوفِ

وقول ابن جابر [من الرمل] :

عمل إن لم يوافق نيةً ... فَهْوَ غَرْسٌ لا يرى منه ثمر
إنما الأعمال بالنيات قد ... نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبى جعفر [من المنسرح] :

من سلم المسلمون كلهمُ ... وأمنوا من لسانه ويدهْ
فذلك المسلم الحقيقُ بذا ... جاء حديث لا شكَّ فى سَنَدِهْ

وقول ابن عبد القدوس [من البسيط] :

إذا وَتَرْتَ أمرأً فاحذَرْ عَوَاقبهُ ... من يزْرَعِ الشوكَ لم يَحْصُدْ به عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام « تعملون السيئة وترجون أن تجازوا بما يجازى به أهل الحسنات ، أجَلْ لا يجتنى من الشوك العنب »

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وقال علىٌّ فى التعازى لأشْعَثٍ ... وخَافَ عليه بعضَ تلك المآثمِ
أتَصْبِرُ للبلوى عزاءً وحِسْبَةً ... فتؤجرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ

فهو عقد قول على رضى الله عنه فى كلام عزَّى به الأشعث بن قيس في ولده وهو « إن صبرت صبر الأحرار ، وإلا سلوت سلو البهائم » .

ومن عقد الحكم قول أبي العتاهية [من الوافر] :

كفى حزَنا بدفنك ثم أنى نفَضتُ تراب قبركَ عن يدَيّا
وكانَتْ فى حياتكَ لى عِظَات وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّاً

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها فى مرثية علي بن ثابت الأنصارى ، أولها :

ألا مَنْ لى بأنْسِكَ يا أخيًّا ومَنْ لى أن أبثّكَ ماالديًّا
طَوتْكَ خُطُوب دهرك بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبه نشراً وطَيّا
فلو سَمَحَتْ بردِّكَ لى الليالى شكوت إليك مااجترَمَتْ إليا
بكَيْتُكَ يا عَلِىُّ بدرِّ عينى فلم يُغْنِ البكاء عليك شيًّا

و بعده البيتان ، والأخير منهما عقد قول أرسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى به ميتاً فى تابوت « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ،وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » .

وقول أبي العتاهية أيضاً فى المرثى أولا [من الخفيف] :

ياعلىُّ بنَ ثابتٍ بانَ منى صاحبٌ جلّ فَقْدُهُ يوم بنْتَا
قدلَعَمرى جلَبْتَ لى غصَصَ المو ت وحرّكتنى لها وسكَنْتَا[1]

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر ، فانه لما مات بكى مَنْ حضره فقال مؤدبه : « حركتنا بسكونك » .

وقول بعضهم [من السريع] :

أصلِى وفَرْعى فارَقَانِى معاً واجتُثَّ من حَبْلِهمَا حَبْلى

---

(١) حفظى فى صدر هذا البيت

* قد لعمرى حكيت لى غصص الموت *

فما بقاء الغُصْنِ في ساقِهِ   بعد ذهابِ الفَرْعِ والأصْلِ

فهو عقد قول حكيم « لقد مات أبوك وهو أصلك ، وابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟ ! » .

ومثله قول عبد الله بن عبد الأعلى النحوى [من الطويل] :

صَحِبْتُكَ قبلَ الروح إذ أنا نُطْفَةٌ   مُصَانٌ فلا يَبْدُو لخلق مَصُونُهَا

فماذا بَقَاء الفَرْعِ من بَعْدِ أصلهِ   ستَلْقى الذى لاقى الأصُولَ غُصُونُهَا

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد ، فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك ، فمنه قوله [من الكامل] :

وإذا كانت النفوسُ كباراً   تعبت فى مُرَادها الأجسامُ

عقد قول أرسطاطاليس « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها » وقوله [من الطويل] :

بذا قَضَتِ الأيام ما بين أهلها   مصائِبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

عقد قول أرسطا طاليس « الزمان ينشىء ويلاشى ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين » وقوله [من البسيط] :

والهَجْرُ أقْتَلُ لى مما أحاذِرُهُ   أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

عقد قول أرسطاطاليس « من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب » وقوله [من الطويل] :

وما الحسْنُ فى وجهِ الفتى شرفاً لهُ   إذا لم يكن فى لَفْظِهِ والخلائقِ

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوماً إلى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علماً ، فقال : « نعم البيت لو كان فيه ساكن » وقوله [من الخفيف] :

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ به   ما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

عقد قول أرسطاطاليس « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام » وقوله [من الخفيف] :

وإذا لم يكن منَ الموتِ بُدٌّ فمنَ العجز أن تموتَ جبانًا

عقد قول أرسطاطاليس « خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خَوَرٌ فى الطبيعة » وقوله [من الوافر] :

ولم أر فى عُيُوب الناس شيئاً كنقص القادرينَ على التمام

عقد قول أرسطاطاليس « أعجز العجزة مَنْ قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل » وقوله [من الطويل] :

ومن ينفقِ الساعات فى جمع ماله مخافةَ فقرٍ فالذى فعلَ الفقرُ

عقد قول أرسطاطاليس « من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم » وفى هذا القدر كفاية .

***

شاهد الحل

٢١٤ — إذا ساء فِعلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ مَا يَعتَادُهُ مِن تَوَهُّمِ

هو للمتنبى ، من قصيدة من الطويل ، قالها فى كافور الاخشيدى ، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه و إلى قلته فى نفسه ، وخسة أصله ، ونقص عقله ، ولؤم كفه ، وقبح فعله — ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه ، و بادر وخرج ، فأحس كافور بذلك ، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله ، وقال له : يا أبا الطيب ، مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : أصاب فرسى جرح خفته عليه ، وماله خلف إن تلف ، فعاد إلى كافور فأخبره ، فحمل إليه مهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، وأولها :

فِرَاقٌ ومن فارَقْتُ غيرُ مذممٍ وأمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزلُ اللذاتِ عندى بمنزلٍ إذا لم أبَجَّلْ عندَهُ وأكرَّمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً منَ الضيم مَرْمياً بها كلُّ مخرمِ
رَحلتُ فكم باكٍ بأجفان شادنٍ علىَّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
وما ربة القرط المليح مكانه بأجزعَ منْ ربِّ الحسام المصممِ
فلو كانَ ما بى من حبيب مقنع عَذرْتُ ولكن من حبيب معمّمِ
رَمى واتقى رَميِى ومن دُونِ ما اتقى هوًى كاسرٌ كفِّى وقوسى وأسهمى

و بعده البيت ، و بعده :

وعادَى مُحبيهِ بقولِ عُدَاتهِ وأصبحَ فى ليلٍ منَ الشك مُظلمِ

إلى أن يقول فيها :

وماَ كلُّ هاوٍ للجميل بفاعلٍ ولاَ كلّ فعَّال لهُ بمتممِ
فِدًى لأبى المسك الكرامُ فإنها سوَابقُ خيل يهتدينَ بأدْهمِ
أغرّ بمجدٍ قدْ شخصنَ ورَاءهُ إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطهمِ
إذا منَعتْ منكَ السياسةُ نفسهَا فقفْ وَقفةً قُدَّامهُ تتعلمِ
يضيق على منْ راءهُ العذر أن يرى ضعيف المساعى أو قليل التكرّمِ
ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلا من يقول لها اقدمى
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لهَوَاتِ الفارس المتلثمِ
أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزا يخضب البيض بالدم
وَيوماً يغيظ الحاسدينَ وَحالة أقيمُ الشقا فيها مَقامَ التنعمِ
ولم أرْجُ إلا أهلَ ذَاكَ ومَنْ يُرِدْ مَوَاطرَ منْ غيرِ السحائب يظلمِ

قال أبو الفتح بن جنى : أومأ إلىَّ أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم فى قصده كافوراً .

فلولم يكنْ فى مصر ماسرْتُ نحوَهَا بِقلبِ المشُوقِ المستهام المتيم
ولا نبحتْ خيلى كلابُ قبائلٍ كأنّ بها فى الليل حَملاتِ دَيلمِ
ولا اتبعت آثارنا عينُ قائفٍ فلم ترَ إلا حافراً فوقَ منسمِ
وسمنا بها البيداءَ حينَ تَغَمَّرتْ منَ النيل واستذرت بظل المقطَّمِ
وأبلج يَعْصِى باختصاصى مُشيرَهُ عصيتُ بقصْديه مُشيرى ولُومى
فساقَ إلىّ العرْفَ غير مكدّر وسُقتُ إليه الشكرغير مجمجم
قداخترتكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا حديثاً فقد حكمتُ رأيك فاحكمِ
فأحسنُ وجهٍ فى الورى وجهُ محسنٍ وأيمنُ كف فيهمُ كفُ منعمِ
وأشرَفهم مَنْ كان أشرف همةً وأكثرَ إقداما على كل مُعْظَمِ
لمنْ تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرورَ محبّ أوْ مساءة مجرمِ

ثم لمـا خـرج من عنده بعـد إنشاده القصيدة بكمالهـا ، قال يهْجـوه [من السريـع] :

أنوكُ من عبدٍ ومن عرسِهِ منْ حكم العبدَ على نفسهِ
وإنمـا يظهرُ تحكيمـهُ ليحكم الافساد فى حسهِ
مامَنْ يرَى أنك فى وعدهِ كمن يرَى أنكَ فى حَبْسهِ
العبـدُ لا تفضل أخلاقهُ عَنْ فرْجهِ المنتن أوضرْسهِ
لا ينجز الميعـادَ فى يومهِ ولا يفى ما قالَ فى أمسهِ
وإنمـا تحتال فى جَذْبهِ كأنكَ الملاحُ فى قلسهِ
فلا ترجّ الخيرعندَ امرىء مرّت يدُ النخاس فى رَأْسهِ
وإن عَراكَ الشكُّ فى نفسهِ بحالةٍ فانظر إلى جنسـهِ
فقلمـا يَلؤمُ فِى ثَوْبـهِ إلا الذى يلؤمُ فِى غرْسهِ

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (١)

ومعنى البيت : إذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه ، فيسىء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم

والشاهد فيه : الحلّ ، وهو نثر النظم ، وقد استشهد به على ماحله بعضُ المغاربة بقوله « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده »

وذكرت بقوله « حنظلت نخلاته » قول الشريف أبى الحسن الموسوىّ ، من قصيدة يفتخر فيها ، وهو [من الطويل] :

بنو هاشم عينٌ ونحنُ سَوَادها على رغْم من يأبى وأنتم قَذَاتها

وأعجبُ ما يأتى به الدهرأنكم طلبتم عُلًى ما فيكُمُ أدوَاتها

وأمّلتمُ أنْ تدركوها طوَالعاً دَعُوها ستسعى للمعالى سُعَاتها

غرسْتُ غروساً كنت أرجو لقَاحها وآمُلُ يوْماً أن تطيبَ جَنَاتها

فإنْ أثمرت لى نلتُ ما كنتُ آملاً ولاذنب لى إنْ حنظَلَتْ نخلاتها

وروى عن إبراهيم بن العباس الصولىّ أنه قال : ما اتكلت قط فى مكاتباتى إلا على ما يجلبه خاطرى ، أو يجيش به صدرى ، إلا قولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهجٍ كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أمل

وقولى : « قد صار ما يحرزهم يبرزهم ، وما يعقلهم يعقلهم » فانى حللت فيه قول أبى تمام [من الطويل] :

فإنْ بَاشَرَ الأصْحَارَ فالبيضُ وَالقَنَا

قرَاهُ وأحــــواضُ المنَايَا مناهلُهْ

(١) القنس — بكسر القاف ، وقد تفتح — الأصل .

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
أُولَئِكَ عُقَالاَتُهُ لاَ مَعَاقِلُهْ

قال ابن أبى الأصبع : ومن ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز (يَعملونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) فإن ذلك حلّ قول امرىء القيس [من مجزوء الرمل] :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِى

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة ، وأن امرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به

قلت : وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رُوَاته ، فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى ، والله تعالى أعلم .

* * *

شاهد التلميح

٢١٥ — فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كانَ فِى الركبِ يُوشَعُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغرى ، أولها :

أَمَا إِنَّهُ لَوْلاَ الخليط المودّعُ وَرَبْعٌ عفا منه مصيف وَمَرْبَعُ
لَرُدَّتْ على أعقَابِهَا أَرْيَحِيَّةٌ مِنَ الشوقِ وَادِيهَا مِنَ الدمعِ مُتْرَعُ
لحقنَا بأُخْرَاهُمْ وقدْ حَوَّمَ الهوَى قلوبًا عهدنَا طيرَهَا وهىَ وُقَّعُ[1]
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشمسَ والليلُ رَاغِمٌ
بِشَمْسٍ بَدَتْ مِنْ جانبِ الخدر تطلُعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجنةِ وانْطَوَى
لِبَهجتِهَا ثوبُ السماءِ المجزَّعُ

(١) فى أصول الكتاب « وقد خذم الهوى » وأثبتنا ما فى الديوان .

و بعده البيت، و بعده :

وعهدِى بهاتُحْيِى الهوَى وتميتُهُ   وتَشْعبُ أعْشار القلوب وتصدَعُ

وَأقرعُ بالعتبي حُمَيَّا عِتَابِهاَ   وقدْتستقيدُ الراح حين تشعشعُ

وتَقفُولِىَ الجدْوَى بجدْوَى وَإِنما   يرُوقكَ بَيْتُ الشعرِ حين يُصَرَّعُ

والشاهد فيه : التلميح ، وهو : أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام إلى قصة أو شعر ، أو مثل سائر ، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون ، فتى موسى — عليهما السلام ! — واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتلَ الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وخرّج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أنْ يبنى بها ولم يبن بها ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفهُ ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها ، قال : فغزا القرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » .

وقد تطرّف الرصافىُّ البلنسى بتلميحه بهذه القصة ، فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات ، أولها [من الكامل] :

مامثلُ موضعك ابنَ رِزْقٍ مَوْضِعُ
زَهْرٌ يَرِفُّ وَجَدْوَلٌ يتدَفَّعُ

يقول فيها :

وَعَشيَّةٍ لَبِسَتْ رِدَاءَ شُحُوبِهاَ   والجوُّ بالغيم الرّقيقِ مُقنعُ

بلغَتْ بنا أمَدَ السرُور تألقـاً والليـــلُ نحو فراقنا يتطلّعُ

فابْلُلْ بها رَمقَ الغبُوقِ فقد أتى من دُون قرص الشمس مايتوقعُ

سقطتْ ولم يملك نديمكَ رَدّها فوددْتُ ياموسَى لوَ انكَ يُوشَعُ

وقد قال ابن مرج الكحل فيها ينحو هذا المنحى، وأشار إلى قصة الرصافى هذه [من الكامل] :

حفَلَ المسَاء وَللنسيم تضوُّعُ والأنسُ ينظمُ شملنا وَيُجمّعُ

والزهرُ يضحَكُ عن بكاء غمَامَةٍ ربعتْ بشيم سيوفِ برقٍ تلمعُ

فانعمْ أبا عمرانَ واْله برَوْضةٍ حَسُنَ المصيفُ بهَا وطابَ المرْبعُ

ياشَادِنَ البَانِ الذى دُونَ النقا

حيثُ التقى وَادِي النقَا وَالأجرَعُ

الشمسُ يغربُ نورُهَا ولرُبمـا كَسفت ونورُكَ كل حين يطلعُ

أفلَتْ فنَابَ سنَاكَ عنْ إشراقِهَا وجلاَ مِنَ الظلماء ما يتوقعُ

فأمِنتُ يا موسى الغرُوبَ وَلَم أقُلْ

(فَوَدِدْتَ يا مُوسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ)

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعرى حيث قال [من الوافر] :

فلوْ صح التناسخ كنتَ موسَى وكانَ أبوكَ إسحاقَ الذبيحاَ

ويوشعُ رَدَّ يوحاً بعضَ يوم وأنتَ متى سفرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

ويوح ويوحى — بياء بن مثناتين من أسفل — من أسماء الشمس .

وقال كثير من اللغويين : إنهما بالباء الموحدة ، وكذا رواه أبو على البغدادى، والصحيح الأول .

ويروى أن المعرّى اعترض عليه فى هذه اللفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسِّن

فاحتج عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ، فقال : هذه نسخ مُحْدَثَةٌ غيرها شيوخكم ولـكن أخرجوا مافى دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

وقد لمح ابن قلاقس إلى هذه القصة أيضا بقوله [من الطويل] :

ومنتصر فى منع مقلوب عقربٍ بما تحته من لسع مقلوب برْقُعِ

أبَتْ شمسهُ إلا الغروبَ وقد سَما بها كَلَفِى منْ كل عضو بيوشعِ

وابن مطروح ، بقوله [من الطويل] :

وماَ أنسَ لاَ أنسَ المليحةَ إذْ بدَتْ

دُجًى فأضاءَ الأفقُ منْ كلِّ موْضعِ

فحدَّثتُ نفسى أنهاَ الشمْسُ أشرَقَتْ

وأنِّىَ قَدْ أوتيتُ آيـــةَ يُوشَعِ

والملك الناصر داود بقوله ، يرثى الامام المنتصر بالله ، ويمدح المعتصم ، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أقامَ منارَ الدين بعدَ اعوجاَجهِ وشَيَّدَ واهى الدينِ بعدَ التضعضعِ

باقدَامِ منصورٍ وعزمَـةِ قادرٍ وَسـيرَةِ مهدِىٍّ وَإخبات طَيِّعِ

به رجعَتْ شمسُ المكارمِ والعلا كما رَجعتْ شمسُ النهار ليُوشَعِ

ونصر بن أحمد الخبزأرزى ، بقوله من قصيدة [من البسيط] :

وَلَّى فأقبلتِ الأردافُ لاَعبةً كما تلاعبتِ الأمواجُ فى اللجج

ثم انثنى بانعطافٍ منهُ ملتفتاً كما ثَنَى نَفساً خوف الرقيب شَجِى

كأنَّ يوشعَ رَدَّ الشمْسَ ثانيةً عنـدَ التفاتتِهِ نحوى بمنعرجِ

وابن اللبانة ، بقوله [من الطويل] :

بكَتْ عندَ توديعى فما علم الركبُ أذَاكَ سقيطُ الطلِّ أم لؤلؤ رطبُ

أتابعها سرْبٌ وَإنى لمخطىء نجُومُ الدياجى لا يقال لها سربُ

لئنْ وقفَتْ شمسُ النهار ليوشع لقد وقفَتْ شمْسُ الهوَى لى والشُّهْبُ

وقد لمح إليها حازم فى مقصورته ، فقال [من الرجز] :

وكم رأتْ عينى نقيض ما رأتْ ... من اطلاع نورها تحتَ الدُّجى

فيالَهَا من آيةٍ مبصرةٍ ... أبصرها طرفُ الرقيب فامترَى

وَاعتورَتهُ شبهة فَضلَّ عنْ ... تحقيق ما أبصرهُ وَما اهتدَى

وظنَّ أنَّ الشمْسَ قد عادَتْ لهُ ... فانجَابَ جنحُ الليل عنها وانجلىَ

والشمسُ ما رُدَّتْ لغير يوشع ... لمـا غزَا وَلِعــلىّ إذْ غَفَا

فلمح إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام ، ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبر ذلك مارواه الطحاوى عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وَسلم كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ ، رضى الله عنه ! فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصليت ياعلىّ ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعد ماغربت ، ووقعت على الجبال والأرض .

ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المَرْوَزِىّ الواعظ جلس يوما ما بالناجية ببغداد بعد العصر ، وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ، وأخذ فى ذكر فضائله ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت ، فأومأ إليها وارتجل [من الكامل] :

لا تغرُبى يا شمس حتى ينتهى ... مَدْحى لآل المصطفى ولنجله

واثنى عنانك إن أردتِ ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجلهِ

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات ، فلايدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الأموال والثياب .

ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز [من الخفيف] :

أَتَرَى الجيرَةَ الذين تَدَاعَوْا عندَ سيرِ الحبيبِ وقتَ الزوالِ

علموا أنني مُقِيمٌ وقلبي رَاحِلٌ فيهمُ أمامَ الجمالِ

مثلُ صاعِ العزيزِ في أرْحُلِ القَوْ مِ ولا يعلَمُونَ ما في الرِّحالِ

ما أعزَّ المعشُوقَ ما أهْوَنَ العا شِقَ ما أقتَلَ الهوَى للرجالِ

أشار إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه ، و إخوته لم يشعروا بذلك .

وقول أبي نصر محمد الأصفهاني في ذم مملوك [من الطويل] :

بُليتُ بمملوكٍ إذا ما بعثتُهُ لأمرٍ أعيرَتْ رجله مِشْيَةَ النملِ

بليدٍ كأن الله خالقَنَا عَنى بِهِ المثَلَ المضرُوبَ في سورةِ النَّحْلِ

يشير إلى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ـ الآيات) .

ومنه ما ذكره أبو بكر بن الأبّار في تحفة القادم أن أبا بكر الشبلي جلس يوماً على نهر شبل بالجسر ، فتعرضه بعض الجواري للجواز ، فلما أبصرته رجعت بوجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها ، فقال أبو بكر المذكور [من الكامل] :

وعقيلةٍ لاحَتْ بشاطيء نَهْرِها كالشمس طالِعَةً لدى آفاقِهَا

فكأنها بَلْقِيسُ وافَتْ صَرْحَهَا لو أنها كَشَفَتْ لنا عن ساقِهَا

حورية قمرية بدوية ليس الجفَا والصد من أخلاقِهَا

قال التيجاني في كتابه تحفة العروس : و يمكن تغيير البيتين الأولين بأن يقال [من الكامل] :

وعقيلة لاحت بشاطي نهرها كالشمس تتلو في المشارق صُبْحَهَا

لو أنها كشفت لنا عن ساقها لحسبتها بلقيس وافت صرحها

يشير إلى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام (قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ـ الآية)

ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى [من البسيط] :

يُسَرُّ بالعيدِ أقوامٌ لهم سَعَةٌ من الثراء وأما المقترُون فلاَ

هل سرنى وثيابى فيه قومُ سبَا أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلاَ

يشير إلى قوله تعالى عن قوم سبأ (ومزقناهم كل ممزق) وإلى قول الرياحى [من الوافر] :

أنا ابْنُ جَلاَ وطلاع الثَّنَايا متى أضع العمامة تعرِفُونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم [من المقتضب] :

يا بَدْرُ أهلكَ جارُوا وعلموك التجرِّى

وقَبَّحُوا لك وَصلى وحَسَّنُوا لك هَجْرِى

فلْيَفْعَلوا ما يشاءوا فإنهُمْ أهلُ بدر

يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم »

ومنه قول السراج الوراق [من الطويل] :

ومن فرْط فقرى واحتياجِى بعدكم وبذل مُحَيّا بالحياء مُسَتَّرِ

أكلْتُ حِماراً طال ماقدْ ركبتهُ كأنى لم أسمع بأخبار خيْبَرِ

يشير إلى تحريم لحوم الحمر الأهلية فى غزوة خيبر .

***

من شواهد التلميح

٢١٦- لعَمْرٌو مع الرَّمْضَاء والنار تَلْتظى أرَقُّ وأحفى منك فى ساعةِ الكَرْب

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل .

والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأحفى : من حَفِيَ بفلان ، إذا بالغ فى إكرامه ، وأظهر السرور والفرح ، وأكثر السؤال عن حاله

والشاهد فيه : التلميح إلى البيت المشهور ، وهو [من البسيط] :

المستَجيرُ بعَمْرٍو عند كُرْبَتِهِ كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنارِ

وهو من البسيط ، ولا أعرف قائله .

وعمرو : هو ابن الحارث ، ولهذا البيت قصة ، وهى أن البَسُوس بنت سعد خالة جَسَّاس بن مرة كان لها جار من جَرْم ، يقال له : سعد بن شمس ، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب ، وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية فى مستقبل الربيع ، فلم يكن يرعاها أحد إلا جَسَّاس لمصاهرة بينهما ، لأن جليلة بنت مرة أخت جَسَّاس كانت تحت كليب ، فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع إبل جساس ، فأبصرها كليب ، فأنكرها ، فرماها بسهم فأصاب ضَرْعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودما ، فلما نظر إليها صاح : واذُلاه وذل جاراه ، فخرجت جارته البسوس ، فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت : واذُلَّاه ، وقالت [من الطويل] :

لَعَمْرِىَ لو أصْبَحْتُ فى دار مُنْقِذٍ لما ضِيمَ سَعْدٌ وهو جارٌ لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غُرْبَةٍ متى يعد فيها الذئب يَعْدُ على شاتى

فياسعد لاتُغْرَرْ بنفسك وارتَحِلْ فانك فى قَوْمٍ عن الجار أمواتِ

فسمعها جساس فقال : اسكتى أيتها المراة فليقتَلَنَّ جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل جساس يتوقع غِرَّةَ كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً

فتباعد عن الحى ، وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ، ثم أدركه عمرو بن الحارث ، فقال : ياعمرو أغثنى بشربة ماء ، فقال: تجاوزتَ شُبَيْثاً والأحصَّ ، يعنى موضع الماء ، وأجهز عليه ، فقيل * المستجير بعمرو — البيت * ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، حتى قتل أكثر بكر ، وكانت الغلبة لتغلب عليهم ، قال ابن إسحاق: كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة .

ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر [من المنسرح]:

ولى شفيعٌ إليك شرَّفنى إيجابه لى وزادَ فى قدْرى
نبَّهْتُ منه لحاجتى عمْراً ولم أعوِّلْ فيه على عمْرِو

يريد بالشطر الأول قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتْكَ حروب العِدَى فنبِّهْ لها عمَراً ثمَّ نم

و بالثانى البيت المار .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف ابن أبى دلف هرب إلى عمرو بن الليث ، وهو يومئذ بخراسان ، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى ، فأنشده [من البسيط] :

يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم فجللوا وَجْهَه قاراً بذى قار
دَوَّخْ خراسان بالجرد العتاق و بالبيض الرقاق بأيدى كلِّ مِسْعَار
يامَنْ تيمَّمَ عمرا يَسْتَجيرُ به أمَا سمعْتَ ببيت فيه سيَّار
(المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار)

فسر أحمد بذلك وسُرِّىَ عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة .

وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار .

وأنشد المبرد لأبي كريمة البصري يقول لعمرو الجاحظ [من البسيط] :

لم يظلم الله عمراً حين صيّره من كل شيء سوى آدابه عارِ

بَتَّتْ حبال وصالي كفُّه قُطِعَتْ لما استعنت به في بعض أوطاري

فكنت في طلبي من عنده فرجاً كالمستجير من الرمضاء بالنار

إني أعيذك والمعتاذ محترس مِنْ شُؤْم عمرو بعز الخالق الباري

فان فعلتَ فحظ قد ظفرتُ به وإن أبيتَ فقد أعلنت أسراري

وما أحسن قول السراج الوراق مشيراً إلى ذلك [من البسيط] :

مالي أرى عُمَراً أني استجرتُ به قد صار عَمْراً بواوٍ فيه وانصرفا

ونامَ عن حاجةٍ نبهتُه غلطاً لها فألفيتُ منه السهد والأسفا

والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به فما أزيدك تعريفاً بما عُرِفا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

أقمتَ المطامعَ من نومها ونمت فمن ذا بهذا حكم

وحاشاك تسمعُ في مثلها فنبه لها عُمَرًا ثم نَمْ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

لا عدمتك حاجةٌ حمّلتَ عني كلها

قد نامَ عنها عُمَرٌ وأنت يقظانُ لها

ومن لطيف مجونه في تضمين هذا المعنى قوله [من المتقارب] :

نشطت لسُرَيْتِي فانثنى متاعىَ من بعدِ ما قَدْ عزَمْ

فقلت: تنامُ ولى مُقْلَةٌ مُسَهَّدَةٌ ؟ مَنْ بهذا حكم ؟

فقال: أما قال بَشَّارُكم فنبه لها عمراً ثم نم

ومنه قول الصفى الحلى فى رجل اسمه أحمد كان يرمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر [من المتقارب] :

توالت على أحمد أُبْنَةٌ فأقبلَ يشكو إلىَّ الألمْ

فقلتُ له إنها فِتْنَةٌ فنبه لها عُمَراً ثم نَمْ

وقد عكس هذا المعنى بقوله [من السريع] :

أنا الذى خالفْتُ كلَّ الورى فى خبرٍ أَثْبَتَهُ الوَقتُ

لما أتانى عُمَرٌ زائراً أنمتُهُ ثم تَنَبَّهْتُ

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

بينى و بين الحظ داجيةٌ عمياء لا نجمٌ ولا شَجَرُ

لا يُهْتَدَى فيها ولو طَلَعَتْ فى أفقها أخلاقُكَ الغرَرُ

وأرى وحاشاكَ الكرامَ وما لى عِنْدَهم ظل ولا ثمرُ

لو أننى نَبَّهْتُ فى وطَرٍ عمراً لماتَ من الكرَى عمَرُ

ومن التلميح قول بشار [من البسيط] :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبرٌ والدهر ما بين إنعَام و إيآس

يشير إلى قصة امرى القيس ، وقد بلغه أن أباه قتل ، وكان يشرب فقال : اليوم خمر ، وغداً أمر .

ومن مجون التلميح قول ابن حجاج [من الطويل] :

غضبَت صباح وقد رأتنى قابضاً أيرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله إلا ما لطمتِ جبينهُ   حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينَهُ   فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح [من الوافر] :

وعندى من لوَاحِظِها حديث   يُخبِّرُ أن ريقتَها مُدَامُ
وفى أعطَافِها النَّشوَى دليل   وما ذقنَا ولا زعمَ الهمَامُ

يشير إلى قول النابغة [من الكامل] :

زعمَ الهمام بأن فاها باردٌ   عذبٌ مقبَّلُهُ شهىُّ الموْردِ
زعمَ الهمام ولم أذقهُ أنهُ   عذب إذا ما ذقتهُ قلت ازدد

وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور ، فقد روى أنه وعده بجائزة ثم نسى ، فحجَّا معا ، ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة ، فقال الهذلى : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص [من الكامل] :

يا بَيْتَ عاتكةَ الذى أتعَزَّلُ   حذَرَ العدى وبهِ الفؤاد موكلُ(١)

فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ، ثم أمرَّ القصيدة على باله ليعلم ما أراد ، فاذا فيها :

وأراكَ تفعَلُ ماتقولُ وبعضهم   مَذِقُ اللسانِ يَقولُ مالا يَفعَلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به ، فأنجزه له

ومثله ما حكى أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبي وشرح ديوانه وسماه

(١) وقع فى المطبوعتين « يابيت عاتكة التى أتقرل » محرفا عما أثبتناه

« معجز أحمد » فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبي فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله [من الكامل] :

* لكِ يا منازل فى القلوب منازلُ *

لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر بسحْبِه و إخراجه(١) ، وقال للحاضرين : أتدرون ماعنى هذا بذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا ، قال: عنى به قول المتنبي [من الكامل] :

وإذا أتتْكَ مَذمتى من ناقِص فهىَ الشَّهادةُ لى بأنى فاضلُ

ومن التلميح بهذا البيت بعينه ماحكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه « رَمدعين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرَّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل لا يتطهر من جنَابه ، ولا يُظهِرُ مخائل إنابه » فبلغ ابنَ الصائغ انتقاصه له ، فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح ، وقال له : شهادة يافتح ، ومضى ، فلم يَدْر أحدٌ ما قال إلا الفتح ، فتغير لونه ، فقيل : ماقال لك ؟ فقال : إنى وصفته بما تعلمون فى كتابى ، فما بلغت بذلك عُشْرَ ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى قول المتنبي [من الكامل] :

وإذا أتتْكَ مذمتى من ناقص فهىَ الشهادة لى بأنى فاضلُ

ومن هذا القبيل قصّة السَّرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبَب المتنبى أيضاً ، فانهما كانا من مُدَّاحه ، فجرى ذكر المتنبي يوماً فى مجلس سيف الدولة ، فبالغ فى الثناء عليه ، فقال السرى : أشتهى أن الأمير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ، ويتحقق بذلك أنه أرْكَبَه فى غير سَرْجه ، فقال له سيف الدولة : عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « وأمر بسجنه وإخراجه » وليس بشىء ، ومن أين للمرتضى أن يأمر بالسجن ؟ !

لِعينيْكِ ما يَلْقى الفؤادُ وما لقى   وللحبِّ مالم يبق منى ومابقى

قال السرى : فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته ، لكن رأيته يقول فيها :

إذا شاء أن يَلهو بلِحيْةِ أحْمَق   أراهُ غُبَارى ثم قال لهُ الحقِ

فعلمت أن سيف الدولة إنما أشار إلى هذا البيت ، فأحجمت عن معارضته

ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى العباس بن أبى طالب رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

وكم ليلةٍ نلتُ فيها الْمُنَى   وبات لى الحبُ فيها نجيًّا

إذا ضلّ لَحْظِىَ فى جُنْحها   هدَتْ وجنَتَاه الصِّرَاط السويًّا

أراع فأسأل عن صُبْحِهـا   فيرجع لى جُنْحها ثم هَنيًّا

إلى أن بَدَالىَ سِرْحانُها   يُحاول للجَدْى فيهـا رقيًّا

فيا لك من ليلةٍ شبَّهها   أنادمُ بدرَ دُجاها البهيَّا

حكت ليلة السفح فى حُسنِها   فأصبَحْتُ أحكى الشريفَ الرضيَّا

يشير إلى قول الشريف الرضى رحمه الله تعالى فى قصيدته البديعة المشهورة وهو [من البسيط] :

ياليلة السَّفح هلاّ عُدْتِ ثانيةً   سقى زمانكِ هطّال من الدِّيَم

وأمستِ الريح كالغيْرَى تجاذِبنا   على الكثيبِ فضُول الرَّيطِ واللمَم

يَشِى بنَا الطيبُ أحياناً وآونة   يُضيئنا البرقُ مجتازاً على إضَم (١)

وباتَ بارِقُ ذاك الثغْر يوضحُ لى   مَواقع اللثم فى داج من الظُّلَم

وبيننا عفّة بايعتها بيدِى   على الوفاء لهـا والرَّعىِ للذمم

وبَلّ الطَّلّ بُرْدَيْنا وقد نَسمَتْ   رويحة الفجر بين الضال والسَّلَم

(١) فى المطبوعتين « يشوبنا الطيب » وأثبتنا ما فى الديوان .

وأكتمُ الصبحَ عنها وهى غافلة حتى ترنمَ عصفورٌ على عَلَمِ
فقمْتُ أنفُضُ برداً ما تعلّقَهُ غيرُ العفافِ وراء الغيْبِ والكرَمِ
وألمَسَتْنى وقد جدَّ الوَدَاعُ بنا كفًّا يشيرُ بقضْبانٍ مِنَ العنمِ
وألثمتنى ثَغراً ماعدلْتُ به أرْىَ الجنى ببنات الوَابِلِ الرذم
ثم انثنينا وقد رَابَتْ ظواهرُنا وفى بواطننا بُعْدٌ عن التهم

ومن لطائف التلميح قول أبى فراس من أبيات [من الطويل]:

وقال أصيْحَابى الفِرارُ أو الردى فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرٌّ
ولكننى أمضى لمالا يَعيبنى وحسْبُكَ من أمرين خيرهما الأسْرُ
ولا خير فى دفع الردى بمذلةٍ كما ردها يوماً بِسَوْأتِهِ عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضرب به على رضى الله عنه يوم صفين ، فاتَّقاه بسوأته كاشفاً عنها ، فأعرض وقال : عورة المرء حمى ، وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع على رضى الله عنه كما وقع لعمرو ، وكان مع معاوية بصفين أيضا ، فأمره أن يلقى عليا ، وقال له : سمعتك تتمنى لقاءه ، فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى ، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه ، فقصده فى الحرب ، والتقيا ، فصرعه على ، فكشف عن سوأته ، فتركه ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، وكان عدواً لعمرو وبشر [من الطويل]:

أفى كل يوم فارسٌ ليس ينتهى وعورَته وَسْطَ العَجاجةِ بادِيَهْ
يكف بها عنهُ علىٌّ سنانه ويضحكُ منهُ فى الخلاء مُعَاوِيَهْ
بدَتْ أمس من عمرو فقَنّعَ رأسه وعَوْرة بشر مثلها حذو حاذِيَهْ
فقولا لعمرو ثم بشر: ألا انظرا سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيَهْ
ولا تحمدَا إلا الحيَا وخُصَاكما هُمَا كانتا والله للنفس واقيَهْ
فلوْلا هُمَا لم تنجيَا من سنانِهِ وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيَهْ

متى تَلْقَيا الخيلَ المشيحةَ صُبْحَةً   وفيها عليٌّ فاتركا الخيلَ ناحيَهْ

وكونا بعيداً حيثُ لاتدرك القنا   نحورَكما إن التجارب كافيَهْ

ومن التلميح البديع قول أبي فراس أيضاً [من الطويل] :

وقد عاست أمى بأن مَنِيَّتى   بحد سِنَانٍ أو بحدّ قضيبِ

كما علمت من قَبْلِ أن يغرق ابنُها   بمُهْلِكهِ فى الماء أمُّ شبيبِ

يشير إلى ما رأته أم شبيب الخارجي فى منامها وهى حامل به من أن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ، ثم وقعت فى ماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها غير مرة لم تصدق ، حتى قيل لها : إنه قد غرق ، فصدّقت ، وأقامت المَنَاحة عليه .

14

ومن بديع التلميح ما حكى أن عبدالرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضى الله عنه الشام ، وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص ، فوجّهه أخوه وقال له : القه أمامى ، فعاتِبْه لى واستصلحه ، فلما قدم دخل عليه وهو يُعشى الناس ، فأنشأ يقول [من الوافر] :

أتتكَ العيسُ تنفخ فى براها   تكشف عن مَنَاكِبها القُطُوعُ

بأبيضَ من أمية مضرحيٍّ   كأن جبينَهُ سيف صنيعُ

فقال له معاوية: أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا ؟ فقال : أىَّ ذلك شئت، فقال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية رضى الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذى عَنَّ له ، فقال: على أى الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرس ، قال : ما صفته ؟ قال : أجش، هزيم ، يعرض بقول النجاشى له [من الطويل] :

ونجَّى ابنَ حربٍ سابحٌ ذو عُلالة   أجَشُّ هزيمٌ والرماح دَوَانى

إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تَنَالُه   مَرَتْه به الساقانِ والقَدَمانِ

فغضب معاوية رضى الله عنه ، وقال : أما إنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى

الريب ، ولاهو ممن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ماحملك على عزل ابن عمك ؟ ألخيانة أوجبت سخطا أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقى أخاه مَرْوَان ، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبدالرحمن : قبحك الله ! ما أضعفك ! عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه ، ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضى الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك ، قال : لاها الله مازرتك لذلك ، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بنى عبدشمس لآل أبى العاص بِصِهْر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يابنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أَثَرَةً وسوء صنيعة وقبح قطيعة ، فرُوَيْدًا رويداً قد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا وعشرين ، و إنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم أمْرُوَان يكون منهم حينئذ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية رضى الله عنه : عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك : إحداها أنى أمرتك على عبدالله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زَوْجها عمرو بن عثمان رضى الله عنهما فلم تُعْدِها ، فقال له مروان : أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقفه ، وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه ليأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان رضى الله عنهما فما أكشف لها

ثوبا ، يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للنكاح ، فقال له معاوية رضى الله عنه : يا ابن الوَزَغ لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشرَة وأخو عشرة وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يكملوا العِدة ، يعنى أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى ، فانخزل معاوية رضى الله عنه ، ثم قال مروان [من الوافر] :

فانْ أكُ فى شِرَارِكم قليلاً فانى فى خيارِكُمُ كثيرُ
بُغَاثُ الطير أكثرهَا فراخاً وأمُّ الصقرِ مقلاةٌ نَزُورُ(١)

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية فى يده ، وخضع ، وقال : لك العتبى وأنا رَادُّك إلى عملك ، فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتنى عائداً إليه أبداً ، وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادْنُ منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم ابن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أمِّ حبيبة لما زفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحْدَدْتَ النظر إلى الحكم ، فقال : ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف : لايسمعن هذا منك أحد ، فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وعلا أمراً يكن ، فقال له معاوية رضى الله عنه : فاكتمها على يا أبا بحر إذا فقد لعمرى صدقت ونصحت .

ومن ظريف التلميح أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بُردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ،

---

(١) فى المطبوعتين « بقاث الطير أكثرهم » وليس بشىء .

فدخل الحاجب فأخبره به ، فقال : اخرج فقل له : حمزة بن بيض بن من ؟ فقال له: ادخل فقل له: الذى جئت إليه بنيار الحمام وأنت أمْرَدُ تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر ، فشتمه الحاجب ، فقال له: ما أنت وذاك ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك قبحه الله ؟ فقال: ما كنت أخبر الأمير بما قال ، فقال: يا هذا أنت رسول فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل، فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته ، وأراد بلال بقوله بيض ابن مَنْ قول القائل [من البسيط]:

أنتَ ابنُ بيضٍ لَعَمْرِى لست أنكره فقدْ صدقتَ ولكن مَنْ أبو بيضِ

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان ، وكان يعبث به كثيراً فوجه إليه رسوله ليلة وقال : ائتنى به على أى حالة وجدته ، فهجم الرسول عليه فوجده داخلا إلى الخلاء ، فقال: أجب الأمير، فقال : ويحك ! أكلت كثيراً ، وشربت نبيذاً حلوا وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، فأخذه وأتى به إليه ، فوجده قاعداً فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور ، فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه ، فعرضت له ريح فسيبها ظناً أن البخور يسترها ، قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها النتن ذلك الند، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىّ عهد الله والمشى والهَدْى إن كنت فعلتها وما فعلها إلا الجارية ، فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ماهذا ويلك أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، وهذه اليمين تلزمنى إن كنت فعلتها ، ماهو إلا عمل هذه الجارية ، فقال : ويلكِ ! ماقصتكِ ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، فأطرقت ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال : يا حمزة

خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت على ليلتى ، فأخذت بيدها ، وخرجت ، فلقينى خادم فقال لى : ماتريدأن تصنع ؟ فقلت: أمضى بها، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بُغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه ثلثمائةدينار فخذها ودع الجارية ، فقلت : والله لانقصتك عن خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ماقلت لك، قال : فأخذتها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لايضرك ولعله ينفعك ، فقلت : وماهو ؟ قال : تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك ، فقلت : هاتها ، ودخلت ، فلما وقفت بين يديه قلت : لى الأمان أيها الأمير، فقال : قل، فقلت : أرأيت تلك الليلة وما جرى من الفسوات ؟ قال: نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فَسَاهُنَّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، قال : فلم ويلك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمت وقضيت حاجتى، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعنى رسولك من دفع أذاى، قال: وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسر به ، وأمر لى بمائتى دينار أخرى ،وقال : هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية

ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى [من الطويل] :

لئن فَخَرَت يوماً تميمٌ بقوسها وزَادَتْ على ما وَطَّدَت من مَنَاقِبِ[1]
فأنتم بذى قار أمالَتْ سيوفُكم عروشَ الذين استرْهَنُوا قوسَ حاجبِ

يشير إلى قصة حاجب بن زُرارة حين أتى كسرى فى جَدْب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال : إنكم معاشِرَ العرب ذوو غَدْر وحرص ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، فقال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا ، فقال: ومن لى بأن تفى ؟ فقال: أرهنك قوسى ، فضحك مَنْ حوله ، فقال كسرى: ما كان ليسلمها

(١) فى المطبوعتين « نجارا على ما وطدت » وأثبتنا ما فى الديوان

أبداً ، فقبلها منه وأذن لهم، ثم أحيي الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم ، وقدمات حاجب ، فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فردها وكساه حلة ، فلما رجع أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم .

ويشير فيه أيضاً إلى وقعة ذى قار المشهورة ، وكانت بين الفرس والعرب ، وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولما بلغه خبرها قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا .

وعن ابن عباس قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا » .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعا لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس .

ويروى أنه قال « إيهاً بنى ربيعة » فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يارسول الله وَعْدَكَ ، فاذا دعوا بذلك نصروا .

وقد لمح إلى ذلك المطرانى بقوله [من المنسرح] :

تَزْهو علينا بقَوْس حاجبها زَهْوَ تميم بقوس حاجبها

وقد لمح إلى ذلك الصفدى فقال مُوَرِّيا فى مليح قلندرى حلق حاجبيه [من الطويل] :

بَدَا لِىَ فى حَلْقِ الحَواجِبِ فِتْنَةٌ فقُلْتُ بِعقْلٍ ذاهلٍ فيه ذاهِبِ
حَبِيبِى بِحقِّ الله قل لىَ ما الَّذِى دَعاكَ إلى هذا ، فقال مُجَاوِبِى:
وَعدْتُ بِوَصْلِ العاشِقِينَ تَعطفاً فَلَمْ يَثقوا واسترهَنوا قَوْسَ حاجِبِى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية [من الطويل] :

رأى صاحِبي عَمْراً فكَلَّفَ وَصْفَهُ   وحملني من ذاكَ ما لَيْسَ في الطَّوْقِ

فقلت: له عمرٌو كعمرٍو، فقَالَ لى: صَدَقْتَ ولكن شَبَّ عمرو عن الطوْقِ

يشير إلى قصة عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش ، وكانت الجن قد استهوته صغيراً . ثم قدم وقد التحى ، فى خبر طويل، فأدخلته أمه رقاشِ إلى الحمام ؛ وألبسته ثياب الملك ، ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له ، وأزارته خاله ؛ فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال « شبَّ عمرٌو عن الطوق» فذهب مثلا .

و إلى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات [من البسيط] :

بطوق سمورةٍ كادت محاسنهُ   تسكونُ للوُرْق فى أفنانهن سَمَرْ

إن شب عمرو عن الطوق الذى زعموا   فقل وقد شب فى الطوق الوزير عُمَرْ

وأشار إلى ذلك بقوله أيضاً [من مجزوء الرمل] :

مثل ما قد شب عمرٌو   هكذا شابَ عُمَرْ

ومن غريب التلميح ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد ، فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شابٌّ فقال لها : رحم الله على بن الجَهم ! فقالت له : رحم الله أبا العلاء المعرى ! وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغربا ، قال : فتبعت المرأة وقلت لها : لئن لم تخبرينى بما أراد بابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحتك، فقالت: أراد به قوله [من الطويل]

عُيون المَها بينَ الرصافةِ والجِسرِ   جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدْرى ولا أدْرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله [من الطويل] :

فيادارَها بالخيفِ إنَّ مَزارَها   قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

ومن التلميح أيضاً قوله [من الوافر] :

شقيت بكم وكنت لكم جليساً   فَلَسْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شورِ

أراد به قول الآخر [من الوافر] :

وكنْتُ جليسَ قعقاع بْنِ شورٍ ولا يشقى لقعقاعٍ جليسُ

ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس [من مجزوء الخفيف] :

عَسكر مِنْ جَماله بَطلٌ ليسَ يُدفعُ
قامَ عن قوْسِ حاجبَيْـــه بعيْنَيْه يَنْزعُ
أسْهم كيفَ ماانحَرفْـــنَ إلى القلْب تَدْبَعُ
هكذا كنتُ عن أبى حيّةٍ قبلُ أسمعُ

يشير إلى ما حدث به أبو حية النميرى عن نفسه قال : عَنّ لى ظبى يوماً فرميته فراغ من سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه ، فما زال والله يروغ و يعارضه حتى صرعه ببعض الحارات .

وأبو حية هذا اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذابا معروفاً بذلك أجمع ، وقيل : إنه كان يُصْرَع .

ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه و بين الخشبة فرق ، قال ابن قتيبة : فحدثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغتر بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله مااخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاتخاف نَبْوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إنى والله إن أدع قيساً عليك لا تقم لها ، قيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً .

وقال مسلمة بن عياش لأبى حية: أتدرى ما يقول الناس ؟ قال:وما يقولون؟ قال: يقولون إنى أشعر منك ، قال: إنا لله ، ذهب والله الناس .

وحدث عبد الله بن مسلم قال: كان أبو حية النميرى من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء ، فقيل له : يا أبا حية ، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذا .

وقال يوما: رميت والله ظبية فلما بعد سهمى عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدَوت خلف السهم حتى قبضت على قُذَذِه قبل أن يدركها .

وقد لمح الصلاح الصفدى إلى قصة أبى حية أيضا فقال [من السريع] :

وشادنٍ إنْ هَبَّ عَرْفُ الصَّبا شَمِمْتُ منهُ عَرْفه طَيَّهْ

أميل عنهُ خوفَ عشقى لهُ وجفنه يتبعنى غيه

كأننى قدامه ظبيةٌ وطرفهُ سهم أبى حيهْ

وقد تبع الصلاحَ الصفدى فى ذلك ابنُ نباتة على عادته المشهورة حيث قال [من الخفيف] :

وبديع الجمال لم يَرَ طَرْفى مثل أعطافهِ ولا طَرْفُ غيرى

كلما حدتُ عن هوَاه أتانِى سهم ألحاظهِ كسَهْمِ النميرى

ومما عد من هذا النوع ، وهو بالتعريض أشبه ، قول محمد بن مغيث وقد أتى عبد المجيد بن المهذب زائراً فحجبه ، وهو [من الخفيف] :

زُرْتُ عبد المجيد زَوْرَةَ مُشْتَا قٍ إليه فصدَّ عنى صُدُودَا

فكأنى أتيتهُ أنزعُ العمـ ـةَ عن رأسهِ وأخصى سَعِيدَا

وكان برأس المذكور قروح وله عبد يؤثره

وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفي في قولها [من السريع] :

إنَّ ابن زَيْدونَ على فضله ... يَغتابُني ظلماً ولا ذَنْبَ لِي

يلحَظُني شزْراً إذا جئتُه ... كأنني جئتُ لأخصِي عَلِي

ومثله قول أبي الحسن بن نفادة [من المقتضب] :

إن ابن زَيْذَبَ رامٍ ... له مَرَامٍ بَعيدَهْ

يَريشُني بسهامٍ ... تجيء غيرَ سَديدَهْ

والله إن لم يَدَعني ... لأخصينَّ عبيدَهْ

وما أحسن قول أبي نواس [من الوافر] :

فأعرَضَ هيثمٌ لما رآني ... كأني قد هجوتُ الأدعياء

فعرَّض بكونه دعياً ، ثم تهكم به ، فقال :

فقد آليتُ لا أهجو دَعِيًّا ... ولو بَلَغَتْ مُرُوءَتُهُ السماءَ

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميريّ ساير يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزارى يوماً ، فبرَزَتْ بغلة شريك ، فقال يزيد : غض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير ! فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردت .

ويزيد أشار إلى قول جرير [من الوافر] :

فغضَّ الطرفَ إنكَ من نُميرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباَ

فعرَّض له شريك بقول ابن دارة [من البسيط] :

لا تأمننَّ فزاريًّا نزلتَ بهِ ... على قلوصكَ وا كتبها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُرْمَونَ باتيان الابل .

ومثله ماحكى أن تميمياً نزل بفزارى ، فقال له : قلوصكَ يا أخا تميم لا تنفر القطا ، فقال : إنها مكتوبة .

أشار الفزاريّ إلى قول الطرماح [من الطويل] :

تميمٌ بطُرْقِ اللؤم أهدَى منَ القَطا
ولوْ سلَكتْ سُبْلَ المكارم ضَلّتِ

وأشار التميمى إلى بيت ابن دارة المار .

و بيت الطرماح هذا يقول بعده :

ولوْ أنّ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ   يكرّ علىَ صَفّىْ تميم لولّتِ

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الأول ، فقال [من الطويل] :

تعستمْ جميعاً منْ وجوهٍ لبلدةٍ   تكنفكمْ لؤمٌ وجهْلٌ فأفرَطا
أرَاكمْ تعيبونَ الشامَ وإننى   أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

ومثله ماحكى أن تميما قال لشريك النميرى : مافى الجوارح أحبّ إلى من البازى ، فقال النميرىّ : خاصة إذا كان يصيدُ القطا

أشار التميمى إلى قول جرير [من الوافر] :

أنَا البازِى المطلّ على نميرٍ   أتيحَ من السماء له انصبابَا

وأشار النميرى إلى بيت الطرماح المارّ قبله .

ومن ذلك ما روى أن رجلا من بنى مُحارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فقال عبدالله: ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب، ما تركونا ننام، فقال المحاربى : أصلحك الله ! أضلوا البارحة برقعاً فكانوا فى طلبه .

أراد الهلالى قول الأخطل [من الطويل] :

تَرِيشُ بِلاَ شىء شيوخ مُحاربٍ   وما خِلْتُهَا كانتْ تَرِيشُ ولاتبرِى

تَضفَادِعُ في ظلماء ليل تجاوَبتْ فدلَّ عليها صوتُهَا حيـةَ البَحرِ

وأراد المحاربى قول الآخر [من الطويل]:

لـكل هلالى من اللؤم بُرْقعٌ ولابن هلال بُرْقُعٌ وجِلالُ

ومنه ما ذكره صاحب البيان، قال: دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلى ومعه ابنه الأفوه، وكان مبغضاً، فتخطى الناس حتى بلغ إلى عمر بن فرج الرخجى، فلما قرب منه قال له: من هذا؟ فقال: ابنى، أصلحكَ الله! وهل يخفى القمر، فقال: إن كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار.

أراد قول بشار بن برد [من الوافر]:

إذا أعيتك نسبةُ باهليّ فرَفع عنه حاشية الازارِ

على أستاهِ سادَتِهِمْ كتابٌ مَوَالى عامرٍ وَسْماً بِنَارِ

ومن ظريف التلميح: ما حكى أن الحَيْصَ بَيْصَ حضر ليلةً عند الوزير فى شهر رمضان على السماط، فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية، وقدمها إلى الحيصَ بَيصَ، فقال الحيص بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذينى، فقال الوزير: وكيف ذاك؟ قال: لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تَميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهْدَى مِنَ القطَا

وَلَوْ سَلَكَتْ سُبْلَ المكارِمِ ضَلَّتِ

وكان الحيص بيص تميمياً، وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد، وكان ابنه يلقب هَرْجَ مَرْجَ، وابنته: دَخْلَ خَرْجَ.

ومما يستظرف لأبى القاسم المذكور، وهو مما نحن فيه: أنه لما ولى الزينبي الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان، فوقف بين يديه ودعا له، وأظهر الفرح والسرور، ورقصَ، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه

بسرّه : قبح الله هـذا الشيخ ! فانه يشير برقصـه إلى قولهم : ارقص للقرد في دولته .

وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى ، وكتبه إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الخفيف] :

يا كمال الدين الذى هُوَ شَخصٌ مشخّصُ
والرئيسُ الذى بـهِ ذنبُ دَهرى يمحّصُ
كلما قلتُ قدْ تبغـــدَدَ قومى تحمصُوا
وغواشٍ على الرؤو سِ عليها المقرنصُ
والزّواشـــينُ وَالمناَ ظر والخيلُ تقمصُ
وأنا القردُ كل يَو مٍ لـكلب أبصبصُ
كلّ منْ صفقَ الزما نُ لهُ قمتُ أرقصُ
محنٌ لاَ يفيدُ ذَا النـــون منْهاَ التبرصصُ
فمتىَ أسمعُ النـــدَا ء وقدْ جاءَ مخلصُ

وفى معناه قول ابن عتبة الاشبيلى ، وكان قد فارق الأندلس وهى مضطربة بدولة ابن هُودٍ ، وقدم مصر ، فلما سئل عن حاله أنشد [من مخلع البسيط] :

أصْبحت فى مصر مستضاماً أرقصُ فى دولة القرودِ
واضيعةَ العمرِ فى أخيرٍ من النصارى أو اليهود
بالجدّ رزقُ اللئام فيهمْ لا بِندوَات ولا جدُود
لاتبصرُ الدهرِ من يُراعى معنى قصيد ولا قصُودِ
أودّ من لؤمهم رُجُوعاً للعُزب فى دولة ابن هُودِ

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبى الحسن الأهوازى [من مخلع البسيط] :

قلتُ لمَنْ لامَ لا تلمنى   كل امرىء عالم بشانه
لا ذَنبَ فيما فعلتُ إنى   رقصتُ للقرد فى زمانه
من كرم النفس أن تَرَاها   تحتملُ الذلّ فى أوانه

ومنه قول على بن بسام [من مخلع البسيط] :

لاَبدَّ يانفسُ من سجود   فى زمن القرْد للقرودِ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

سَجدنا للقرودِ رَجاء دُنيا   حَوَتْهَا دوننا أيدى القرودِ
فما آلت أناملنا بشىء   علمناه سوَى ذل السُّجُودِ

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر ، منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هُبيْرَة وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب إلى البخل ، وكان فى شهر رمضان والحر شديد ، فقال له : أين كنت ؟ قال : فى مطبخ سيدى النقيب ، فقال الوزْير : و يلك فى شهر رمضان فى المطبخ ، قال : وحياة مولانا كسرت فيه الحر ، فتبسم الوزير ، وضحك الحاضرون ، وخجل النقيب

وهجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبي بقصيدة كافية أولها [من مجزوء الخفيف] :

يا أخى ، الشّرْطُ أملَكُ   لستُ للثلب أتْرُكْ

وهى تزيد على مائة بيت ، فسير إليه أحد الغلمان ، فأحضره ، وصفعه ، وحبسه فكتب إلى مجد الدين استادار الخليفة [من الوافر] :

إليك أظلُّ مَجْدَ الدين أشكو   بلاءً حلَّ لستُ له مطيقا
وقوماً بلغُوا عنى مُحــالاً   إلى قاضى القُضاة النّدب سيقا

فأحضرنى بباب الحكم شخصٌ غَليظٌ جرَّنى كما وزيقًا
وأخفقَ نعلَه بالصفْعِ رأسى إلى أن أوجسَ القلبُ الخفوقا
على الخَصْم الأداء وقد صُفِعْنَا إلى أن ما تَهَدَّيْنَا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقًّا أنُحْبَسُ بعد ما اسْتَوْفَى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس ، فقال [من السريع] :

عند الذى طرق بى أنه قد غضَّ من قَدْرى وآذانى
والحبس ما غيَّر لى خاطراً والصفع مالين آذانى

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير ، وكان قد بلغ سناء الملك أنه قد هجاه ، فأدبه بالصفع وشتمه، فكتب إليه ابن المنجم الشاعر [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله دولته صديقنا ابن وزيرٍ كيف تظلمه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقماً منه ، ومن بعد هذا ظَلْتَ تشتمه
هجو بهجو ، وهذ الصفع فيه رِبًا والشرع ما يقتضيه بل يُحَرِّمه
فان تقل ما لهجو عنده أثر فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل [من الطويل] :

حباها باكرام وقام مبادراً إلى وتد البيقار علق خفها
وكان إذا ما رَابَهُ سوء فعلها يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط ، فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله ، فكتب إلى صديق لقاضى القضاة [من المديد] :

يا أبا الفضل المجاء إذا ضاق صَدْرٌ منه يتسع

وقوافى الشعر واثبة ولها الشيطان متبع
فاحذرُوا كافات منحدر مالكم فى صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزينبى ، فأجاز ابن السوادى وأرضاه .

ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الأكابر فى بعض الأيام ، فلم يؤذن له ، فعز عليه ، فأخرجوا من الدار طعاماً لكلاب الصيد ، وهو يبصره ، فقال : مولانا يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها » .

ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر يوماً ، فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح ، ففرق بينهما وَصلى ركعتين، فلما فرغ قال لأبى الحسين: ما أردت إلا قول ابن سناء الملك . وقال أبو الحسين : وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق

أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك [من مجزوء الرمل] :

أنَا فى مقعد صدقٍ بين قوّاد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ رَاض الأبىّ فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا جرت الأمور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة . والله تعالى أعلم .

***

شاهد حسن الابتداء

٢١٧ — قِفاَ نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقطِ اللوَى بينَ الدَّخُولِ فحَوْملِ

البيت من الطويل، وهو مطلع قصيدة امرىء القيس السابقة فى شواهد المقدمة

والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ودق ، واللوى : ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُّه ، والدَّخُول وحَوْمل : موضعان .

والشاهد فيه: حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، فبيت امرىء القيس هذا أبدع فيه، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ، عذب اللفظ، سهل السبك ، وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى .

وأحسن منه فى التناسب ـ وإن كان مطلع امرىء القيس أكثر معان ـ قول النابغة [من الطويل] :

كِلينى لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليلٍ أقاسيهِ بطىءِ الكواكِبِ

فان قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله [من الطويل] :

ألاَ أيها النُّوَّام وَيْحكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقْتُلُ الرجلَ الحبُّ

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبى أو غيره: هل تعرف بيتاً نصفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بِذْلَةٍ ، فأنشده البيت ، فاستحسن فكره.

* * *

شاهد حسن الابتداء

٢١٨ ــ قَصْرٌ عليْهِ تحيةٌ وسلَامٌ خَلَعَتْ عليه جمالها الأيامُ

البيت لأشجع السلمى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، والرواية « نثرت» بدل « خلعت » ، وبعده :

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقَى للمُلْكِ فيه سلامةٌ وسلامُ

قصرٌ سُقُوفُ المزن دون سقوفِهِ فيه لأعلام الهدَى أعلامُ

نَشَرت عليه الأرض كسوتها التى ... نسجَ الربيعُ وزخرفَ الازهامُ
أدنتكَ من ظل النبى وَصيةٌ ... وقرابة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقَتْ سماؤكَ فى العَدُوِّ فأمطرَتْ ... هاماً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سُيُوفكَ صافحَتْ هامَ العدا ... طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثْنى على أيامكَ الاسلامُ ... والشاهدَان الحلُّ والاحْرَامُ
وعلى عدوِّكَ ياابنَ عمِّ محمد ... رَصَدَان ضوء الصبح والاظلامُ
فاذا تنَبه رُعْتَهُ وإذا غفَا ... سَلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

حدث عبد الله بن العباس الربيعى أن أول من أدخل أشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع ، فانه مدحه ، فوصفه للرشيد ، وقال : هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة ، فأمر باحضاره وإيصاله مع الشعراء ، فلما وصل إليه أنشده هذه القصيدة ، فاستحسنها ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدح الفضل ابن الربيع وشكر له إيصاله إلى الخليفة ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من الكامل] :

غَلبَ الرقادُ على جفُونِ المسعدِ ... وغرقْتُ فى سهَر وليلٍ سَرْمَدِ
قد جدَّ بى سهرٌ فلم أرقُدْ له ... والنوْمُ يلعبُ فى جفون الرقَّدِ
ولطالما سَهِرَتْ بحبى أعينٌ ... أهدى السهاد لها ولما أسْهَدِ

ويقول فيها :

أأقيم مُحْتَملا لضَيْمِ حوادثٍ ... معَ همةٍ موْصولة بالفرْقدِ
وأرَى مخَايلَ ليس يَخلف نوءها ... للفضل إن رَعدت وإن لم ترعَدِ
للفضل أموال أطاف بها الندى ... حتى جهَدْن وجودُه لم يجهَدِ
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالذى ... أوليتنى فى عوْدِ أمركَ والبَدِ

أَوْصَلْتَنِى ورَفَدْتَنِى وكلاهما ... شَرَفٌ فقأَتْ بهِ عيونَ الحسَّدِ
وكفيتنى منن الرجال بنائل ... أغنى يدى عن أن تُمَدَّ إلى يدِ

والشاهد فى البيت : حسن الابتداء .

وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال [من الكامل] :

صَلَّى وراءك كل مَنْ عاصرته ... علماً بأنك فى البيان إمامُ
وكأن قبرك للعيون إذا بدا ... (قصرٌ عليه تحية وسلامُ)

ومن محاسن الابتداء قول أبى نواس [من الطويل] :

خليلىَّ هذا موقف من متيم ... فعُوجا قليلا وانظراهُ يسلمِ

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لمن دمَنٌ تزدادُ حُسْنَ رسومِ ... على طول ماأقْوَتْ وطيب نسيمِ

وقول البحترى [من الطويل] :

يُودِّىَ لويَهْوَى العذول ويَعْشَقُ ... ليعلم أسبابَ الهوى كيف تَعْلَقُ

وقول أبى تمام [من الكامل] :

لا أنتَ أنتَ ولا الديارُ ديارُ ... خفَّ الهوَى وتقضَّتِ الأوْطارُ

وقول المتنبى [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق ... تحسبُ الدمعَ خِلقَةً فى المآقى

وقوله [من الطويل] :

حُشَاشةنفس وَدَّعتْ يوم ودعوا ... فلم أدرأىُّ الظاعنينَ أشيّعُ

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين [من الخفيف] :

أخذَتْ من شبابىَ الأيامُ ... وتولَّى الصِّبَا عليه السلامُ

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

يا ساهرَ البرق أيقِظْ راقدَ السَّمُرِ لعلَّ بالجِزْعِ أعواناً على السَّهَرِ

وقول ابن هانى ، مع بديع الاستعارة [من الكامل] :

بَسَم الصَّباحُ لأعين النُّدَماءِ وانشقَّ جَيْبُ غُلالة الظَّلْماءِ

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا إلى الرفق بالابل عند السُّرى [من الكامل] :

رفقاً بهنَّ فما خُلِقْنَ حديدَا أَوَما تَراها أعظُماً وجُلودَا

وقول ابن قاضى ميلة [من الطويل] :

يذيل الهَوَى دَمْعِى وقلبِي المعنَّفُ وتجنِي جفونى الوجْدَ وهو المكلَّفُ

وقول التهامى [من الخفيف] :

حازَكِ البينُ حين أصبحْتِ بَدْرَا إنَّ للبدر فى التَّنقُّل عذْرَا

وما أرشق قوله بعده :

فارْحلى إن أردتِ أو فأقيمى أعظَمَ الله للهَوَى فىَّ أجْرَا

لا تقولى لقاؤنا بعدَ عشْرٍ لستُ ممن يعيشُ بعدكِ عشْرَا

وقول علىّ الشطرنجىّ الحلبىّ من قصيدة نظامية [من الكامل] :

أَمّا عُلاكَ فدونها الجوزاء قَدْراً فماذا يَنْظِمُ الشعراء

وما أبدع ما قال بعده:

يرتدُّ عنك الفكرُ وهوَ مُهَذَّبٌ ويضيق فيك القولُ وهو فضاء

شرفٌ أناف على السِّماك وهمَّةٌ ضاقَتْ بمسرح عزمها الدهناء

وفضائلٌ جاءتْ أخيرَ زمانها فحثت على ما سطَّرَ القدماء

وقول سعيد بن على من نظامية [من الطويل] :

أبى الضيمَ قلبٌ بين جنبَىَّ قُلَّبُ وعزمٌ من الشهبِ الثواقبِ أثقَبُ

وبديع قوله بعده :

وكلفنى خَوْضَ الدجى طلبُ العلا ولولا المعالى ما طَبَانِىَ مركبُ

فما لى وللاّحى يُطيل ملامتى كأنى لغير المجد أسعى وأدأبُ

وقول ابن العواذلى من نظامية [من البسيط] :

لو كان للدَّهْرِ حِسٌ أو له كَلِمُ أثنى عليكَ بما يُثنى به الخَدَمُ

* * *

شاهد قبح الابتداء

٢١٩ — * مَوْعِدُ أحبابك بالفرقةِ غَدْ *

قائله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بطبرستان، فقال له : بل موعد أحبابك ولك المثل السوء .

والشاهد فيه : قبح الابتداء

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مِهْرَجان وأنشده [من المديد] :

لا تَقُلْ بُشْرى ولكن بُشْرَيَان غُرّة الداعى ويَوْمُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعى ، وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وأمر ببطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه

ومن الابتداآت القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان [من الوافر] :

* أتَصْحُو أم فؤادك غير صاح *

فانه لما أنشده قال له عبد الملك : بل فؤادك ياابن الفاعلة

ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أوّلها [من البسيط] :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكبُ *

وكانت عين عبد الملك تَدْمع دائما ، فتوهم أنه خاطبه وعرض به ، فقال له :

ما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة ؟! ومقته وأمر باخراجه .

ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس [من الرجز] :

صَفْراء قد كادَتْ ولما تَفْعَلِ كأنها فى الأفق عينُ الأحْوَلِ

فأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة

ومن قبيح الابتداء قول البحترى ، وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها [من الطويل] :

* لك الوَيلُ من لعلٍ تقاصَرَ آخِرُهْ *

فقال له : بل لك الويل والْحَرَبُ .

ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيي البرمكي بقصيدة أولها [من الطويل] :

أرَبْعَ البِلَى إن الخشوعَ لبادِ عليك ، وإنى لم أخُنْكَ ودادِى

فتطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله فيها :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ بنى بَرْمكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيره ، فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع المعتصم ، فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، فشرع فى إنشاد قصيدة أولها [من الكامل] :

يادار غَيَّرَكِ البِلَى ومَحَاكِ ياليْتَ شِعرِى ما الّذى أبْلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفَوْر ، وهذا مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء ، ولكن قد يَخْبو الزِّناد ، ويكبو الجواد ، مع أنه قيل : أحسنُ ابتداء ابتدأ به مولد قول إسحاق الموصلىّ [من الخفيف] :

هل إلى أن تَنَامَ عَيْنِي سَبيلُ   إنَّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه حيث قال [من الطويل]:

كفى بك داء أن تَرَى الموت شافيًا   وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار [من الطويل] :

وإنك مَذْخورٌ لإحياء دولةٍ   إذا هى ماتت كان فى يدك النَّشْرُ

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده ، وكذلك قوله يتغزل [من الكامل] :

فى صَدْرها حَجَر وتحت صدارها   ماء يشف وبانَةٌ تتعطَّفُ

فقوله « فى صدرها حجر » أبشع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء .

وكذلك ابن قلاقس فى قوله [من الكامل] :

بطلاقة أبدَتْ بصفحةِ وجههِ   وضَحَ الصباحُ لمن له عينانِ

حيث جعل الوضحَ بوجهه

ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت .

ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده [من الطويل]:

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتًا وإنما   لكثرة ما شُقَّتْ عليهِ المَرَائِرُ

عسى هذا الخدُّ كان مسلخًا

وهذا أمر يطول استقصاؤه ، وفيما أوردناه مقنع ، إن شاء الله تعالى .

***

شاهد براعة الاستهلال

٢٢٠ — بُشْرَاكَ قدْ أنجزَ الاقبالُ ما وعَدَا

هو من البسيط ، وقائله أبو محمد الخازن ، من قصيدة يهنىء بها الصاحب ابن عباد بسبْطه الشريف أبى الحسن عباد بن على الحسنىّ(١) ، وتمام المطلع :

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر (٣ — ٢٣٦ بتحقيقنا)

* وكوكبُ المجدِ فى أفقِ العلاَ صعدَا *

وبعده :

وَقدْ تفرَّعَ فى رَوَض الوزارَةِ عَنْ
دَوْحِ الرسالة غُصنٌ مورِقٌ رَشَدَا

لِلهِ آيةُ شمس للعلاَ ولدَتْ ... نجماً وغابَة عزّ أطْلَعَتْ أسدَا

وعنصُر منْ رسول الله واشجة ... كريم عنصر إسماعيل فاتحدَا

وَبضعة من أمير المؤمنين زكَتْ ... أصلاً وفرعاً وصحت لحمة وسُدَى

ومثل هذى السعادات القوية لاَ ... يحُوزُها غيرهُ دَامت لهُ أبَدَا

يا دَهرَه حقَّ أن تزهى بمولدِهِ ... فمثلُهُ منذ كانَ الدهر ما وُلدَا

تعجبوا من هلال العيدِ يطلعُ فِى ... شعبانَ ،أمرٌ عجيب،قَطُّ ماعهِدَا

فمَنْ موَال يوالى الحمدَ مبتهلا ... ومخلصٌ يستديمُ الشكر مجتهدَا

وكادت الغادة الهيفاء مِن طرَبٍ ... تعطى مُبشرَها الأهياف والغيَدَا

فلاَ رَعى اللهُ نفساً لا تسرُّ به ... ولا وقاها وغشاها رداء ردَى

وذى ضغائنَ طارَتْ رُوحهُ شفقاً ... منهُ وطاحَتْ شظايا نفسه قِدَدَا

علماً بأنَّ الحسام الصاحبيَّ غدَا ... مُجرَّداً والشهابَ الفاطمى بدَا

وأنه انسدَّ شعبٌ كانَ منصدِعاً ... بهِ وأمرعَ شعبٌ كان مختضدَا

وأرفعُ المجدِ أعناناً وأسمته ... مجدٌ يناسب فيه الوالدُ الولدَا

فليهنىء الصاحبَ المولودُ ولترد السـ ... ـسعود تجلو عليه الفارسَ النجُدَا

لم يتخذ وَلداً إلا مبالغَةً ... فى صدق توحيدمَنْ لم يتخذ وَلدَا

ما أشرف معنى هذا البيت ، وأبدعه وأبرعه ! ومنها :

وَخذْ إليكَ عرُوساً بنْتَ ليلتها ... من خادِمٍ مخلص وُدّاً ومعتقدَا

أهديتها عفوَ طبعى وانتحيتُ لها سحراً وإن كنتُ لم أنفث لها عُقَدَا

وَازنتُ ما قلته شكراً لربكَ إذْ جاء المبشّرُ بَيْتاً سارَ واطردَا

(الحمدُ لله شكراً دائماً أبداً إذ صارَ سِبطُ رسول الله لى ولدَا)

وكان الصاحب بن عباد قد قال هذا البيت حين جاءته البشارة ، وقال أيضا [من مجزوء الرمل] :

أحمدُ الله لبشرَى أقبلتْ عندَ العشىِّ

إذ حبانى الله سِبطًا هوَ سِبطٌ للنبىِّ

مرْحباً ثُمَّتَ أهْلاً بغلام هاشمىِّ

نبوىّ علوىّ حسَنِىّ صَاحِبىِّ

وَكان ابن عباد إذا تذكر عبادا هذا يقول [من البسيط] :

يا ربّ لا تخْلنِى من صنعكَ الحسَنِ يا رب حُطْنىَ فى عباد الحسنى

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد [من الطويل] :

فُطمْتَ أيا عباد يا ابْنَ الفواطمِ

فقالَ لكَ السادات من آل هاشم

لئنْ فَطمُوهُ عن رِضاعِ لبَانهِ

لماَ فَطَمُوهُ عَنْ رِضَاعِ المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك ، من قصيدة [من الوافر] :

كساكَ الصوم أعمار الليالى وأعقبَكَ الغنيمةَ فى المآبِ

ولاَ زالتْ سعُودُكَ فى خلود تُبارِى بالمَدَى يومَ الحسابِ

أتاكَ العز يسحبُ بردتيه على ميثاء حالية التراب

ببدرٍ من بنى الزهراء سارٍ تعرى عنه جلبابَ السحاب

تفرّع في النبوة ثم ألـقى بضَبْعَيْه إلى خير الصِّحاب
تلاقتْ لابن عباد فروع الـنبوّة والوزارة فى نصـاب
فلاَ تَغْرُرْ بِرَقدَته الليالى ولاَ تسمدْ لهُ الهمم النوَابى
فمَنْ خضعت له الأسد الضوَارى ترَفّع عن مغاوَرَة ِ الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخرالدولة ، قال إسماعيل الشاشى قصيدة ، أولها [من البسيط] :

المجدُ ما حرست أولاهُ أخراهُ والفخرُ ما التفّ أقصاه بأدناهُ
والسعىُ أجلبهُ للحمد أصعبهُ والذكرُ أعلاه فى الأسماع أغلاهُ
والفرْعُ أذهبهُ فى الجوّ أنضَرُهُ والأصل أرسخهُ فى الأرض أنقاهُ
اليومَ أنجزتِ الآمالُ ماوعدَتْ وأدركَ المجدَ أقصى ما تمنّاهُ

يقول فيها :

اليومَ أسفرَ وجهُ المُلْكِ مُبتسماً وأقبلتْ بـبَريدِ السعد بشراهُ

يقول فيها أيضا :

قدْ زُفّ مَنْ جدُه كافى الكفاةِ إلى
مَنْ خالُهُ ملكُ الدنيا شهنشاهُ

والشاهد فى البيت : براعـة الاستهلال ، وهو : أن يكون فى الابتـداء إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله .

فمن ذلك ، وهو ممـا يشعر بالتهنئة بزوال المرض ، قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

المجدُ عُوفىَ إذ عُوفيتَ والكرَمُ
وزَالَ عنكَ إلى أعدائكَ السَّقَمُ

وقول لسان الدين الخطيب ، المشعر بالتهنئة ، والنصر على الأعداء ، [من الكامل] :

الحقُّ يعلو والأباطلُ تسفلُ والله عن أحكامه لا يُسْألُ

وقول مهيار الديلمى المشعر بالاعتذار [من الطويل] :

أما وهوَاهَا عِذرَةً وتنَصُّلاَ لقدْ نقل الواشى إليها وأمحلاَ

سعى جهدهُ لكنْ تجاوز حدَّهُ وكثَّرَ فارتابَتْ ولوْ شاء قللاَ

وقول الباخرزى المشعر بالتهنئة [من الكامل] :

وفَتِ السعودُ بوعدها المضْمونِ وترَادَفت بالطائرِ الميمونِ

وعَلاَ لواء المسلمين وشافَهُوا تحقيقَ آمالٍ لهم وظُنُونِ

وقول أبى نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب فى التهنئة ببناء دار [من المنسرح]:

أهلا بدار أبان بانيها دلائلَ المجد فى مَغانيها

دارٌ حكَتْ صدْرَ رَبِّها سَعَةً تُسافر العينُ فى نواحيها

وقول محمد بن أبى العباس المسكانى فى التهنئة بالوزارة [من الوافر] :

يبشرنى علوّك بالوزارهْ وذاك الملك أولى بالبشارهْ

وقول أبى محمد المطرانى ، المشعر بذم المشيب وَمدح الشباب [من المتقارب]:

ألمَّ المشيبُ برأسى نذيرَا وولَّى الشباب بعهدى نضيرَا

وأصبح ضوْءُ صباح المشيب لغرْبان ليل شبابى مَطيرَا

كذاك إذا لاح نور البكورِ لسود الطيور هَجرْنَ الوكُورَا

ترجمة أبى محمد الخازن

وأبو محمد الخازن : هو عبد الله بن أحمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة[١] : هو من حسنات إصبهان وأعيان أهلها فى الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها فى الشعر

(١) اقرأ ترجمته فى يتيمة الدهر (٣ - ٣٢١ بتحقيقنا)

ومن خواص الصاحب، ومشاهير صنائعه ، وذوى السبق فى قديم خدمته [١] .

وكان فى اقتبال شبابه ورَيْعَان عمره يتولى خزانة كتبه ، وينخرط فى سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته ، فنصرف من الخدمة فيما قَصَّرَ أثره فيه ، عن الحد الذى يحمده الصاحب ويرتضيه ، كالعادات فى هفوات الشبيبة ، وسقطات الحداثة ، فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضبا أو هاربا ، وترامت به بلدان العراق ، والشام ، والحجاز فى بضع سنين ، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى مايقصه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى صديقه أبى بكر الخوارزمى ، وذكر فيه عُجَرَه وبُجَرَه ، وقد ذكرته تنبيها على بلاغتــه وبراعته ، واختصارا للطريق إلى معرفة قصته .

وهذه نسخته — كتابى ، أطال الله بقاء الأستاذ ، سيدى ومولاى ! من الحضرة التى نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن فنائها إذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة . ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن فى هذا ، ولــكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى ، وغم لا يحصى . وإنفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنى بريش طائر ، وبُعدٍ عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت — يشهد الله — صفرَ اليدين من البيض والصفر ، أتلو «والعصر إنَّ الإنسان لفى خُسْرٍ» وأنا بين الرجاء فى أن أُقال العثار ، والخوف من أن يقال : زأر الليثُ فلا قَرَار ، ولــكننى قد كنت قدّمت تطهير نفسى ، فلجت حتى حجت ، وعدت بغبار الاحرام ، وبركة الشهر الحرام .

وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس — أدام الله تمكينه — خبرى إلى الحضرَة ، حرَسَ الله بهاها وسَناها ، والناسُ ينظرون هل أقبل ، فيتلقونى بأكرم الرتب ، أم أسخط ، فيتحامونى كالبعير الأجْرب ،

(١) فى اليتيمة «وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته»

وَوَرَدَ توقيعُ مولانا الصاحب كافي الكفاة ـ أطالَ الله مدته ، وكبت أعداءه ، وحَسَدته!ـ بعالى خطه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ ـ أدَام الله عِزَّه !ـ أن الكرم صاحبيّ لا برمكيّ ، وعَبَّادى لاحاتمى ، وأنا نتجرم ، ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ، ثم لا نروى إلا من الماء الزلال ، والتوقيع « ذكر مولاى ، أدام الله عزه عَوْدَ أبى محمد عبدالله الخازن ـ أيده الله !ـ للفناء الذى فيه دَرَج ، والوكرِ الذى منه خَرَج ، وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى إيابه ، لم يكن بأقل منه عند اغترابه [(١)] ، فان أحبَّ أن يقيم مُدَيْدَة ، يقضى فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآئب ، فليكن فى ظلّ من مولانا ظليل ، ورأى منه جميل ، وبِرمن دِيوانَنا جزيل ، وإن حفزه الشوق فمَرحباً بمن قربته التربية لدينا ، فأفسدته العزة [(٢)] علينا ، وردَّته التجربة إلينا ، وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل قبل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى ، لا جرم أنى أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت : ليس إلا الجمازة ، والمفازة ، وصبحت جرجان[مُسَّى] عاشرة أهدى من القَطَا الكُدْرى ، كأنى دعَيْمِيصُ الرمل ، أستاف أخلافَ الطرق ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنى حلماً ، ولا أقدّر ما جنيت يعقب حلما ، وكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربة ، ولا أخطأت إلا لتأثيل حرمة ، وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فىَّ بقول الله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » ، وقد ورد فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر . وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير ، وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم ، وراجع الطبع شىء كان يُدْعى الشعر ، كذلك آدم عليه السلام : أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج منها بما كان من جُرْمه ، وهو عائد إليها بعفو الله وطَوْله ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى اليتيمة «وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه» (٢) فى اليتيمه « الغرة » .

قال الثعالبى : فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة ، وحسن التصرف فى لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والابداع والاحسان ، ويعبر عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة .

وأما شعره فجار مجرى عُقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وهو من نظراء الخوارزمى والرستمى ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعرُ ما لم يسترق له حُرُّ الكلام وتستخدم له الفِكَرُ

انظرْ تَجد صور الأشعار واحدةً وإنما لمعانٍ تُعْشَقُ الصورُ

والمعدمون من الابداع قد كثروا وهم قليلون إن عُدُّوا وإن حصرُوا

قومٌ لوانهمُ ارتاضوا لما قرَضوا أوأنهم شعروا بالنقص ما شعرُوا

قال : وكان أبو بكر الخوارزمى أنشدنى لمعاً من شعره ، كقوله فى وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع فى معناه أملح منه [من الخفيف] :

إنَّ هذا الغبارَ ألبسَ عِطْفَىَّ سواداً ، ودينىَ التوحيدُ

وكسا عارضىَّ ثوب مشيبٍ ورداء الشباب غضٌّ جديدُ

وقوله ، أوهو لأبيه أحمد(١) [من الكامل] :

منْ يستقمْ يحرمْ مناه ومن يزغْ يختص بالاسعاف والتمكين

انظر إلى الألف استقام ففاته نقطٌ وفاز به اعوجاجُ النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيي بن زياد ، فقال [من الكامل] :

إن كنتَ تَسْعَى للزيادة فاستَقِمْ تَنَلِ المراد ولو سَمَوْتَ إلى السما

ألفُ الكتابة وَهْوَ بَعْضُ حروفها لما استقام على الجميع تَقَدَّما

---

(١) نسبه ابن خلكان لأبيه أحمد فى ترجمته (انظر الترجمة رقم ٦١ في وفيات الأعيان ١/١٣١ بتحقيقنا)

رجع إلى شعر الخازن

وله أيضاً فى الغزل [من الكامل] :

حُثَّ المطىَّ فهذه نَجْدُ بَلَغَ المَدَى وتزايد الوَجْدُ

ياحبذا نجد وساكنها لو كان ينفع « حبذا نجد »

وبِمُنْحَنَى الوادى لنا رشأ قد ضل حيث الضال والرَّنْدُ

هند ترى بسيوف مقلتها مالاَ تَرى بسيوفها الهندُ

وله أيضاً من قصيدة يعتذر فيها إلى الصاحب [من الوافر] :

لنار الهم فى قلبى لهيبُ فعَفوا أيها الملك المهيبُ

فقد جاز العقابُ عقابَ ذنبي وضج الشعر واستعدى النسيب

وفاضت عبرةً مهجُ القوافى وغصصها التذلل والنحيب

وقد فصمت عراها واعتراها لسخطك بعد نَضْرتها شحوب

وقالت مالعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لاتصُوبُ

ومن يك شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهل قريب

تجاوزَتِ العقوبةُ منتهاها فهَبْ ذنبى لعفوك ياوَهُوبُ

وأحْسِنْ إننى أحسنت ظنى وأرجو أنَّ ظَنِّى لايخيب

أترضى أن أكون لَقًى مقيما على خَسْفٍ أذوب ولاتثوب

أبيت ومقلتى أَبِقٌ كَرَاها وفى ألحاظها صَابٌ صَبيب

وقيذاً لايلائمنى طعامى ولاينساغ لى الماء الشروب

صببت على سوطا من عذاب يذل لبأسه الدهر الغلوب

وأرهقنى نكيرك لى صَعُودا من الأشجان ليس له صَبُوب

وماعونى على بَلْوَاى إلا رجائى فيك والدمع السكوب

فان تعطف على رجل غريب فانى ذلك الرجلُ الغريبُ
عليك أنيخ آمالى فَرحِّبْ بها ، وإليك من ذنبى أتوب
وأخطو مايريب إذا دَهَتْنِى غوامضه إلى مالا يريب
فأية طَرْبة للعفو إن الـ ـكريم ـ وأنت معناه ـ طروب
فانى نَشْءُ دارك والمغذَّى بسَيْبك والصنيعةُ والرَّبيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدِلا بما يقضى علاك لمن يؤب
ولذت ببابك المعمور علما بأن ذراك لى مَرْعى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب إليها يلجأ الرجل الأديب
وسُقْتُ بناتِ آمالى إليها وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فبَوِّئْنى اختصاصك حيث تُجْنَى ثمار العز والعيشُ الرطيب
ولـكن كادنى خب حقود لعقرب كيده نحوى دبيب
ومالجموح ألفته جنيب ولاالشَمال فرقته جَنُوبُ
ولايشفيه منى لو رآنى وقد أخذت بحلقومى شَعُوبُ
بلوت الناس من ناء ودان وخالطنى القبائلُ والشُعوبُ
فـكل عنـد مغمزه ركيك وكل عند مشربه مَشُوبُ
تُجَدِّلِى بالرضا واقبل متابى وعذرى ، إننى أسِفٌ كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة [من الكامل] :

مازلت أعتسفُ المهامه والفَلا وأواصل الإغوار بالإنجاد
حتى نأيت عن الخَواضِر ملقيا رَحْلِى بواد فى تخوم بوادى[1]
فاذا بسعدى وهى بدر طالع من فوق غصن فى نَقًى مُنْهَاد[2]
وطرقتها وعداؤها رقباؤها فى صورة المرتاب لاالمرتاد

(١) فى المطبوعتين « حتى نأيت عن الخواطر » وأثبتنا ما فى اليتيمة وهو الذى يتسق مع عجز البيت (٢) هكذا فى اليتيمة وفى المطبوعتين « نقى مهاد »

فحللت منها حيث كان وشاحها درعى وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها الموصول زهرة روضتى ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصبا عبق الحواشى مونق يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف والظل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية

* * *

من شواهد براعة الأستهلال

٢٢١ — هى الدُّنْيا تقولُ بملء فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ منْ بَطشى وفَتكى

البيت لأبى الفرج الساوى ، من قصيدة من الوافر ، يرثى بها فخر الدولة ابن بُوَيْه

وكان من خبر وفاته — كما حكاه العُتْبى — أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحا ، فاشتهى طرائح من لحم البقر ، فنُحِرت بين يديه واحدة ، وطفق أصحابه يَطْهُونَ له من أطايبها ، وهو ينال منها ، وأتبعها بعناقيد كرْم ، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء ، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه ، واتصل على الألم صوته ، إلى أن جثّم عليه موته ، فرثاه الساوى بهذه القصيدة ، وبعد البيت :

ولا يغرركم حُسْنُ ابتسامى فقولى مُضْحك والفعلُ مُبكى
بفخر الدولة اعتبرُوا فانى أخذتُ الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البَرَايَا ونظَّم جمعهم فى سِلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتُوًّا أفٍّ منك
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه تأبَّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ماقرَع البرايا أسير القبر فى ضيق وضَنْك

أقدر أنه لو عاد يوماً ... إلى الدنيا تسربل ثوب نُسك

دعى يانفس فكرك فى ملوك ... مضوا بك فى انقراض ويك فابكى

فلا يغنى هلاك الليث شيئاً ... عن الظبي السليب قميص نسك

هى الدنيا أشبهها بشهد ... يسم ، وجيفة طُليت بمسك

هى الدنيا كمثل الطفل ، بينا ... يقهقه إذ بكى من بعد ضحك

ألا ياقومنا انتبهوا فانا ... نحاسب فى القيامة دون شك

والشاهد فيه : براعة الاستهلال أيضاً ، فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثاء

ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده ، وهى من غرر القصائد [من الكامل] :

حُكمُ المنية فى البرية جارى ... ماهذه الدنيا بدار قرار

طُبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار

بينا يرى الانسان فيها مخبِرا ... حتى يرى خبراً من الأخبار

ومكلفُ الأيام ضدَّ طباعها ... متطلبٌ فى الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فانما ... تبنى الرجاء على شفير هار

العيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سارى

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سفر من الأسفار

وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا ... أن تسترد فانهن عوارى

ومنها :

ليس الزمان وإن حرصت مُسالما ... خُلُقُ الزمان عداوةُ الأحرار

ولَدُ المعزى بعضُه ، فاذا مضى ... بعضُ الفتى فالكلُّ فى الآثار

أبكيه ثم أقول معتذراً له ... وفقت حين تركت ألأم دار

جاورت أعدائى وجاور ربَّهُ ... شتان بين جواره وجوارى

أشكو بعادك لى وأنت بموضع ... لولا الردى لسمعتَ فيه سِرارى

والشرق نحو الغرب أقرب شُقةً ... من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار

ومنها :

وَطَرِى من الدنيا الشبابُ وروقه ... فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى

قصرت مسافته وماحسناته ... عندى ولا آلاؤه بقصار

نزداد هماً كلما ازددنا غِنًى ... فالفقر كل الفقر فى الاكثار

مازاد فوق الزاد خلف ضائع ... فى حادث أو وارث أو عار

إنى لأرحم حاسِدِىَّ لحرّ ما ... ضمنت صدورهُمُ من الأوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم ... فى جنة وقلوبهم فى نار

لاذنب لى، قدرمْتُ كَتْمَ فضائلى ... فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها بتواضعى فتطلعت ... أعناقُها تعلو على الأستار

ومن الرجال مجاهل ومعالم ... ومن النجوم غوامض ودرارى

والناس مشتَبِهون فى إيرادهم ... وتفاوت الأقوام فى الإصدار

وهى طويلة ، و إنما أثبت منها ماأثبت ليكون غرة لهذا الكتاب ، وتذكرة لأولى الألباب

ومن القصائد المشعرة بالرثاء قولُ الشريف الموسوى يرثى أبامنصور الشيرازى الكاتب [من المنسرح] :

أى دُمُوعٍ عليكَ لم تَصِبِ ... وأى قلب عليك لم يَجِبِ

مالى وما للزمان يَسْلُبنى ... فى كل يوم غرائب السلب

أما فتى ناصرُ الصبا كأخى ... عندىَ أو زائدُ الهدى كأبى

وإننى للشقاء أحْسبُنى ألعب بالدهر وهو يلعب بى

وقول ابن نُبَاتة يهنىء الملك الأفضل صاحب حماةَ و يعزيه بوالده الملك المؤيد وهى من غرر القصائد [من الطويل] :

هَنَاء مَحاذاك العزاء المقدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّما

ثُغُورُ ابتسام فى ثُغُورُ مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السَّبْق منهما

نرد مجارى الدمع والبشرُ واضحٌ كوابلِ غيثٍ فى ضحى الشمس قدهمى

والفاتح لهذا الباب أبونُوَاس ، وقيل : أبوالشيص، حيث قال يهنىء الأمين بالخلافة ويعزيه بالرشيد [من المنسرح] :

جرَتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنحس فالناسُ فى وحشةٍ وفى أُنس

والعينُ تبكى والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحنُ فى مأتم وفى عُرْس

يضحكها القائم الأمين ويبـــكيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران بدرٌ أضحى ببغداد فى الـــخلد و بدرٌ بطوس فى الرَّمس

ومنه قول صالح بن عبد الله القدوس [من المديد] :

رب مغْرُوسٍ بلذّته فقدتهُ كفُّ مغترسهْ

وكذاك الدهر مأتمه أقربُ الأشياء منْ عُرُسِهْ

وقول يعقوب بن الربيع [من الكامل] :

أتتِ البشارةُ والنعيُّ معاً ياقربَ مأتمها من العُرْس

ولأبى دُلامة يعزّى بالمنصور ويهنىء بالمهدى [من الكامل] :

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف

تبكى وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ماتعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ويسرها أن قام هذا الأرأف

ماإن رأيتُ كما رأيتُ ولاأرى شـمراً أرجِّلُهُ وآخر ينتف
هلك الخليفة يا لأُمَّة أحمدٍ وأتاكم منْ بعده من يخلفُ
أهدى لهذا الله فضل خلافةٍ ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبى الجنوب يرثى المعتصم ويهنىءالواثق [من الوافر] :

أبو إسحاق مات ضُحى فَهُنَّا وأمسينا بهارون حُبِينَا
لئن جاء الخميس بما كرهنا فقد جاء الخميس بما هَوِينَا

و بديع قول ابن قلاقس [من الكامل] :

خلف السعيد به الشهيد فأدمعٌ مُنْهَلَّةٌ فى أوُجهٍ تتهلل
ملكان هذا راحلٌ وثناؤه باق ، وذا باق ثَنَاه يَرْحَلُ

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين مايُزْرِى بمطالع البدور ، ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور

فمن ذلك قول القاضى الفاضل [من الكامل] :

زار الصباحُ فكيف حالكَ يادجى قم فاستذم بفرعه أو فالنَّجَا

وقوله أيضاً يخاطب العاذل [من البسيط] :

أخرِج حديثكَ من سمعى فمادخلاَ لاترْمِ بالقول سَهْماً رُبَّمَا قتـلا

وما ألطف ماقال بعده :

ولايخفَّ على قلبى حديثُك لى لا والذى خلقَ الانسان والجبلا

وقوله [من المتقارب] :

سمِعتُك والقلبُ لم يَسْمَعِ فـكم ذا تَقُولُ وكم لا يعى
يقول وما عندَه أننى بغير فؤاد ولا أضلع
أما معَ هذا الفتى قلبُهُ فقلتُ نعم يافَتَى ما مَعِى

وقول ابن النبيه [من البسيط] :

يا ساكنى السَّفح كم عينٍ بكم سفحت نزحتم فهْىَ بعدَ البُعْدِ قد نزحت

وقوله [من الطويل] :

رنا وانثنى كالسيفِ والصَّعْدَة السَّمْرَا فما أكثر القتلى وما أرخصَ الأسْرَى

وقول ابن قلاقس [من البسيط] :

كم مُقلة للشقيق الغضِّ رمداءِ إنسانها سابحٌ فى دمع أنداءِ

وقوله [من الطويل] :

قِفَا فالأسى منى زفيرا وأدمعا أكانا لهُمْ إلا مصيفاً ومربعَا

وقول الظهير البارزى [من الطويل] :

يذكّرنى وجدى الحَمَامُ إذا غنَّى لأنا كلانا فى الهوَى نعشَقُ الغُصْنَا

وقول ابن العفيف [من الوافر] :

أعزَّ الله أنصار العيون وخلّدَ ملكَ هاتيك الجفون

وما أظرف ماقال بعده :

وضاعفَ بالفتور لها اقتداراً وجدَّدَ نعمة الحُسن المصُون

وصانَ حجابَ هاتيكَ الثنايا وإن ثنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجون

وأسبغَ ظل ذاكَ الشعر يوماً على قدٍّ به هَيَفُ الغصون

وخلّد دولة الأعطافِ فينا وإن جارتْ على القلب الطعين

وقوله أيضاً [من الوفر] :

أدام الله أيام الوصال وخلد عُمرَ هاتيك الليالى

وأسبغ ظل أعطاف التدانى وزاد قدُودها حسناً اعتدال

ولازالت ثمارُ الوَصل فيها تزيدُ لطافةً فى كل حال

ولا بَرِحَتْ لنَا فيها عيُونٌ تغازلُ مقلتى خَشْفِ الغزال

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل]:

حُرُوف غرامى كلّها حرفُ إغراء على أن سقمى بعضُ أفعال أسماء

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أهلاً بطيفكم وَسهْلاً لو كنْتُ للإغفاء أهـلاً

لـكنّهُ وافى وقد حلَفَ السُّهادُ عليَّ أن لا

وقوله [من مخلع البسيط]:

ويلاه من نَوْمىَ المشَرَّدْ وآه من شمـلىَ المُبَدَّدْ(١)

وقول ابن عنين [من الـكامل]:

ماذا على طيفِ الأحبةِ لوسَرَى وعليهمُ لوسامحُونى بالـكرى

وقول ابن نباتة المصرى [من البسيط]:

فى الريق سكر وفى الأصداغ تجعيدُ هذِى المدام وهاتيكَ العناقيدُ

وقوله [من الوافر]:

بدَا ورنَتْ لوَاحظُهُ دلالا فما أبهى الغزَالةَ والغزَالا

وقوله أيضاً [من البسيط]:

سلبْتَ عقلى بأحداق وأقداح ياساجىَ الطَّرفِ أو يا ساقى الرّاح

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط]:

سَكْرَانُ من مُقلَة الساقى وقهوتِهِ فاترُكْ مَلاَمك فى السُّكرين ياصاح

وقوله [من البسيط]:

إنسان عينى بِتَعجيل السُّهادِ مِلى عَمْرِى لقد خُلقَ الإِنْسانُ من عجل

وقوله [من الخفيف]:

---

(١) سيأتى هذا المطلع مع جملة أبيات من القصيدة فى (ص ٢٥٩)

قامَ يرنو بِمقلة كحلاءِ عَلَّمَتْنِي الجنونَ بالسوداء

وقوله [من البسيط] :

نفس عن الحب ماحادت وماغفلت بأىّ ذنب ـ وقاك الله ! ـ قد قتلت

وقوله [من البسيط] :

لامُ العذار أطالت فيك تسهيدى كأنها لغرامى حرفُ توكيد

وقول الصفى الحلى [من الطويل] :

قفى ودّعينا قبل وشكِ التفرّقِ فما أنا من يحيا إلى حين نلتقى

وقول الوداعى [من المنسرح] :

بدر إذا ما بَدَا مُحيَّاه أقول ربى وربُّكَ الله

وقول ابن نباتة معارضاً له [من المنسرح] :

له إذا غازَلتكَ عيناه سَهْمُ لحاظٍ أجارك الله

وقول الحاجرى [من الكامل] :

لك أن تشوقنى إلى الأوطان وعلى أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب [من الكامل] :

قلّدْتُ يومَ البين جيدَ مودِّعِي دُرَراً نظمْتُ عقودَها من أدمعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع ، وعنانَ البيان عن الركض مع فرسان هذه المعامع

* * *

شاهد حسن التخلص

٢٢٢ — يقول فى قُومس قَوْمى وقدْ أخذَتْ مِنَّا السّرَى وخُطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ

أَمَطْلعَ الشَّمْسِ تبغى أن تؤُمَّ بِنا فقُلْتُ كلاّ ولكن مطلعَ الجودِ

البيتان من البسيط ، وقائلهما أبو تمام ، فى عبدالله بن طاهر ، ولهما خبر يذكر

حدث محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى الفضل قال : لما شخص أبو تمام إلى عبدالله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلد ، وقد كان عبدالله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم تمسها بيده ترفعاً عنها ، فأغضبه ، وقال : يحتقر فعلى ، ويترفع على ، فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام [من البسيط] :

لم يَبْقَ للضيف لا رسمٌ ولا طللُ ولاقشيبٌ فَيُستَكْسَى ولا سَمَل

عدلٌ مِنَ الدمعِ أن يبكى المضيف كما يُبْكَى الشبابُ ويبكى اللهوُ والغزل

يمنى الزمان انقضى معروفُها وغدت يُسْراه وَهْىَ لنا من بعْدِهِ بدَل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبدالله بن طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبدالله ابن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله ، وضمن له مايحبه ، ثم دخل إلى عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقى من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف له بنزوعه إليك عن الوطن ، وفراقه للسكن ، عاقداً بك أمله ، معملا إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفى ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ماسمع إلا قوله « وأنشد البيتين المستشهد بهما ، فقال له عبدالله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبى تمام العتبى ، ادعهُ ياغلام ، فدعا به ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفى دينار ، ومايحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر بتدرقته إلى آخر عمره

وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول [من البسيط] :

يقول صحبي وقد جدُّوا على عجل والخيل تَستَنُّ بالركبان فى اللُّجم

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو إسحاق الغزى فقال [من الوافر] :

تقول إذا حثثناها فظلت تناجينا بألسنة الكلال

إلى أفق الهلال مسير ركبى فقلنا بل إلى أفق النوال

وقومس ـ بضم القاف وآخرها سين مهملة ـ صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل ، والمهرية ـ بفتح الميم ـ الابل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، واحدها أقود

والشاهد فيهما : حسن التخلص ، وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود ، مع رعاية الملاءمة بينهما ، وهو قليل فى كلام المتقدمين

وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على علاته هرم

ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر [من الطويل] :

تقول التى من بيتها خف محملى يعز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى إثرهن عبير

دعينى أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب نزور

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير(١)

وقوله [من الكامل] :

وإذا جلست إلى المدام وشربها فاجعل حديثك كله فى الكاس
وإذا انتزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس
وإذا أردت مديحَ قوم لم تَمِنْ فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أجدكِ هل تدرين كم رب ليلة كأن دُجاها من قُرونك تُنْشَرُ
لهوتُ بها حتى تجلَّتْ بغرة كغُرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبى تمام من قصيدة [من الكامل] :

فالأرض معروف السماء قرى لها وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله [من الكامل] :

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله [من الوافر] :

غدا بك كلُّ خلوٍ مستهاما وأصبح كل مستور خليعَا
أحبك أو يقُولوا جرَّ نَمْلٌ ثبيرًا وابن إبراهيم رِيعَا

وما أحسن قول البحترى [من الطويل] :

رياض تردت بالنبات مَجُودَةَ بكل جديدِ الماء عذب الموارد
إذا راوحتها مُزْنَةٌ بكرت لها شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت عليها بتلك البارقات الرواعد

(١) الذى فى ديوانه وفى الموازنة ، وهو المحفوظ :

* ولكن يسير الجود حيث يسير *

ووقع فى وفيات الأعيان (١ — ١٢٠ بتحقيقنا) كما هنا

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة [من الكامل] :

ومَطَالِبٍ فيها الهلاكُ أتيتها ثبْتَ الجنان كأنني لم آتها

ومَقَانِبٍ بمقانب غادرتها أقواتَ وحشٍ كنّ من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله يمدح ابن عامر ، ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته ، من قصيدة [من الطويل] :

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حُلَلٌ حُمْرُ

وليلٍ وصلناه بيوم كأنما على متنه من دَجْنِهِ حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامراً علاً لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

خليليّ مالى لا أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى وَمنى القصائد[1]

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبى العلاء من قصيدة [من الوافر] :

ولو أن المطى لها عقول وحقك لم نَشُدَّ لها عِقَالاَ

مواصلة بها رحلى كأنى من الدنيا أريد بها انفصالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهنّ فالا

وقول النامى [من الطويل] :

وليل له نجم كَلِيلٌ عن السُّرَى تحيَّر لا يَهْدى لقصد ولا يُهْدَى

كأنِّىَ وابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد

إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه وَرْساً عُلَّ بالعنبر الوردى

وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد

فقلت أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سداً على سد

(١) يروى « فكم منهم الدعوى »

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة [من الوافر] :

ألا ياماء دجلة لست تدرى بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا بِمَ استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شىء يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله [من الوافر] :

وقد بادلتها فمبالها لى بمشورة استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمى يمدح سيف الدولة بن مزيد [من البسيط] :

تسعى السقاة علينا بين منتظر بلوغ كأس ووثاب فمستلب
كأنما قولنا للبابلىّ أدِرْ سُلَافَةً قولُنَا للمزيدى هَبِ

وقوله يمدح فخر الملك [من الوافر] :

أرى كبدى وقد بردت قليلا أمات الهمُّ أم عاش السرور
أم الأيام خافتنى لأنى بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها [من الكامل] :

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ردّوا فؤادى يوم كاظمة معى
إن شاء بعدهم الحيا فَلْيَنْسَكِبْ أو شاء ظل غمامة فَلْيُقْلِعِ

يقول فيها :

فَمَقيل جسمى فى ظلال ربوعهم كاف ، وشربى من فواضل أدمعى

لزمت جفونى فى الديار فأخصبت فتنيت أن أرِدَ المياه وأرتعى

فكأن دمعى مدّ من أيدى بنى عبد الرحيم ومـاؤها المتنبع

وكأن ليلى من تفاوت طوله أسيافهم موصولة بالأذرع

وقول الأرجانى يمدح ولىّ الدين الكاتب من قصيدة [من الخفيف] :

تركتنى معانيـا لمعـانِ وأعادت أعاديا أصدقائى

كدرت مشربى وقد كان عين الـ شمس والماء دونه فى الصفاء

بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا تتثنى كالبـانة الغنّـاء

وأمورى كأنها ألفـاتٌ خطهن الولىُّ فى الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الأنبارى مترسل الخلافة من قصيدة [من البسيط] :

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل ولا فؤادى على ما سُمْتِ صبَّارُ

إلا لأنك مِنّى اليومَ نازلةٌ بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائى من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

إذا لم يخن صب ففِيمَ عتابُ وإن لم يكن ذنب فمّ يُتابُ

أجل مالنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غيرَ الصدود عقابُ

يقول فى مخلصها :

فلا تكثرن شكوى الزمان فإنما لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا إلى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى [من الكامل] :

بتنا نظن الليل ما اكتسب الدجى حتى نماه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها ... بدرُ اللآلى نُضِّدَتْ لنظام
والصبح قد صَدَعَ الظلامَ كراية ... بيضاء فى سود من الأعلام
أو رأى مولانا الوزير إذا احتبى ... يمحو ظلامَ الشك فى الأحكام

وقال بعده مع الزيادة فى الغلوّ :

ودّ الهلال لو أنه لجواده ... نعل وحافره أوان تمام
تا لله لو أصفى هواه مشرك ... لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ! ! :

ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى فى قصيدته البديعة التى منها [من الطويل]

بعيشك نبه كأسه وجفونه ... فقد نبه الابريق من بعد ماأغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها ... وقد قام جيشُ الليل للصبح واصطفّا
وولَّتْ نجومٌ للثريا كأنها ... خواتيم تبدو فى بنان يدٍ تَخْفَى
ومَرَّ على آثارها دبرانها ... كصاحب ردء كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية ... بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل ... بوَجْرَةَ قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهَيلا فى مَطَالع أفقه ... مفَارِقُ إلفٍ لم يجد بعده إلفا
كأن سُهَاها عاشق بين عُوَّدٍ ... فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن المزيع الآبنوسى وَهْنَةً ... سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلة ... صريعُ مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا ... على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له ... لوا آن مركوزان قد كَرِهَ الزَّحفا

كأن قُدَامَى النسرِ والنسرُ واقعٌ ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوَّم طائراً أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدلُ مرقب يفتش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرّة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى [من الطويل] :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خِشْفَا فانا لمحنا فى مراتعها ظِلْفَا
وقولا لخوط البان فاتمسك الصبا علينا فانا قد عرفنا بها عَرْفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة فما ظهرت إلا وقد كاد أن يخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفاً
وهاتفة فى البان تملى غرامها علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها وما فهموا مما تغنَّتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا ولا خَضَبَتْ كفا
أجارتنَا أذكَرْتِ من كان ناسياً وأضرمْتِ نارا للصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى ترِدينَهُ مواعيدُ ما يُنْكِرن ليًّا ولا خُلْفَا
ومهزوزة للبان فيها شمائل جعلن له فى كل قافية وصفا
لبتنا عليها بالثنية ليلة من السود لم يطوا الصباح لها سجفا
لعمرى إن طالت علينا فاننا بكم الثريا قد قطعنا لها كَفًّا
رمينا بها فى الغرب وهى رميمة ولم نبق للجوزاء عِقْدًا ولا شَنْفَا
كأن الدجى لما تولَّتْ نجومه مدبِرُ حربٍ قد هزمنا له صفا

كأن عليه المجرة روضة ... مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا

كأنا وقد ألقى إلينا هلاله ... سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا

كأن السها إنسان عين غريقة ... من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا

كأن سهيلا فارس عاين الوغى ... ففرّ ولم يشهد طرادا ولا زحفا

كأن سنا المريخ شعلة قابس ... تخطفها عجلان يقذفها قذفا

كأن أفول النسر طرف تعلقت ... به سِنَةٌ ماهبّ منها ولا أغفى

كأن نصير الملك سلّ حسامه ... على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو، وهى بديعة فأحببت أن أعزز هاتين القصيدتين بها، ومطلعها [من الطويل] :

أمن بارق أورى بجنح الدجى سِقْطًا ... تذكرت مَنْ حلّ الأبارق فالسقطا

يقول فيها بعد أبيات :

وكم ليلة قاسيتها نابغيَّةٍ ... إلى أن بدت شيباً ذوائبها شُمْطَا

و بت أظن الشهب مثلى لها هوى ... وأغبطها فى طول ألفتها غبطا

على أنها مثلى عزيزة مطلب ... ومن ذا الذى ماشاء من دهره يُعْطَى

كأن الثريا كاعب أزمعتْ نوى ... وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا

كأن نجوم الهقعة الزهر هَوْدَجٌ ... لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا

كأن رشاء الدلو رشوة خاطب ... لها جعل الأشراط فى مهرها شرطا

كأن السُّهَا قد دقّ من فرط شوقه ... إليها كما قد دقّقَ الكاتب النقطا

كأن سهيلا إذ تناءت وأنجدت ... غدا يائسا منها فأتهم وانحطا

كأن خفوق البرق قلبُ متيمٍ ... تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا

كأن كلا النسرين قد ريع إذ رأى ... هلال الدجى يهوى له مخلبا ملطا

كأن الذى ضم القوادم منهما هوى واقعا للأرض أوقص أوقطا

كأن أخاه رام فوتا أمامه فلم يَعْدُ أن مَدَّ الجناحين وارتطّا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة [من الطويل] :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه علىّ طبيبى

ولى عائدات شقّتهن فجُنّ فى لباسِ سوادٍ فى الظلام قشيبِ

نجوم أراعى طولَ ليلىَ برجها وهن لبعد السير ذات لغوب

خوافق فى جنح الظلام كأنها فؤاد مُعَنَّاة بطول وجيب

ترى حوتَها فى الشرق ذات سباحة وعقربها فى الغرب ذات دبيب

إذا ماهوى الإكليل منها حسبته تهدل غصن فى الرياض رطيب

كأن التى حول المجرة أوردت لتكرع فى ماء هناك صبيبَ

كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى شجاعة مقدام بجبن هَيُوبِ

كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقوب

كان سواد الليل فى ضوء صبحه سواد شباب فى بياض مشيب

كأن نذير الشمس يحكى ببشره علىّ بن داود أخى ونسيبى

ولولا اتقائى عَتْبَهُ قلت سيدى ولكن يراها من أجلّ ذنوبى

نسيب إخاء وهو غير مناسب قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضى الفاضل ، من قصيدة يمدح بها خليفة القاطميين فى ذلك العصر مطلعها [من الطويل] :

ترى لحنينى أو حنين الحمائم جرَتْ فحكت دمعى دموعُ الغمائم

وما أحلى قوله بعده :

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا | وإن كان يَهْفُو بالغصون النواعم
تأخَّرْتُ فى حمل السلام عليكم | لديها لما قد حمات من سمائم
فلا تسمعوا إلا حديثاً لناظرى | يعاد بألفاظ الدموع السواجم
فان فؤادى بعدكم قد فطمته | عن الشعر إلا مدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية نبوية مطلعها [من مخلع البسيط]:

وَيْلَاهُ من نومىَ المشرد | وآه من شَمْلِىَ المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال:

أكسبنى نشوةً بطَرْفٍ | سكرتُ من خمرِهِ فعربد
غصن نقا حلَّ عقْد صبرى | بلين خصرٍ يكاد يُعْقَدْ
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم | صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها [من الوافر]:

لنا من رَبَّةِ الخالين جَارَهْ | تُوَاصِلُ تارةً وتَصُدُّ تارَهْ
تُعَاملنى بما يحلى سُلُوِّى | ولكن ليس فى جَوْفى مَرَارَهْ

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل إلى أن قال:

وقالوا قد خسرت الروح فيها | فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادى | كما نشأ اللهيب من الشراره
ويفتك طرفها فيقول قلبى | أشَنَّ ترى صلاحُ الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد [من الرمل]:

ظبية حكم ظُبَا مقلتها | عزة الظبى وذل الأسد
كنت فى ذاك الهوى مجتهدا | وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسناً فلولا بخلها | خلتها بعض خلال الأمجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محموداً عين الأمراء بالديار المصرية [من البسيط]:

ماذا على العيس لو عادت بربتها بقدر ما نتقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمرٍ عَنّ في خَلَدِي وسَمْهُ في بديع الحسن ترديدا
وقف أبثك مالان الحديد له فان صدقت فقل لى كنت داودا
حلت عرى النوم من أجفان ساهرة ردالهوى هدبها بالحسن معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها فأذكرتنيَ موسى والجلاميدا
يا ثعلب الهجر يا سِرْحان أوله كُل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر درر هذا النظم إلى أن قال :

مالى وما للقوافى لا أسَيِّرُها إلا وأقعد محروماً ومحسودا
أسكرتهم بكؤوس النظم مترعة ولم أنل منهم إلا العرابيدا
سمعت بالجود مفقوداً ونائله يقول لى قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى [من الوافر] :

سقى مصرا وساكنها بوبل صليل البرق صخاب الرعود
موارد من له ظمأ شديد ولكن لا سبيل إلى الورود
هل الرأى السديد البعد عنها نعم إن كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سناء الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى [من الكامل] :

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه أرأيتم من ضن حتى بالضنا
ياعاذلين جهلتم قدر الهوى فعذلتم فيه ولكنى أنا

إنى رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا علىّ إذا هويت الأحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقاً أن هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها [من الطويل] :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش مذمم
و باتت يدى فى طاعة الحب والهوى وشاحاً لخصر أو سواراً لمعصم
سعدت ببدر خَدُّه بُرْجُ عقرب فكذب عندى قول كل منجّم
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا بأوضح منه حجة عند لوّمى
ولا سيما لما مررت بمنْزل كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى إلا بعود أراكة تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم شهى لقلبى لثم آثار منسم
ولم ير طرفى قط شملا مبدداً فقابله إلاّ بدمع منظّم
ولم يسل قلبى أوفمى عن غزالة وعن غزل إلا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الأمير ناصر الدين الملطى مطلعها [من الطويل]:

لها خَفَرٌ يوم اللقاء خفيرُها فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها :

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابةً لعلى إذا نامت بليل أزورها
من الغيدِ لم توقد مع الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة مُرَوَّعة لم يبق إلا يسيرها

و إن الذى أبقته منها يَدُ الهوى فداء بشيرٍ يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها [من الكامل] :

عرف الحبيبُ مكانه فتدللا وقنعت منه بزورة فتعللا

وافى الرسول ولم أجد فى وجهه بشراً كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائماً فى طريقته الغرامية إلى أن قال :

آها لقلب ما خلا من لوعة أبدا يحن إلى زمان قد خَلاَ

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى لو لم تبادره الدموع لأشعلا

ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل فى الغرام وإنما يأبى صلاح الدين أن أتذللا

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها [من البسيط] :

باكر صَبُوحَك أهنى العيش باكرُهُ فقد ترنم فوق الأيك طائرُه

والليل تجرى الدرارى فى مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها :

واجسر على فُرَصِ اللذات محتقرا عظيم ذنبك إن الله غافره

فليس يخذل فى يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصة الموسوية من قصيدة مطلعها [من السريع] :

يا نار أشواقىَ لا تخمدى لعل ضيف الطيف أن يهتدى

إلى أن قال :

غازلنا من نرجس ذابل وافتر عن نَوْرِ أقاح نَدِى

وقام يَلْوِى صُدْغه قائلا لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه [من البسيط] :

ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه [من الكامل]

بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل راياته رنك الأمير الأشرف(١)

وقوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

يذود شَبَا القنا عن وجنتيها كمنع الشوك للورد الجنى
إذا مارمتُ أقطفه بعينى يقول حذار من مرعى وَبِىّ
لسان السيف من أدنى وُشَاتى ومن رقباى طرف السمهرىّ
كأنّ بجفنها فى كل قلب فعال المشرفى الأشرفى

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها [من البسيط] :

روح يمينك مما أنت معتقل أمضى الأسنة ما فولاذه الكَحَلُ
يامن يرينا المنايا واسمها نَظَر من السيوف المواضى واسمها مُقَلُ
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس من دونها قُضُبٌ من دونها أَسَلُ
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا كأن ذِكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ
من كل ذى طُرَّةٍ سوداء يلبسها وشَيْبُهَا من غبار الحرب متصل

(١) كذا

ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّوَلُ

وقول أبى الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة [من الطويل]:

وهيفاء تحكى الظبى جيداً ومقلةً رَنَتْ وانثنت فارتَعْتُ بالبِيض والسُّمر

جسرتُ على لثم الشقيقِ بخدها ورشف رُضَابٍ لم أزل منه فى سكر

ولست أخاف السحر من لحظاتها لأنى بموسى قد أمِنْتُ من السحر

فتى إن سطا فرعونُ فقرٍ وجدتَهُ يغرقُه من جود كفيه فى بحر

له باليد البيضاء أعظم آية إذا اسودت الأيام من نُوَبِ الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة [من الطويل]:

وكم ليلة قد بتها مُعْسِراً ولى بزُخرف آمالى كنوز من اليسر

أقول لقلبى كلما اشتقت للغنى إذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد وهو غاية هناء، وهو [من السريع]:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرفُ الغمض ولا نستريح

واختلف الأصحاب ماذا الذى يزيل من شكواهم أو يريح

فقيل فى تعريسهم ساعة وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذى الرمة [من الطويل]:

ونشوان من طول النعاس كأنه بحبلين من مشطونة يترجح

إذا مات فوق الرحل أحييت روحه بذكرك والعيس المراسيل جُنَّحُ

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله [من السريع]:

فى ذمةِ الله وفى حفظهِ مسراك والعَوْدُ بعزم نجيح

لو جاز أن تسلك أجفاننا إذن فرَشْنا كل جفن قريح

لكنها بالبعدِ مُعتلة وأنت لا تسلكُ إلا الصحيح

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

صدقوا قد نظروا الورد مسبج   هل رأوه فى عذار من بنفسج
عشق الناس ولا مثل الذى   هِمْتُ وجداً فيه فانظر وتفرّج
من رأى بدراً وغصنا ونقًا   قد تجلَّى وتثنى وترجرج
وجهه نسخة حسنٍ حرِّرت   ولها من عارض سطر مخرج
ذو وشاح مثل قلبى قلق   وإزار مثل صدرى منه محرج
وأصمّ فتحتْ أسماعه   بقواف كم بها يُفْتَحُ مُرْتَج
قال : شعر لك ، أم درّ ؟ على   أنه أبهى من الدرّ وأبهج
قلت : تاج الدين فيه وصفه   قال : هذا ملك الشعر المتوَّج

وقول ابن نباتة ، يمدح قاضى القضاة ، تاج الدين السبكى ، من قصيدة [من البسيط] :

قد أسرج الحسن خدَّيه فدونك ذا   سراج خد على الأكباد وَّهاج
وألجم العذل فاركب فى محبته   طِرْفَ الهوى بعدَ إلجام وَإسراج
وقسم الشعر فاجعلْ فى محاسنهِ   شَذرَ القلائد واهْدِ الدرّ للتاج

وقول القيراطى ، يمدح سيف الدين الكريمى من قصيدة [من الوافر] :

فموعدهُ وناظرهُ وجسمى   سقيمٌ فى سقيم فى سقيم
كَرِيمٌ مالَ بخلاً عن ودادى   فَمِلْتُ لنحو مخدوم كريم

وقول ابن حجة(١) فى ممدوحه صدقة [من المنسرح] :

طرقت باب الحبيب والرقبا   عليه من خيفة اللقا حنقَهْ
قالوا فما تبتغى فقلت لهم   حتى تخلصت أبتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية [من الخفيف] :

---

(١) فى نسخة « ابن حجلة »

حاولتْ زورتى فنمَّ عليها قُرْطها فى الدجى ومسك الغُلَالَهْ
ثم لما أن سَلَّمَتْ أذكرتنى مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المخالص البديعة إلى غيرها ، فالشرح قد طال ، وربما يحدث منه الملال .

* * *

شاهد الاقتصاب

٢٢٣ — لوْ رأى الله أنَّ فى الشيب خيراً جاوَرَتهُ الأبرارُ فى الخلدِ شيبًا
كل يوْمٍ تُبدِى صروفُ الليالى خلقاً من أبى سعيد رَغيبًا[1]

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها :

من سجايا الطلول أن لا تجيبا فصوابٌ منْ مُقلتى أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جوابا تجدم الشوْق سائلا ومجيبًا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبًا
أكثر الأرض زائراً ومزورا وصعوداً مِنَ الهوَى وصبوبًا
وَكعاباً كأنما ألبستها غفَلاتُ الشبابِ برداً قشيبًا
بينَ البين فقدها قلما تعرف فقداً للشمس حتى تغيبًا
لعبَ الشيب بالمفارق بل جدّ فأبكى تماضراً ولعوبًا
خضبت خدّها إلى لؤلؤ العقد دَماً أن رأت شوَاتى خضيبًا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبًا
يا نسيم الثُّغام ذنبُكَ أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبًا

(١) المحفوظ * خلقا من أبى سعيد غريباً *

ولَئن عِبْنَ ما رَأينَ لقـد أنـــكرن مستنكراً وعبْنَ معيبًا

أو تصدَّ عن قلى فكفى بالــــشيب بينى وبينهنَّ حسيبًا

و بعده البيتان ، والرواية فى الديوان «فضلا» بدل «خيراً» ، والقصيدة طويلة.

والشيب — بكسر الشين المعجمة — جمع شائب[1] ، والرغيب : الواسع.

والشاهد فيه : الاقتضاب ، ويسمى : الاقتطاع، والارتجال ، وهو : أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى مالا يلائمه ، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، مثل : لبيد، وحسان ، والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم فى ذلك ويجرون على مذهبهم ، كأبى تمام هنـا ، والبحترى بقوله من غير ارتباط بمـا قبله [من الطويل] :

وَرَدْنا إلى الفتح بن خاقان إنه أعمُّ ندًى منكمْ وأيْسرُ مطلبا

وهو كثير فى شعره ، حتى إنَّ السلمانى الشاعر عرّض به فى قوله [من مجزوء الكامل] :

يغتابنى فاذا التفـــتُّ أبان عن محض صحيح

وَثْبًا كوثب البحترى من النسيب إلى المديح

وكأبى نواس ، وهو الغالب على شعره ، كقوله يمدح الأمين بن الرشيد [من المديد] :

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السَّكَنِ

سنة العشاق واحـــدة فاذا أحببتَ فاستكن

ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى علىَ الظنن

قَامَ لاَ يعنيه ماَ لقيتِ عين ممنوع من الوسن

---

(١) صوابه جمع أشيب كبيض من جمع أبيض

رَشأٌ لولاَ ملاحتهُ خلَتِ الدنيا من الفِتَنِ
ما بدا إلا استرَق له حسنهُ عبداً بلا ثمن
فاسقنى كأساً على عذَلٍ كرهَتْ مسموعَه أذنى
من كميت اللون صافية خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى فَدَرَى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا إلى ملك قاَمَ بالآثار والسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل إلى المديح من غير تخلص .

***

شاهد حسن المقطع

٢٢٤ — وَإنى جدِيرٌ إذْ بلغتك بالمنى وأنتَ لما أملتُ منكَ جديرُ
فانْ تولِنِى منكَ الجميلَ فأهله وَإلا فانى عاذرٌ وشكُورُ

البيتان لأبى نواس ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها الخصيب صاحب مصر ، أولها :

أجارَةَ بيتينا أبوكِ غيُور ومَيْسُورُ مايُرْجَى لدَيكِ عسير
فان كنت لاخلمًا ولاأنت زوجة فلا برِحَتْ دونى عليك ستور
وجاورت قوما لاتجاور بينهم ولاوصلَ إلا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربَةَ لازبٍ ولا كل سلطان على قدير
وإنى لطرف العين بالعين زاجر فقد كنت لايخفى على ضمير

وهى طويلة ، وتقدم ذكر شىء منها فى حسن التخلص، وقد عارضها أحمد

ابن دَرَّاج القَسْطَلِّيُّ بقصيدة طنانة ، منها [١] [من الطويل] :

ألم تعلمى أن الثواء هو التَّوَى ... وأن بيُوت العاجزين قبُورُ

تخوفنى طولَ السفار وإنه ... لتقبيل كف العامرى سفير

دعينى أرد ماء المفاوز آجنا ... إلى حيث ماء المكرمات نمير

فان خطِيرات المهالك ضُمَّن ... لراكبها أن الجزاء خطير

ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبرىَ منها أنة وزفير

تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبغوم النداء صغير

عَيِىٌّ بمرجوع الخطاب ولحظُه ... بموقع أهواء النفوس خبيرُ

فكل مفَدّاة الترائب مرضع ... وكل مُحَيَّاة المحاسن ظِـيرُ

عصيت شفيع النفس فيه فقادنى ... رَواحٌ لتدآب السرى وبكور

وطار جناح البين بى وهَفَتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير

لئن ودعت منى غيوراً فاننى ... على عزمتى من شجوها لغيور

ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى ... على ورقراق السراب يمور

أسلط حرَّ الهاجرات إذا سطا ... على حُرِّ وجهى والأصيل هجير

وأستنشق النكباء وهى لواقح ... واستوطىء الرمضاء وهى تفور

وللموت فى عين الجبان تلون ... وللذعر فى سمع الجرىء صفير

لبان لها أنى من الضيم جازع ... وأنى على مض الخطوب صبور

ولو أبصرت بى والسرى جل عزمتى ... وجرسى لجنان الفلات سمير

وأعتسف الموماة فى غسق الدجى ... وللأسد فى غيل الغياض زئير

---

(١) ذكر الكثير منها القاضى ابن خلكان فى وفيات الأعيان فانظره (١/ ١٢٠ بتحقيقنا)

وقد حومت زهر النجوم كأنها كواعب فى خضر الحدائق حُورُ

ودارت نجومُ القُطْب حتى كأنها كؤوس مَهاً والىْ بهن مُديرُ

وقد خُيِّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير

وثاقب عزمى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتور

لقد أيقنتْ أن المنى طوع همتى وأنى بعَطْفِ العامرى جدير

قال ابن فضل الله : ومَنْ وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبى نواس عرف فضل قائلها على من تقدم ، وشهد له بأنه سَبَق وإن تأخر ، وجزم بأن الرجال معادن ، وأن لكل زمان محاسن ، ولم يشك أن الخواطر موارد لاتنزح ، وأن الأفكار مصابيح لاتطفى ، وأن الأفهام مَرَاءٍ (١) لاتتناهى صورها، وأن العقول سحائب لاينفد مطرها ، وعلم أن المعانى غير متناهية ، والفضائل غير متوارية ، وإن أم الليالى لوَلُود ، وإن الفضل فى كل حين لمشهود ، وإن هذا الشاعر فى قصيدته هذه التى عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ، ولا عارضة تذكر ، وإنه لحقيق أن ينشد [من الطويل]

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

يروى أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه ، فلما فرغوا قال الخصيب : ألا تنشدنا ياأبا على ، فقال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تَلْقَفُ مايأفكون ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتزَّ لها وأمر له بجائزة سنية

وفى كتاب آداب الغرباء أن أبا نُوَاس كان عائداً من الشام إلى بغداد، قال : فانى على ظهر فرسى إذ ترنَّمت بهذه الأبيات * تقول التى من بيتها خف محملى * الأبيات المارة فى حسن التخلص ، قال: فسمعت ورائى شهْقَة ، فالتفت، فاذا شيخ

---

(١) الصواب أن يقول « مرايا» مثل وخطايا .

عليه أطمار رثة يقود فرساً أعجف ، وهو منتجد سيفه ، فقال لى : أعد يا أبا نواس هذه الأبيات ، فأعدتها ، فقال : لمن هذه ؟ قلت : لى ، امتدحت بها الخصيب أمير مصر ، قال : ما أرفدك ؟ قلت : إنه ملأ فِيَّ جوهراً بعته بمائة ألف درهم ، قال : أتعرفه ؟ قلت : نعم ، قال : أنا والله الخصيب ، فلما عرفته نزلت عن دابتى وقبلت يده ورجله ، فقال : لاتفعل ، ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره ، فقال لى : قولك الدائرات تدور ، قال : فدفعت إليه جميع ما كان معى من مركوب ونفقة وثياب ، وسألته قبول ذلك ، فأبى وقال : والله لاأخذت من يد أرفدتها ، ثم ركب دابته وتركنى ومضى

وحدث معاوية بن صالح الطبرانى قال : ماج الناس فى مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيبَ وهو يشرب مع أبى نواس ، فقال : دعنى أيها الأمير أسكنهم ، فقال : ذلك إليك ، فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشهرات ، فقال [من الطويل]:

مَنَحْتُكمُ ياأهل مصر نصيحتى ألا فخُذُوا من ناصح بنصيب
ولاتَثِبُوا وثب السّفاه فتركبُوا على ظهر عارى الظهر غير ركوب
فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

قال : فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده

وحدث مطيعٌ خادمُ البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد إذ دخل أبو نواس ، فقال : أنشدنى قولك فى الخصيب :

فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده ، فقال الرشيد : ألا قلت « فباقى عصا موسى بكف خصيب » فقال أبونواس : هذا أحسن والله ، ولكنه لم يقع لى

وحكى إسماعيل بن أسباط قال : لما قال أبو نواس * منحتكم يا أهل مصر نصيحتى * رأى الخصيبُ فى المنام قائلا يقول : يا خصيب ، مافوق هذا المدح مدحٌ ، قال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ، قال : وما نبحة كلب ؟ قال : ألف ، قال : من أى الحجرين ؟ قال : من الصفر ، فلما أصبح صبح أبانواس بألف دينار ، فقال أبو نواس [من الكامل] :

أنت الخصيبُ وهذه مصر فتَدَفقَا فكلاكما بحر

وقال ابن قتيبة : لما قال أبو نواس *فان يك باق إفك فرعون فيكم* و بلغ الرشيد فقال : يا ابن اللخناء ، أنت المستخف بنبي الله موسى عليه السلام ، وقال لابراهيم بن نهيك : لايأوين أبو نواس عسكرى من ليلته ، فقال له : ياسيدى ، فأجل ثمود ، فضحك وقال : أجله ثلاثا ، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال : والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك ، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرشيد ، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة

قال أبوعبدالله حمزة : قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الأمين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة

والجدير : الخليق بالشيء

والشاهد فيهما : الانتهاء ، ويسمى حسن المقطع ، وحسن الخاتمة ، وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة ، لأنه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس

ومثل البيت الأول قول بعضهم [من الطويل] :

و إنى خليق من نداك بمثلها وأنتَ بما أمَّلتُ منكَ خليقُ

وقول الآخر [من الرمل] :

فجديرٌ أنا بالشكرِ كما أنتَ بالطَّول وبالحسنى جديرُ

وقول ابن شداد [من الخفيف] :

فجدير بالشكر أنت، فشكرى لك ، والحمد دائماً والثناء

* * *

شاهد حسن الانتهاء

٢٢٥ – بَقيتَ بَقَاء الدَّهرِ يا كهف أهله وهَذَا دُعَاء للبرية شَامِلُ

البيت من الطويل، ونسب لأبى العلاء المعرى، ونَسَبه ابن فضل الله لأبى الطيب المتنبي، ولم أره فى ديوان واحد منهما

والشاهد فيه: حسن الانتهاء

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة [من الطويل] :

فان يك ذنبٌ عَنَّ أوتَكُ هفوة على خطإٍ منى فعُذْرى على عَمْدِ

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة [من الوافر] :

فلاحطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فِراقا

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

ولا تزال لك الأيام ممتعة بالآل والحال والعلياء والعُمُر

وقول الأرجانى [من الطويل] :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانكَ فى هـذا الزمان فَريدُ

علاكَ سِوَار والممالك مِعْصَم وجودك طَوْقٌ والبرية جِيدُ

وقول إبراهيم الغزى [من الطويل] :

بقيت بقاء الدهر ماذرَّ شارق وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى [من الوافر]

بقيت لنا تجود مَدَى الليالى فانك مابقيت لنا بقينا

وقول الرستمى [من الطويل] :

بقيت مدى الدنيا وملكُكَ راسخٌ وظلُّكَ ممدود وبابُكَ عامرُ

يود سناك البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويَغْبِطُ نداك البحرُ والبحرُ زاخر
وهنئت أياما أتتك سعودُها كما تتوالى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه [من السريع] :

دمتم بنى أيوب فى نعمة تجوز فى التخليد حدَّ الزمانْ
والله لا زلتم ملوكَ الورَى شرقاً وغرباً وعلىَّ الضمانْ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

فلا زلت فى مُلكٍ جديد مؤيد تدينُ لكَ الدُّنيا وتصفُو لك الأخرى
ولا زال للأيام طَوْلٌ على الورى وما الطول إلا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سناء الملك [من البسيط] :

بقيت حتى يقول الناس قاطبة هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة [من الخفيف] :

فابق عالى المقام دانى العطايا قاهرَ البأس ظاهرَ الأنْباء
يتمنَّى عدوُّكَ العيشَ حتى أتمنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجياً حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام [من السريع] :

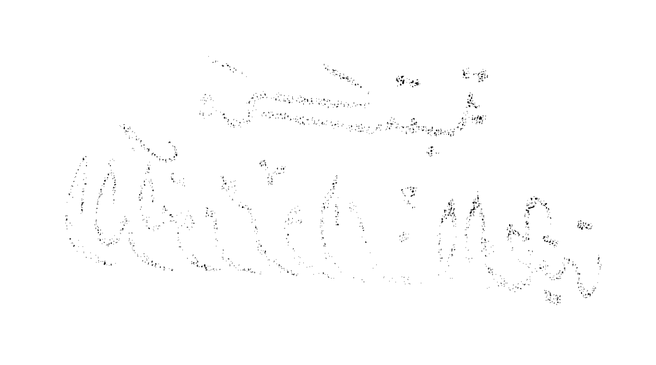
لازال مَنْ سُطِّرَ ذا باسمه يبقى بقاء الفَلَكِ الدائر
ومن يناويه يعش بائساً يسحب ذيل الخاسىء الخاسر

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تأليفه ، وتوشيته وتفويفه ، بالقاهرة المعزية ، عام واحد وتسعمائة ، ومن زَبْرِهِ وتحريره يوم الأربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته ، عام أربعة وثلاثين وتسعمائة ، وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ستره الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة ! وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ! !

قال أبو رجاء محمد محيي الدين عبد الحميد :

قد تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - كتاب « معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد إمام الهدى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين



فهارس كتاب

معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص

١ – فهرست بالموضوعات البلاغية

التى وردت الشواهد لإيضاحها

أولا — فى الجزء الأول

ثالثا — فى الجزء الثالث

رابعا — في الجزء الرابع

تمت فهرس الموضوعات البلاغية التي جيء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد فى كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» والحمد لله أولا وآخرا

٢ — فهرس الشواهد

المشروحة فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »
مرتبة على حروف الهجاء بحسب قوافيها

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف الهمزة	
٣١	١/١٧٨	ومهمه مغـــبرة أرجاؤه	كأن لون أرضـه سمـاؤه
٩٤	٢/٩٣	لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا	إلا بوجـه ليس فيه حياء
٩٦	٢/٩٥	والريح تعبث بالغصون وقد جرى	ذهب الأصيل على لجين الماء
١٠٧	٢/١٥٢	ويصعد حتى يظن الجهول	بأن له حاجـة فى السماء
١٢٦	٢/٣٠٠	مانوال الغمام وقت ربيع	كنوال الأمير يوم عطاء
		فنوال الأمـــير بدرة مال	ونوال الغمام قطـرة ماء
١٤٣	٣/٥١	لم يحك نائلك السحاب وإنما	حمت به فصبيبها الرحضـاء
١٥٣	٣/١٣٨	[خاط لى عمرو قبـاء]	ليت عينيه سواء
١٥٧	٣/١٦٥	[وماأدرى وسوف إخال أدرى]	أقوم آل حصن أم نساء
٢٠٤	٤/٨٥	أأحبه وأحب فيه ملامة	إن الملامة فيه من أعدائه
		حرف الباء الموحدة	
٤	١/٢٦	[مبارك الاسم أغر اللقب]	كريم الجرشى شريف النسب
٧	١/٤٣	ومامثله فى الناس إلا مملكا	أبو أمه حى أبوه يقاربه
٢١	١/١٢٧	له حاجب عن كل أمر يشينه	وليس له عن طالب العرف حاجب
٣٠	١/١٧٣	طحا بك قلب فى الحسان طروب	بعيد الشباب عصر حان مشيب
		يكلفنى ليلى وقد شط وليها	وعادت عواد بيننا وخطوب
٣٣	١/١٨٦	[فمن يك أمسى بالمدينة رحله]	فإنى وقيار بها لغريب

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦٠	٣٢٣/١	ولا فضل فيها للشجاعة والندى	وصبر العدى لولا لقاء شعوب
٦٥	٣٥٥/١	كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
٦٦	٣٥٨/١	ولست بمستبق أخا لا تلمه	على شعث أى الرجال المهذب
٧٧	٢٨/٢	كأن مثار النقع حول رءوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
٨٥	٩٥/٢	تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى	فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
		فوالله ما أدرى أبا لخمر أسبلت	جفونى أم من عبرتى كنت أشرب
٩١	٩٠/٢	صدفت عنه ولم تصدف مواهبه	عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
		كالغيث إن جئته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج فى الطلب
١٠١	١٣١/٢	وصاعقة من نصله تنكفى بها	على أرؤس الأقران خمس سحائب
١٢٢	٢٦٠/٢	إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا
١٢٣	٢٦٩/٢	فسقى الغضا والساكنيه وإن هم	شبوه بين جوانح وقلوب
١٤١	٤٦/٣	أسكر بالأمس إن عزمت على ال	شرب غداً ، إن ذا من العجب
١٤٢	٤٨/٣	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
		لئن كنت قد بلغت عنى وشاية	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
		ولكننى كنت امرأ لى جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
		كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم	فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا
١٤٤	٥٣/٣	ما به قتل أعاديه ولكن	يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب
١٤٨	٨٨/٣	أحلامكم لسقام الجهل شافية	كما دماؤكم تشفى من الكلب
١٤٩	١٠٧/٣	ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب
١٥٢	١٣٤/٣	أقلب فيه أجفانى كأنى	أعد بها على الدهر الذنوبا
١٥٤	١٥٦/٣	إذا ما تميمي أتاك مفاخرا	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
١٦٠	٢٠١/٣	إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
١٦٣	٢١٠/٣	إذا ملك لم يكن ذاهبه	فدعه فدولته ذاهبه
١٦٤	٢٢٥/٣	يعدون من أيد عواص عواصم	[تصول بأسياف قواض قواضب]

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٧٣	٢٧٨/٣	ضرائب أبدعتها في السماح	فلسنا نرى لك فيها ضريبا
١٧٩	٢٩١/٣	تدبير معتصم ، بالله منتقم	لله مرتقب ، فى الله مرتغب
١٩٣	٥٨/٤	وإذا تألق فى الندى كلامه الـ	مصقول خلت لسانه من عضبه
١٩٨	٧٦/٤	ومن فى كفه منهم قناة	كمن فى كفه منهم خضاب
١٩٩	٧٨/٤	سلبوا وأشرقت الدماء عليهم	محمرة ، فكأنهم لم يسلبوا
٢٠١	٨٠/٤	إذا غضبت عليك بنو تميم	رأيت الناس كلهم غضابا
٢١٦	٢٠١/٤	لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى	أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب
٢٢٣	٢٦٦/٤	ورأى الله أن فى الشيب خيرا	جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
		كل يوم تبدى صروف الليالى	خلقا من أبى سعيد رغيبا

حرف التاء المثناة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٨١	٥١/٢	كما أبرقت قوما عطاشا غمامة	فلما رأوها أقشعت وتجلت
٨٣	٥٦/٢	ولازوردية تزهو بزرقتها	وسط الرياض على حمر اليواقيت
		كأنها وضعاف القضب تحملها	أوائل النار فى أطراف كبريت

حرف الجيم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢	١٤/١	وفاحما ومرسنا مسرجا	[وكفلا وعثا إذا ترجرجا]
١١٣	١٧٣/٢	إن السماحة والمروءة والندى	فى قبة ضربت على ابن الحشرج
١٨٥	٢٦/٤	من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

حرف الحاء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١١	٧٢/١	جاء شقيق عارضا رمحه	إن بنى عمك فيهم رماح
٣٦	٢٠٢/١	ليبك يزيد ضارع لخصومة	[ومختبط مما تطيح الطوائح]
٧٩	٣٤/٢	وكأن البرق مصحف قار	فانطباقا مرة وانفتاحا
٨٤	٥٧/٢	وبدا الصباح كأن غرته	وجه الخليفة حين يمتدح

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٥٩	٣/١٨٠	قلت ثقلت إذ أتيت مرارا	قال ثقلت كاهلي بالأيادى
١٧٨	٣/٢٨٩	تجلى به رشدى، وأثرت به يدى	وفاض به ثمدى، وأورى به زندى
٢٠٠	٤/٧٨	يبس النجيع عليه وهو مجرد	من غمده فكأنما هو مغمد
٢٠٢	٤/٨٠	وليس لله بمستنكر	أن يجمع العالم فى واحد
٢١٩	٤/٢٢٩	.. ..	موعد أحبابك بالفرقة غد
٢٢٠	٤/٢٣١	بشراك قد أنجز الإقبال ما وعدا [	وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا]
٢٢٢	٤/٢٤٨	يقول فى قومس قومى وقد أخذت	منا السرى وخطا المهرية القود
		أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا	فقلت كلا ولكن مطلع الجود

حرف الراء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٥	١/٣٤	وقبر حرب بمكان قفر	وليس قرب قبر حرب قبر
١٤	١/٧٨	يزيدك وجهه حسنا	إذا مازدته نظرا
٣٩	١/٢٠٨	له همم لامنتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
٤٠	١/٢١٥	ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها	شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (١)
٤٣	١/٢٥٤	ولم يبق منى الشوق غير تفكر	فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا
٤٨	١/٢٧١	وقال رائدهم أرسوا نزاولها [	وكل حتف امرىء يجرى بمقدار]
٥٠	١/٢٧٩	أقسم بالله أبو حفص عمر [	مامسها من نقب ولا دبر]
٦٤	١/٣٤٦	وإن صخرا لتأتم الهداة به	كأنه علم فى رأسه نار
٦٩	١/٣٧٧	واعلم فعلم المرء ينفعه	أن سوف يأتي كل ماقدرا
٧١	١/٣٧٩	ولست بميال إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
٧٦	٢/١٧	وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى	كعنقود ملاحية حين نورا
٨٦	٢/٧٨	ياصاحبي تقصيا نظريكما	تريا وجوه الأرض كيف تصور
		تريا نهارا مشمسا قد شابه	زهر الربى فكأنما هو مقمر

(١) وانظره أيضا فى (٢٨٤١١)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٩	٢/١٢٩	لا تعجبوا من بلى غلالته	قد زر أزراره علي القمر
١٠٢	٢/١٣٢	وإذا احتبى قربوسه بعنانه	[علك الشكيم إلى انصراف الزائر]
١١٤	٢/١٧٨	تردى ثياب الموت حمرا فما أتى	لها الليل إلا وهى من سندس خضر
١١٧	٢/٢٢٧	كالقسى المعطفات بل الأسـهم	مبرية بل الأوتار
١٢٠	٢/٢٥٥	إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى	أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر
١٢٨	٣/٤	فوجهك كالنار في ضوئها	وقلبى كالنار فى حرها
١٥٨	٣/١٦٧	بالله ياظبيات القاع قلن لا	ليلاى منكن أم ليلى من البشر
١٦٦	٣/٢٥٠	تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
١٧٥	٣/٢٨٥	لو اختصرتم من الإحسان زرتكم	والعذب يهجر للافراط فى الخصر
١٧٦	٣/٢٨٨	فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى	أطنين أجنحة الذباب يضير
١٧٧	٣/٢٨٩	وقد كانت البيض القواضب فى الوغي	بواتر فهى الآن من بعده بتر
١٨٢	٣/٢٩٩	ياخاطب الدنيا الدنيـة إنها	شرك الردى وقرارة الأقدار
١٨٦	٤/٢٦	من راقب الناس مات غما	وفاز باللذة الجسور
١٩٧	٤/٧٦	فلم يمنعك من أرب لحاهم	سواء ذو العمامة والخمـار
٢٠٥	٤/٩٥	وترى الطير على آثارنا	رأى عين ثقة أن ستمار
٢٠٨	٤/١١٠	قال لى إن رقيبي	سيء الخلق فداره
		قلت دعنى وجهك الجنـة	حفت بالمكاره
٢١٣	٤/١٨٢	مابال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر
٢٢٤	٤/٢٦٨	وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى	وأنت لما أملت منك جـدير
		فإن تولنى منك الجميل فأهله	وإلا فإنى عاذر وشكور

حرف السين المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٨	٢/١١٣	قامت تظللنى من الشمس	نفس أعـز علـى من نفسى
		قامت تظللنى ومن عجب	شمس تظللنى من الشمس

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف الصاد المهملة	
١١٩	٢/٢٥٢	قالوا اقترح شيئا نجدلك طبخه	قلت اطبخوا لى جبة وقميصا
		حرف العين المهملة	
١٠	١/٥٩	حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى	فأنت بمرأى من سعاد ومسمع
١٣	١/٧٧	ميزعنه قنزعا عن قنزع	جذب الليالى أبطئي أوأسرعى
١٦	١/١٠٠	إن الذين ترونهم إخوانكم	يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
١٩	١/١١٩	أولئك آبائى فجئنى بمثلهم	إذ جمعتنا ياجرير المجامع
٢٢	١/١٢٨	الألمعى الذى يظن بك الظن	كأن قد رأي وقد سمعا
٢٥	١/١٤٧	قد أصبحت أم الخيار تدعى	على ذنبا كله لم أصنع
٣٢	١/١٧٩	(فلما أن جرى سمن عليها)	كما طينت بالفدن السياعا
٤١	١/٢٢٢	شجو حساده وغيظ عداه	أن يرى مبصر ويسمع واع
٤٢	١/٢٤٦	ولو شئت أن أبكى دما لبكيته	عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
٦٢	١/٣٣٠	فإنك كالليل الذى هو مدركى	وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
٧٥	٢/١٠	وكأن النجوم بين دجاها	سنن لاح بينهن ابتداع
١٠٩	٢/١٦٣	وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمة لا تنفع
١١٨	٢/٢٣٦	إذا لم تستطع شيئا فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع
١٢٩	٣/٥	حتى أقام علي أرباض خرشنة	تشقى به الروم والصلبان والبيع
		للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا	والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
١٣٠	٣/٦	قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
		سجية تلك فيهم غير محدثة	إن الخلائق فاعلم شرها البدع
١٤٧	٣/٦٩	كأن السحاب الغر غيبن تحتها	حبيبا فما ترقى لهن مدامع
١٦٥	٣/٢٤٢	سريع إلى ابن العم يلطم وجهه	وليس إلى داعى الندى بسريع

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٣٨	٣/٢٧	وأخفت أهل الشرك حتى إنه	لتخافك النطف التي لم تخلق
١٤٥	٣/٥٤	ياواشيا حسنت فينا إساءته	نجى حذارك إنسانى من الغرق
١٤٦	٣/٦٧	لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	لما رأيت عليها عقد منتطق
		إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها	تذكرت ما بين العذيب وبارق
٢١٢	٤/١٥٤	وتذكرنى من قدها ومدامعى	مجر عوالينا ومجرى السوابق

حرف الكاف

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢٧	١/١٤٩	تعاللت كى أشجى وما بك علة	تريدين قتلى قد ظفرت بذلك
٢٨	١/١٧٠	إلهى عبدك العاصى أتاكا	مقرا بالذنوب ، وقد دعاكا
٥٤	١/٢٨٥	فلما خشيت أظافيرهم	نجوت وأرهنهم مالكا
٢٢١	٤/٢٤١	هى الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي

حرف اللام

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١	١/٨	غدائره مستشزرات إلى العلا	(تضل العقاص فى مثنى ومرسل)
٣	١/١٨	الحمد لله العلى الأجلل	الواهب الفضل الوجوب المجزل
١٥	١/١٠٩	قال لى كيف أنت قلت عليل	سهر دائم وحزن طويل
١٧	١/١٠١	إن الذى سمك السماء بنى لنا	بيتا دعائمه أعز وأطول
٣٥	١/١٩٤	إن محلا وإن مرتبعا	(وإن فى السفر إذ مضوا مثلا)
٤٥	١/٢٥٦	قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ	دد والمجد والمكارم مثلا
٤٦	١/٢٦٠	أنا الذائد الحامى الذمار وإنما	يدافع عن أحسابهم أنا أومثلى
٤٧	١/٢٦٤	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	بصبح وما الإصباح منك بأمثل
٥٢	١/٢٨١	زعم العواذل أننى فى غمرة	صدقوا ، ولكن غمرتى لاتنجلي

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
٧٣	١/٣٨٢	ونتكر إن شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول
٧٤	٢/٧	(أيقتلنى والمشرفى مضاجعى)	ومسنونة زرق كأنياب أغوال
٧٨	٢/٣٢	... ...	والشمس كالمرآة فى كف الأشل
٨٠	٢/٤٨	يقعى جلوس البدوى المصطلى	(بأربع مجدولة لم تجدل)
٨٢	٢/٥٣	فإن تفق الأنام وأنت منهم	فان المسك بعض دم الغزال
٨٧	٢/٨٠	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا	لدى وكرها العناب والحشف البالى
٨٩	٢/٨٨	صدغ الحبيب وحالى	كلاهما كالليالى
٩٢	٢/٩١	وثغره فى صفاء	وأدمعى كاللآلىء
٩٥	٢/٩٤	عزماته مثل النجوم ثواقبا	لو لم يكن للثاقبات أفول
١٠٦	٢/١٤٩	غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا	(غلقت لضحكته رقاب المال)
١٠٨	٢/١٦١	هى الشمس مسكنها فى السماء	فعز الفؤاد عزاء جميلا
		فلن تستطيع إليها الصعود	ولن تستطيع إليك النزولا
١١١	٢/١٧١	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	وعرى أفراس الصبا ورواحله
١١٦	٢/٢٠٧	ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
١٣٢	٣/١٣	وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى	بمستلئم مثل الفنيق المرحل
١٣٤	٣/١٤	ياخير من يركب المطى ولا	يشرب كأسا بكف من بخلا
١٣٥	٣/١٤	لا خيل عندك تهديها ولا مال	(فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)
١٣٦	٣/١٦	فعادى عداء بين ثور ونعجة	دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل
١٣٧	٣/٢٥	ونكرم جارنا ما دام فينا	ونتبعه الكرامة حيث مالا
١٥٠	٣/١١١	هو البدر إلا أنه البحر زاخرا	سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
١٦٨	٣/٢٥٨	وإن لم يكن إلا معرج ساعة	قليلا فإني نافع لى قليلها
١٧٠	٣/٢٦٦	وإذا البلابل أفصحت بلغاتها	فانف البلابل باحتساء بلابل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٠	٣/٢٩٣	مها الوحش إلا أن هاتا أوانس	قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
١٨٤	٤/٤	إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته	على طرف الهجران إن كان يعقل
		ويركب حد السيف من أن تضيمه	إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
١٨٧	٤/٤٦	هيهات أن يأتى الزمان بمثله	إن الزمان بمثله لبخيل
١٨٨	٤/٤٦	أعدى الزمان سخاؤه فسخا به	ولقد يكون به الزمان بخيلا
١٨٩	٤/٥٠	لو حار مرتاد المنية لم يجد	إلا الفراق على النفوس دليلا
١٩٠	٤/٥٠	لولا مفارقة الأحباب ماوجدت	لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
٢٠٦	٤/٩٥	وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى	بعقبان طير فى الدماء نواهل
		أقامت مع الرايات حتى كأنها	من الجيش إلا أنها لم تقاتل
٢٠٧	٤/١٠٩	إن كنت أزمعت على هجرنا	من غير ما جرم فصبر جميل
		وإن تبدلت بنا غيرنا	فحسبنا الله ونعم الوكيل
٢١٧	٤/٢٢٤	قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل
٢٢٥	٤/٢٧٣	بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨	١/١٠٧	هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه	من نسل شيبان بين الضال والسلم
٣٧	١/٢٠٤	أو كلما وردت عكاظ قبيلة	بعثوا إلى عريفهم يتوسم
٤٤	١/٢٥٥	وكم ذدت عنى من تحامل حادث	وسورة أيام حززن إلى العظم
٤٧	١/٢٧٠	لا والذى هو عالم أن النوى	صبر ، وأن أبا الحسين كريم
٤٩	١/٢٧٨	أقول له ارحل لاتقيمن عندنا	وإلا فكن فى السر والجهر مسلما
٥١	١/٢٧٩	وتظن سلمى أننى أبغى بها	بدلا ، أراها فى الضلال تهيم
٥٧	١/٣٠٥	والله يبقيك لنا سالما	برداك تبجيل وتعظيم
٦١	١/٣٢٥	وأعلم علم اليوم والأمس قبله	(ولكننى عن علم مافى غد عم)
٦٧	١/٣٦٢	فسقى ديارك غير مفسدها	صوب الربيع وديمة تهمى
٨٨	٢/٨١	النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف الأكف عنم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٧	١١٢/٢	لدى أسد شاكي السلاح مقذف	(له لبد أظفاره لم تقلم)(١)
١٢١	٢٥٧/٢	قف بالديار التي يعفها القدم	بلى وغيرها الأرواح والديم
١٣٣	١٤/٣	ولئن بقيت لأرحلن بغزوة	تحوى الغنائم أو يموت كريم
١٦٧	٢٠٧/٣	ومن كان بالبيض الكواعب مغرما	فمازلت بالبيض القواضب مغرما
١٨١	٢٩٥/٣	مودته تدوم لكل هول	وهل كل مودته تدوم
١٩٢	٥٦/٤	ومن الخير بطء سيبك عنى	أسرع السحب في المسير الجهام
٢٠٣	٨٥/٤	أجد الملامة في هواك لذيذة	حبا لذكرك ، فليلمني اللوم
٢١٤	١٩٠/٤	إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه	وصدق مايعتاده من توهم
٢١٨	٢٢٥/٤	قصر عليه تحية وسلام	خلعت عليه جمالها الأيام

حرف النون

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢٤	١٤٥/١	ما كل ما يتمنى المرء يدركه	(تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن)
٥٩	٣١٠/١	(وقددت الأديم لراهشيه)	وألفى قولها كذبا ومينا
٦٣	٣٣٩/١	أنا ابن جلا (وطلاع الثنايا	متى أضع العمامة تعرفوني)
٦٨	٣٦٩/١	إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
٩٣	٩٢/٢	حملت ردينيا كأن سنانه	سنا لهب لم يتصل بدخان
١٠٠	١٣١/٢	فان تعافوا العدل والإيمانا	فان في أيماننا نيرانا
١١٢	١٧٢/٢	(الضاربين بكل أبيض مخذم)	والطاعنين مجامع الأضغان
١٣٩	٣٤/٣	عقدت سنابكها عليها عثيرا	لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا
١٤٠	٣٦/٣	يخيل لى أن سمر الشهب بالدجى	وشدت بأهدابى إليهن أجفاني

(١) وانظره أيضا في (١٥١/٢)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٦٣	٢٢١/٢	كلكم قد أخذ الجا	م ولا جام لنـــــــا
		ما الذى ضر مدير الـ	ـجام لو جاملنـــــــا
١٦٩	٢٦٥/٣	دعانى من ملامكما دعانى	فداعى الشوق قبلكما دعانى
١٧١	٢٧١/٣	فمشغوف بآيات المثانى	ومفتون برنات المثانى
١٧٤	٢٨٤/٣	إذا المرء لم يخزن عليه لسانه	فليس على شىء سواه بخزان
١٩٤	٥٨/٤	كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت	على رماحهم فى الطعن خرصانا
٢١٠	١٣٩/٤	قد كان ما خفت أن يكونا	إنا إلى الله راجعونا

حرف الهاء

١٦١	٢٠٦/٣	ما مات من كرم الزمان فانه	يحيا لدى يحيي بن عبد الله

حرف الياء المثناة التحتية

١٢	٧٣/١	أشاب الصغير وأفنى الكبير	كر الغداة ومر العشى

حرف الألف اللينة

١١٥	١٨٤/٢	لا تعجبي ياسلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى

تمت فهرست الشواهد المشروحة

فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

والحمد لله رب العالمين ، أولا وآخرا

٣ — فهرست بأسماء الشعراء أصحاب الشواهد المشروحة فى « معاهد التنصيص » سواء أ كانت لهم تراجم مفصلة أم لم تكن ، وقد رتبت هذه الفهرس على حروف الهجاء باعتبار أوائل الأسماء غير منظور فيها إلى حرف التعريف ، ولا إلى صدر الكنية ، وطولنا بذكر مباحث التراجم المفصلة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

وقد تم ما وفقنا الله تعالى إلى صنعه من أنواع الفهارس التى قصدنا بها تقريب البحث فى كتاب « معاهد التنصيص » على من أراده وقد ألجأتنا عجلة الناشر إلى الاقتصار على هذه الأنواع ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على رسوله وآله وصحبه